صحيح
الوابل الصيب
من الكلم الطيب

لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي

صَحِيحُ

الوَابِلِ الصَّيِّبِ

مِنَ الكَلِمِ الطَّيِّبِ

جميع الحقوق محفوظة لدار ابن الجوزي

الإصدار الثاني

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ

حقوق الطبع محفوظة ©١٤٣٣هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢

الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت - هاتف:

٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس:

٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله؛ نَحْمَدُه ونَستعينُهُ ونستَغْفِرُهُ، ونعوذُ بالله مِن شرورِ أنْفُسِنا، ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِه الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ.

أما بعد:

فإنَّ الأذكارَ والدَّعواتِ من أجلِّ القُرباتِ وأفضلِ العباداتِ، وسالكها على سبيل أمانٍ وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصلُ بها لا يعبِّر عنها لسانٌ، ولا يُحيطُ بها إنسانٌ.

وأقلُّ ذٰلك أن يلازِمَ العبدُ الأذكارَ المأثورَةَ عن معلمِ الخير، وإمامِ المتَّقين ﷺ؛ كالأذكارِ المؤقَّتة طرفي النهارِ وزُلَفاً من الليل، وعند أخذ المضجَعِ، وعند الاستيقاظ من النوم، وأدبار السجود، والأذكار المقيَّدة عند الأكل، والشرب، واللّباس، والجماع، ودخول المسجد، والخلاء، والخروج من ذٰلك، وعند المطر، والرعد... إلى غير ذٰلك مما يشمل جميع أعمال العبد، ويستوعب عمره، مما يدلّ على أن هٰذا الدين لم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الإنسان؛ إلا أحصاها وجلَّاها.

وينبغي للعبد أن يحافظ على الأذكار المأثورة؛ لأنَّ العبادات مبناها على التوقيف، لا على الهوى والابتداع.

والأذكار النبوية الصحيحة هي أفضل ما يتحرَّاه المتحرِّي؛ لأنَّ فيها

غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العليَّة، وما سواها من الأذكار والدعوات؛ قد يكون محرماً، أو شركاً لا يهتدي إليه أكثر الناس.

وليس لأحد أن يسنَّ للناس نوعاً من الذكر والأدعية غير المسنونة، ويجعلها عبادة راتبة، يواظب عليها الناس، فإنَّ هٰذا ابتداع دين لم يأذن الله به، ولذٰلك؛ فأحزاب بعض الشيوخ، ومأثوراتهم، وأوراد الطرق الصوفية جملة؛ ليس لها في دين الله عينٌ ولا أثر، ولا يجنحُ إليها تاركاً المأثورَ الصحيحَ إلا جاهلٌ أو مفرطٌ أو معتدٍ، ناهيك أنه فوَّت على نفسه الأكمل والأفضل باتّفاق المسلمين.

وتيسيراً على عامّة المسلمين؛ فقد صنَّف رهطٌ من أعيان الأئمَّة في هٰذا الباب الكتب المسماة بـ «عمل اليوم والليلة»، أو «الأذكار».

ومن قبيلهم المهيب، وركبهم الكريم، العالم الرباني، شيخ الإسلام الثاني، ابن قيِّم الجوزية[1] في كتابه الموسوم بـ «الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب»، حيث جمع شتات ما تفرّق، ونظر وحقَّق، فأتى كتابه شذرات يلتقطها المسلم بيُسر، فيفرح ويُسَرّ؛ لأنه لجأ إلى حصنٍ حصين، فوجد الكنز الدّفين.

لكنه جهد بشري لم يسلم من النقص والضعف الذي يعتري بني آدم، فوجهتُ همَّتي لإبراز «صحيحه» ضمن سلسلة «تصحيح عمل اليوم واللّيلة»، التي أرجو الله أن أستوعب فيها أُمّهات الكتب المصنّفة في هٰذا الباب.

وأسأل الله أن يتقبَّل جهد المُقلّ، نصرةً لسنّة رسوله ﷺ، ونصحاً لله ورسوله وعامّة المسلمين وخاصّتهم، إنه نِعم المولى ونِعم النصير.

وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) لم أكتب ترجمة له لشهرته، ومَن شاء الوقوف على ذلك؛ فلينظر: «مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩ ـ ٢٠).

عملي في هٰذا الصحيح:

١ ـ انتقيت الأحاديث والآثار الصحيحة بعد أن أنهيتُ تخريج «الوابل الصيِّب»، مميّزاً الصحيح من السقيم، حسب قواعد الصناعة الحديثية، غير مقلّد لأحد، مستأنساً بأقوال أئمّة الفن.

٢ ـ حذفت الأحاديث والآثار الضعيفة، ومتعلقاتها؛ لأن ما بُني على ضعيف لا يثبت.

٣ ـ الأبواب التي لم يصح فيها شيء، أبقيتُ عنوان الباب، ونبّهتُ على ذٰلك؛ لئلّا يتوهم أحد أن هٰذه الأبواب غير موجودة في الأصل، وأنها فاتت المصنِّف.

٤ ـ فإن صح تحت هٰذه الأبواب شيء لم يذكره المصنف، أتيتُ به، وخرّجتُه في الحواشي؛ لئلّا يخلط أحد بين الأصل والفرع.

٥ ـ تصحيح الأخطاء الواقعة في طبعات الكتاب السابقة، وذٰلك بالرجوع إلى موارد المصنف.

٦ ـ التنبيه على أوهام المصنِّف في بعض الأحاديث الصحيحة.

٧ ـ شرح الألفاظ الغريبة الواردة في مقدمة الكتاب، ومتون الأحاديث.

٨ ـ صنعتُ فهارس للآيات، والأحاديث، والآثار، وغريب الحديث، والرواة المترجَم لهم؛ لتقريبه بين يدي طلاب العلم وأهله.

والحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

ليلة الخميس غرة شعبان

سنة ألف وأربعمائة وتسع من هجرة رسول الله ﷺ

في عمان البلقاء عاصمة الأردن

صحيح

الوابل الصيب

من الكلم الطيب

لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم، الله ﷻ المسؤولُ المرجوُّ الإجابة أن يتولَّاكم في الدنيا والآخرة، وأن يُسبغَ عليكُم نعمَهُ ظاهرةً وباطنةً، وأن يجعلكم ممَّن إذا أنعم عليه شَكَر، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أذنبَ استغفر؛ فإنَّ هٰذه الأُمور الثلاثة عنوانُ سعادةِ العبدِ، وعلامةُ فلاحِهِ في دُنياه وأُخراه، ولا ينفكُّ عبدٌ عنها أبداً، فإنَّ العبدَ دائمُ التَّقَلُّبِ بين هٰذه الأطباقِ الثلاث:

الأول: نِعَمٌ من الله ـ تعالى ـ تترادف عليه، فقيِّدها الشكرُ، وهو مبنيٌّ على ثلاثة أركان:

الاعتراف بها باطناً.

والتحدث بها ظاهراً.

وتصريفها في مرضاةِ وليِّها ومُسْديها ومُعْطيها.

فإذا فعل ذٰلك، فقد شكرها ـ مع تقصيره في شكرها ـ.

الثاني: مِحَنٌ من الله ـ تعالى ـ يبتليه بها، ففَرْضُهُ فيها الصبرُ والتسلي.

والصبرُ: حبسُ النفس عن التَّسَخُّط بالمقدور، وحبسُ اللسانِ عن الشكوى، وحبسُ الجوارح عن المعصية؛ كاللطم، وشقّ الثياب، ونتف الشعر، ونحوه.

فمدارُ الصَّبر على هٰذه الأركان الثلاثة[1]، فإذا قام به العبد كما

---

(١) انظر رسالتي: «الصبر الجميل في ضوء القرآن الكريم والسنّة الصحيحة».

ينبغي؛ انقلبت المحنة في حقّه منحةً، واستحالت البليّة عطيةً، وصار المكروه محبوباً.

فإنَّ الله ﷻ لم يبتلهِ لِيُهْلكه، وإنما ابتلاهُ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وعُبودِيَّتَهُ، فإنَّ لله ـ تعالى ـ على العبدِ عبوديةً في الضَّرَّاء؛ كما له عبوديةٌ في السَّرَّاء، وله عبودية عليه فيما يكره؛ كما له عبودية فيما يحبُّ، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبُّون.

والشأنُ في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوُتُ مراتب العباد، وبحسبهِ كانت منازلُهم عندَ الله ـ تعالى.

فالوضوءُ بالماءِ الباردِ في شدَّةِ الحر عبوديةٌ، ومباشرةُ زوجتِه الحسناءِ التي يحبُّها عبوديةٌ، ونفقَتُه عليها وعلى عيالِه ونفسِه عبوديةٌ.

هٰذا؛ والوضوءُ بالماءِ الباردِ في شدَّةِ البردِ عبوديةٌ، وتركُه المعصيةَ التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غيرِ خوفٍ من الناس عبوديةٌ، ونفقَتُه في الضَّرّاء عبوديةٌ.

ولكن فرق عظيم بين العبوديتين.

فمَن كانَ عبداً لله في الحالتين، قائماً بحقّه في المكروه والمحبوب؛ فذٰلك الذي تناوله قوله ـ تعالى ـ:

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

وفي القراءة الأخرى:

﴿عِبَادَهُۥ﴾[1].

وهما سواء؛ لأن المفرد مضاف، فيعمّ عموم الجمع.

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي؛ كما في «الكشف عن وجوه القراءات السبع».

فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة؛ فمَن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذٰلك، فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

وهٰؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوِّه عليهم سلطان؛ قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

ولما علم عدوُّ الله إبليس أن الله ـ تعالى ـ لا يسلم عباده إليه، ولا يسلِّطه عليهم؛ قال:

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ: ٢٠ ـ ٢١].

فلم يجعل لعدوِّه سلطاناً على عباده المؤمنين، فإنهم في حِرزه، وكلاءته، وحفظه، وتحت كنفه؛ وإن اغتال عدوُّه أحدهم، كما يغتال اللصّ الرجل الغافل؛ فهٰذا لا بدّ منه؛ لأن العبد قد بُلي بالغفلة والشهوة والغضب، ودخوله على العبد من هٰذه الأبواب الثلاثة، ولو احترز العبد ما احترز، فلا بدّ له من غفلة، ولا بدَّ له من شهوة، ولا بدَّ له من غضب.

وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق، وأرجحهم عقلاً وأثبتهم؛ ومع هٰذا، فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه، فما الظنّ بفراشة الحلم، ومَن عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر؟!

ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غِيلة، على غرّة وغفلة؛ فيوقعه، ويظنّ أنه لا يستقيل ربّه ﷻ بعدها، وأنّ تلك الوقعة قد اجتاحته

وأهلكته، وفضل الله ـ تعالى ـ ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذٰلك كلّه[١].

فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له مِن أبواب التوبة، والندم، والانكسار، والذلّ، والافتقار، والاستعانة به، وصدق اللجإ إليه، ودوام التضرّع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيّئة به سبب رحمته، حتى يقول عدوّ الله: يا ليتني تركته ولم أُوقعه[٢].

وهٰذا معنى قول بعض السلف:

إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنّة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار.

قالوا: كيف؟

قال: يعمل الذنب، فلا يزال نصبَ عينيه، خائفاً منه، مُشفِقاً، وَجِلاً، باكياً، نادماً، مُستَحِياً من ربّه ـ تعالى ـ، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له؛ فيكون ذٰلك الذنب أنفعَ له من طاعاتٍ كثيرة؛ بما ترتّب عليه من هٰذه الأُمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذٰلك الذنب سبب دخوله الجنة.

ويفعل الحسنة، فلا يزال يمنُّ بها على ربّه، ويتكبّر بها، ويرى نفسه، ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلت، وفعلت؛ فيورثه من العُجب، والكِبر، والفخر، والاستطالة ما يكون سبب هلاكه.

فإذا أراد الله ـ تعالى ـ بهٰذا المسكين خيراً، ابتلاه بأمرٍ يكسره به، ويذلّ به عنقه، ويصغّر به نفسه عنده؛ وإن أراد به غير ذٰلك، خَلّاه وعُجبَه وكبرَه، وهٰذا هو الخذلان المُوجِب لهلاكه.

---

(١) وانظر لزاماً رسالتي: «مقامع الشيطان في ضوء القرآن الكريم والسنّة الصحيحة».

(٢) وانظر رسالتي: «التوبة النصوح في ضوء القرآن الكريم والسنّة الصحيحة».

فإن العارفين كلّهم مجمعون على أن التوفيق أن لا يَكِلَكَ الله ـ تعالى ـ إلى نفسك، والخذلان: أن يَكِلَكَ الله ـ تعالى ـ إلى نفسك.

فمَن أراد الله به خيراً؛ فتح له باب الذلّ والانكسار، ودوام اللجإ إلى الله ـ تعالى ـ، والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربّه، وإحسانه، ورحمته، وجُوده، وبرّه، وغناه، وحمده.

فالعارف سائر إلى الله ـ تعالى ـ بين هٰذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلّا بهما؛ فمتى فاته واحد منهما، فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه[١].

قال شيخ الإسلام[٢]:

العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنّة، ومطالعة عيب النفس.

وهٰذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح من حديث شداد [وبريدة][٣] ـ رضي الله تعالى عنهما ـ:

«سيِّد الاستغفارِ أنْ يقولَ العبدُ: اللَّهمَّ أنتَ ربي لا إلٰهَ إلا أنتَ، خَلَقْتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووعْدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ»[٤].

فجمع في قوله ﷺ:

«أبوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي».

---

(١) وانظر رسالتي: «الخوف من الله ورجاؤه».

(٢) هو شيخه أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المتوفّى سنة (٧٢٨هـ) صابراً محتسباً في قلعة دمشق ـ رحمه الله ـ، وانظر كتابي: «ابن تيمية المفترى عليه».

(٣) في الأصل: بن، والصواب ما أثبته كما ستراه في تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٩٧ ـ ٩٨/ ١٣٠ ـ فتح) وغيره، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.
وله شاهد من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.
أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٦) وغيره، بإسناد صحيح رجاله ثقات.

مشاهدة المنّة، ومطالعة عيب النفس والعمل.

فمشاهدة المنّة توجب له المحبةَ، والحمدَ، والشكرَ لوليّ النِّعم والإحسان؛ ومطالعةُ عيب النفس والعمل توجب له الذلَّ، والانكسار، والافتقار، والتوبة في كلّ وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً.

وأقرب باب دخل منه العبد على الله ـ تعالى ـ هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالاً، ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة منه يمنُّ بها؛ بل يدخل على الله ـ تعالى ـ من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخولَ مَن قد كَسَر الفقرُ والمسكنةُ قلبَه، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سُوَيْدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كلّ جهاته، وشهد ضرورته إلى ربّه ﷻ وكمال فاقته وفقره إليه، وأنّ في كل ذرّة من ذرّاته الظاهرة والباطنة فاقة تامّة، وضرورة كاملة إلى ربّه ـ تبارك وتعالى ـ وأنه إن تخلَّى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تُجْبَر، إلا أن يعود الله ـ تعالى ـ عليه، ويتداركه برحمته.

ولا طريق إلى الله ـ تعالى ـ أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى.

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حبٌّ كامل، وذلٌّ تامّ.

ومنشأ هٰذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين، وهما:

مشاهدة المنّة التي تُورث المحبة.

ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذلّ التام.

وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله ـ تعالى ـ على هٰذين الأصلين لم يظفر عدوّه به إلا على غِرَّة وغِيْلَة، وما أسرع ما يُنعشه الله ﷻ ويجبره، ويتداركه برحمته[1]!

---

(١) وانظر لزاماً: «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

فَصْلٌ

[في استقامة القلب]

وإنما يستقيم له هٰذا باستقامة قلبه وجوارحه، فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله ـ تعالى ـ تتقدم عنده على جميع المحابِّ، فإذا تعارض حبُّ الله ـ تعالى ـ وحبّ غيره؛ سبق حبّ الله ـ تعالى ـ حبّ ما سواه، فترتّب على ذٰلك مقتضاه.

وما أسهل هٰذا بالدعوى! وما أصعبه بالفعل! فعند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.

وما أكثر ما يقدِّم العبد ما يحبُّه هو ويهواه، أو يحبه كبيرُه وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله ـ تعالى ـ؛ فهٰذا لم تتقدم محبة الله ـ تعالى ـ في قلبه جميع المحابّ، ولا كانت هي الملكة المؤمَّرة عليها.

وسنَّة الله ـ تعالى ـ فيمن هٰذا شأنه: أن ينكِّد عليه محابَّه، وينغِّصها عليه، ولا ينال شيئاً منها إلا بنكد وتنغيص؛ جزاءً له على إيثاره هواه وهوى مَن يعظمه من الخلق، أو يحبه على محبة الله ـ تعالى ـ.

وقد قضى الله ـ تعالى ـ قضاءً لا يردُّ ولا يُدفع، أنَّ مَن أحبّ شيئاً سواه عُذِّب به، ولا بدَّ؛ وأن مَن خاف غيره، سُلِّط عليه؛ وأن من اشتغل بشيء غيره، كان شؤماً عليه؛ ومن آثر غيره عليه، لم يبارَك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه، أسخطه عليه، ولا بدّ[1].

الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي، وهو

---

(١) وانظر رسالتي: «حلاوة الإيمان في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة».

ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي؛ فإن الله ـ تعالى ـ ذمَّ مَن لا يعظم أمره ونهيه، وقال ﷻ:

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣].

قالوا في تفسيرها:

ما لكم لا تخافون الله ـ تعالى ـ عظمة[١]؟!

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي:

هو أن لا يعارَضا بترخُّصٍ جافٍ، ولا يعارَضا بتشديدٍ غالٍ، ولا يُحْملا على علّة تُوهِنُ الانقياد.

ومعنى كلامه: أنَّ أوّل مراتب تعظيم الحقّ ﷻ تعظيمُ أمره ونهيه؛ وذٰلك لأن المؤمن يعرفُ ربّه ﷻ برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافّة الناس، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذٰلك بتعظيم أمر الله ﷻ واتِّباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله ـ تعالى ـ ونهيه دالّاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هٰذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان، والتصديق، وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق الأكبر؛ فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتَّقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتَّبها الشارع على المناهي؛ فهٰذا، ليس فعلُه وتركُه صادراً عن تعظيم الأمر والنهي، ولا تعظيم الآمر الناهي[٢].

فعلامة التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على

---

(١) ودليل هٰذا الأمر في قوله ـ جلّ ذكره ـ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

(٢) انظر رسالتي: «الرياء؛ ذمّه وأثره السَّيِّئ في الأُمّة».

أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحيُّنها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حقّ من حقوقها؛ كمن يحزن على فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تُقبِّلت منه صلاته منفرداً، فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفاً.

ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون ديناراً؛ لأكل يديه ندماً وأسفاً، فكيف وكل ضعف مما تضاعَف به صلاة الجماعة خيرٌ من ألف، وألف ألف، وما شاء الله ـ تعالى ـ.

فإذا فوَّت العبد عليه هٰذا الربح قطعاً؛ كثيرٌ من العلماء يقول: لا صلاة له. وهو بارد القلب، فارغ من هٰذه المصيبة، غير مرتاح لها؛ فهٰذا من عدم تعظيم أمر الله ـ تعالى ـ في قلبه.

وكذٰلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله ـ تعالى ـ[1]، أو فاته الصفّ الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه[2]، ولو يعلم العبد فضيلته؛ لجالد عليه، ولكانت قُرعة.

وكذٰلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلّته؛

---

(١) أشار إلى حديث أخرجه الدارقطني (١/ ٢٤٩) من حديث جرير بن عبد الله بإسناد ضعيف جداً؛ لأن الحسين بن حميد الربيع متّهم.
وله شاهد عنده (١/ ٢٥٠) من حديث أبي محذورة بإسناد ضعيف جدّاً؛ لأن إبراهيم بن زكريا متروك.
ولذٰلك، فالحديث ضعيف جداً، فلا يُفرح به، ولا كرامة.

(٢) ضعيف بهٰذا اللفظ، ولكنَّه صحَّ من حديث البراء، وعبد الرحمٰن بن عوف، والنعمان بن بشير، وجابر؛ بلفظ: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول».
وفي الباب عن أبي أمامة، والبراء بن عازب، وانظر: «صحيح الجامع الصغير» لشيخنا (١٨٣٩ ـ ١٨٤٢)، وفي «الأصل» بسط وتوضيح.

كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله ﷻ، وكلما بعدت الخُطا كانت خطوة تحطّ خطيئة، وأخرى ترفع درجة.

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها بين يدي الربّ ـ تبارك وتعالى ـ الذي هو روحها ولبُّها؛ فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحيي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟! فما ظنّ هٰذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها؛ من ملك، أو أمير، أو غيره؛ فهٰكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمّة على الله ـ تعالى ـ فيها، بمنزلة هٰذا العبد ـ أو الأَمَة ـ الميت، الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك، ولهٰذا لا يقبلها الله ـ تعالى ـ منه، وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يُثيبه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها؛ كما في «السنن» و«مسند الإمام أحمد» وغيره، عن النبيّ ﷺ؛ أنه قال:

«إنَّ العبدَ ليصلي الصلاةَ وما كُتِبَ له إلا نصفُها، إلا ثُلُثُها، إلا ربعُها، إلا خُمُسها...» حتى بلغ عشرَها[1].

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هٰذا المجرى، فتَفاضُلُ الأعمالِ عند الله ـ تعالى ـ بتفاضُلِ ما في القلوب؛ من الإيمان، والإخلاص، والمحبة وتوابعها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧/ ٤٧٨ و٤٨٤ ـ تحفة الأشراف)، وأحمد (٤/ ٣١٩ و٣٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٨١)، والحميدي (١/ ٧٩ ـ ٨٠) وغيرهم؛ من حديث عمار ﷺ مرفوعاً بلفظ:
«إن العبد ليصلّي الصلاة ما يُكْتَبُ له منها إلا عُشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خُمسها، ربعها، ثلثها، نصفها».
وهو حديث صحيح.

وهٰذا العمل الكامل هو الذي يكفِّر الذنوب تكفيراً كاملاً، والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة؛ وهما:

تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان.

وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه.

وبهٰذا يزول الإشكال الذي يورده مَن نقص حظّه في هٰذا الباب على الحديث الذي فيه:

«إنَّ صومَ يومِ عَرَفَةَ يكَفِّرُ سنتين، ويومِ عاشوراءَ يُكَفِّرُ سنةً»[1].

قالوا: فإذا كان دأبه دائماً أن يصوم يوم عرفة، فصامه، وصام يوم عاشوراء؛ فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة؟!

وأجاب بعضهم عن هٰذا بأن ما فضل عن التكفير يُنال به الدرجات!

وياالله العجب، فليت العبد إذا أتى بهٰذه المكفِّرات كلِّها أن تكفَّر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض، والتكفير بهٰذه مشروط بشروط، وموقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه.

فإنْ عَلِم العبد أنه جاء بالشروط كلِّها، وانتفت عنه الموانع كلُّها؛ فحينئذ يقع التكفير.

وأما عملٌ شملته الغفلة، أو لأكثره، وفقد الإخلاص الذي هو روحه، ولم يقدِّره حقَّ قدره؛ فأي شيء يكفِّر هٰذا[2]؟!

فإن وثق العبد من عمله بأنه وَفَّاه حقّه الذي ينبغي له ظاهراً وباطناً، ولم يَعْرِض له مانعٌ يمنع تكفيره، ولا مبطِلٌ يُحبطه؛ مِن عُجب، أو رؤية

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٥٠ ـ نووي) وغيره؛ من حديث أبي قتادة ﷺ.

(٢) انظر رسالتي: «مكفّرات الذنوب في ضوء القرآن الكريم والسنّة الصحيحة».

نفسه فيه، أو يمنُّ به، أو يطلب من العباد تعظيمه به، أو يستشرف بقلبه لمن يعظِّمه عليه، أو يعادي مَن لا يعظمه عليه، ويرى أنه قد بخسه حقّه، وأنه قد استهان بحرمته؛ فهٰذا أيُّ شيء يكفِّر!!

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل؛ إنما الشأن في حفظ العمل مما يُفسده ويُحبطه.

فالرياء ـ وإن دقّ ـ محبط للعمل، وهو أبوابٌ كثيرة لا تُحصر، وكون العمل غير مقيَّد باتّباع السنة أيضاً موجب لكونه باطلاً، والمنُّ به على الله ـ تعالى ـ بقلبه مفسد له؛ وكذٰلك المنّ بالصدقة والمعروف والبرّ والإحسان والصلة مفسدة لها؛ كما قال ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢].

فحذَّر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هٰذا بردَّةٍ؛ بل معصيةٌ تحبِطُ العملَ، وصاحبُها لا يشعرُ بها، فما الظنُّ بما قدَّم على قولِ الرسولِ ﷺ وهديِهِ وطريقِهِ قولَ غيره وهديَه وطريقَه؟! أليس هٰذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟ ومن هٰذا قوله ﷺ:

«مَن تركَ صلاةَ العصْر، فقدْ حَبِطَ عمَلُه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣١ ـ الفتح) وغيره؛ من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

ومن هٰذا قول عائشة ـ رضي الله تعالى عنها وعن أبيها ـ لزيد بن أرقم ﷺ لما باع بالعِينة[١]:

«إنه قد أبطل جهادَه مع رسول الله ﷺ؛ إلا أنْ يتوبَ»[٢].

وليس التبايعُ بالعِينةِ رِدَّةً، وإنما غايتُه أنه معصيةٌ!

فمعرفةُ ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفَتِّش عليه العبدُ، ويحرصُ على عمله، ويحذره[٣].

وقد جاء في أثرٍ معروف:

إنَّ العبد ليعمل العمل سراً، لا يطلع عليه أحدٌ إلّا الله ـ تعالى ـ، فيتحدَّث به، فينتقل من ديوان السرّ إلى ديوان العلانية، ثم يصير في ذٰلك الديوان على حسب العلانية، فإن تحدَّث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله ـ تعالى ـ أبطله؛ كما لو فعله لذٰلك.

فإن قيل: فإذا تاب؛ هل يعود إليه ثواب العمل؟

قيل: إن كان قد عمله لغير الله ـ تعالى ـ، وأوقعه بهٰذه النية، فإنه

---

(١) العِيْنة: أن يبيع الرجل سلعة لآخر بثمن إلى أجل مسمًّى، ثم يشتريها منه نقداً بأقل من الثمن الذي باعها به.

(٢) أخرجه الدارقطني (٣/ ٥٢)، والبيهقي (٥/ ٣٣٠) وغيرهما؛ من طرق عن العالية بنت أيفع عنها، به.
والعالية بنت أيفع هي زوجة أبي إسحاق السبيعي، روى عنها زوجها وولدها يونس، ووثقها ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٢٨٩)، وابن سعد، وابن الجوزي وغيرهم؛ فحديثها حسن ـ إن شاء الله ـ.
وقد صححه ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣١)، والعظيم آبادي في «التعليق المغني» (٣/ ٥٢ ـ ٥٣).

(٣) وقد جمعت جلّها في رسالتي: «مبطلات الأعمال في ضوء القرآن الكريم والسنّة الصحيحة»، فلتراجع.

لا ينقلب صالحاً بالتوبة؛ بل حسبُ التوبة أن تمحو عنه عقابه، فيصير لا له ولا عليه.

وأما إن عمله لله ـ تعالى ـ خالصاً، ثم عرض له عُجْب ورياء، أو تحدَّث به، ثم تاب من ذٰلك وندم؛ فهذا قد يعود له ثواب عمله، لا يحبط.

وقد يقال: إنه لا يعود إليه؛ بل يستأنف العمل.

والمسألة مبنية على أصل، وهو أن الردَّة هل تُحْبِطُ العمل بمجرَّدِها، أو لا يحبطه إلا الموت عليها؟!

فيه للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه.

فإن قلنا: تحبط العمل بنفسها؛ فمتى أسلم استأنف العمل، وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام.

وإن قلنا: لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتَداً؛ فمتى عاد إلى الإسلام، عاد إليه ثواب عمله.

وهٰكذا العبد إذا فعل حسنة، ثم فعل سيئة تحبطها، ثم تاب من تلك السيئة؛ هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة؟ يخرج على هٰذا الأصل.

ولم يزل في نفسي من هٰذه المسألة، ولم أزل حريصاً على الصواب فيها، وما رأيت أحداً شفى فيها، والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم، وبه المستعان، ولا قوة إلا به ـ أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل، ويكون الحكم فيها للغالب، وهو يقهر المغلوب، ويكون الحكم له، حتى كأن المغلوب لم يكن.

فإذا غلبت على العبد الحسنات، رفعت حسناتُه الكثيرة سيئاتِه؛ ومتى تاب من السيئة، ترتّب على توبته منها حسناتٌ كثيرة، قد تُرْبي وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة.

فإذا عزمت التوبة وصحت، ونشأت من صميم القلب، أحرقت ما مرّت عليه من السيئات؛ حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وقد سأل حكيم بن حزام ﷺ النبيّ ﷺ عن عتاقة وصلة وبرّ فعله في الشِّرك؛ هل يُثاب عليه؟ فقال النبيّ ﷺ:

«أسلمتَ على ما أسْلَفْتَ مِن خيرٍ»[1].

فهٰذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك؛ فلما تاب من الشرك، عاد إليه ثوابُ حسناتِه المتقدمة.

فهٰكذا إذا تاب العبد توبةً نصوحاً، صادقة، خالصة؛ أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته، يوضح هٰذا أنَّ السيئاتِ والذنوب هي أمراضٌ قلبية؛ كما أن الحمَّى والأوجاع أمراضٌ بدنية، والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة، عادت إليه قوّته وأفضل منها؛ حتى كأنه لم يضعف قطّ.

فالقوة المتقدِّمة بمنزلة الحسنات، والمرض بمنزلة الذنوب، والصحة والعافية بمنزلة التوبة، وكما أن من المرضى مَن لا تعود إليه صحته أبداً؛ لضعف عافيته، ومنهم مَن تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها، ويعود البدن إلى كماله الأول، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط؛ لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض، حتى ربما كان مرض هٰذا سبباً لعافيته؛ كما قال الشاعر:

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَواقِبُهُ ورُبَّما صَحَّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ

فهٰكذا العبد بعد التوبة على هٰذه المنازل الثلاث.

والله الموفق، لا إلٰه غيره، ولا ربّ سواه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣١٠ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ١٤٠، ١٤١، ١٤٢ ـ نووي)، واللفظ له.

فَصْلٌ

[في علامات تعظيم المناهي]

وأما علامات تعظيم المناهي، فالحرص على التباعد من مظانِّها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرِّب منها؛ كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدَع ما لا بأس به، حذراً مما به بأس؛ وأن يجانب الفضول من المباحثات خشية الوقوع في المكاره، ومجانبة مَن يجاهر بارتكابها، ويحسِّنها، ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي ما ركب منها، فإنّ مخالطة مثل هٰذا داعيةٌ إلى سخط الله ـ تعالى ـ وغضبه، ولا يخالطه إلا مَن سقط مِن قلبه تعظيم الله ـ تعالى ـ وحرماته.

ومن علاماتِ تعظيم النهي: أن يغضب لله ﷻ إذا انتُهِكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عُصِيَ الله ـ تعالى ـ في أرضه، ولم يضطلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغيّر ذٰلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حدّ يكون صاحبه جافياً غير مستقيم على المنهج الوسط.

مثال ذٰلك: أنَّ السنَّةَ وردت بالإبراد بالظهر في شدّة الحر، فالترخُّص الجافي أن يبرِدَ إلى فوات الوقت، أو مقاربة خروجه، فيكون مترخّصاً جافياً.

وحكمة هٰذه الرخصة أن الصلاة في شدّة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بتكرُّه وضجر؛ فمِن حكمة الشارع أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر، فيصلّي العبد بقلبٍ حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة، من الخشوع والإقبال على الله ـ تعالى ـ.

ومن هٰذا نهيه ﷺ أن يصلِّي بحضرة الطعام، أو عند مدافعة البول والغائط؛ لتعلق قلبه من ذٰلك بما يشوِّش عليه مقصود الصلاة، ولا يحصل المراد منها.

فمِن فقه الرجل في عبادته، أن يُقْبِلَ على شغله فيعمله، ثم يُفرغ قلبه للصلاة، فيقوم فيها وقد فرَّغ قلبه لله ـ تعالى ـ، ونَصَبَ وجهه له، وأقبل بكلِّيته عليه؛ فركعتان من هٰذه الصلاة يُغْفَرُ للمصلي بهما ما تقدّم من ذنبه.

والمقصود أن لا يترخص ترخصاً جافياً.

ومن ذٰلك: أنه رخّص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر، وتعذّر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير، وتعذر النزول أو تعسره عليه، فإذا قام في المنزل اليومين والثلاثة، أو أقام اليوم، فجمعه بين الصلاتين لا موجب له؛ لتمكّنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقّة، فالجمع ليس سنّة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنّة السفر الجمع، سواء وُجِدَ عذر أم لم يوجد؛ بل الجمع رخصة، والقصر سُنّة راتبة؛ فسنّة المسافر قصر الرباعية، سواء كان له عذر أو لم يكن. وأما جمعه بين الصلاتين؛ فحاجة ورخصة، فهٰذا لون، وهٰذا لون.

ومن هٰذا: أن الشبع في الأكل رخصة غير محرّمة، فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حدّ التُّخمة والامتلاء، فيتطلّب ما يصرف به الطعام، فيكون همّه بطنه قبل الأكل وبعده؛ بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع، ويدع الطعام وهو يشتهيه، وميزان ذٰلك قول النبيّ ﷺ: «ثُلُثٌ لطعامِهِ، وثُلُثٌ لشَرابِهِ، وثُلُثٌ لنفَسِهِ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وأحمد (١٣٢)، والحاكم (٤/ ١٢١)، وابن حبان (١٣٤٩)؛ من طرق عن يحيى بن جابر الطائي، عن المقدام بن =

ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي، فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغالياً فيه حتى يفوت الوقت، أو يردِّد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة، أو يكاد تفوته الركعة، أو يتشدّد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئاً من طعام عامّة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه.

ولقد دخل هٰذا الورع الفاسد على بعض العبَّاد الذين نقص حظّهم من العلم، حتى امتنع أن يأكل شيئاً من بلاد الإسلام، وكان يتقوَّت بما يُحمل إليه من بلاد النصارى، ويبعث بالقصد لتحصيل ذٰلك؛ فأوقعه الجهل المفرط، والغُلُوُّ الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحسن الظنّ بالنصارى، نعوذ بالله من الخذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يعارَضا بترخُّص جاف، ولا يعرضا لتشديدٍ غال؛ فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله ﷻ بسالكه.

وما أُمِرَ الله ﷻ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراطٌ وغُلُوٌّ؛ فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه:

فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً، أخذه من هٰذه الخطة، فثبَّطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذٰلك، حتى ربما ترك العبدُ المأمورَ جملة.

= معدي كرب، مرفوعاً.

قلت: صححه الترمذي والذهبي ـ وسكت عنه الحاكم ـ وهو كما قالا، فإن يحيى بن جابر الطائي ثقة، وقد صرّح بالسماع من المقدام عند أحمد.

وإن وجد عنده حذراً وجدّاً، وتشميراً ونهضة، وأيِس أن يأخذه من هٰذا الباب؛ أمره بالاجتهاد الزائد، وسوَّل له أن هٰذا لا يكفيك، وهمّتك فوق هٰذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تَفْتُرَ إذا فَتَروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات، فاغسل أنت سبعاً؛ وإذا توضأ للصلاة، فاغتسل أنت لها، ونحو ذٰلك من الإفراط والتعدِّي، فيحمله على الغلوِّ والمجاوزة وتعدِّي الصراط المستقيم؛ كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه.

ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هٰذا بأن لا يقربَه ولا يدنو منه، وهٰذا بأن لا يجاوزه ويتعدّاه.

وقد فُتِن بهٰذا أكثرُ الخلق، ولا ينجي من ذٰلك إلا علمٌ راسخٌ، وإيمانٌ، وقوة على محاربته ولزوم الوسط، والله المستعان.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يَحْمِل الأمرَ على علّة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ بل يسلِمُ لأمر الله ﷻ وحكمه، ممتثلاً ما أمر به؛ سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه؛ حمله ذٰلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم، ولا يحمله ذٰلك على الانسلاخ منه وتركه، كما حمل ذٰلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوّف.

فإن الله ﷻ شرع الصلوات الخمس إقامةً لذكره، واستعمالاً للقلب والجوارح واللّسان في العبودية، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية، التي هي المقصود بخلق العبد؛ فوُضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية.

فإن الله ﷻ خلق هٰذا الآدمي، واختاره من بين سائر البرية، وجعل

قلبه محل كنوزه من الإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والمحبة، والحياء، والتعظيم، والمراقبة؛ وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلى وجهه، والفوز برضوانه، ومجاورته في جنّته، وكان مع ذٰلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوّه إبليس لا يفتر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحبّ، فيتّفق هو ونفسه وهواه على العبد: ثلاثة مسلَّطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم، والجوارح آلة منقادة، فلا يمكنها إلا الانبعاث؛ فهٰذا شأن هٰذه الثلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمّموا.

هٰذا مقتضى حال العبد، فاقتضت رحمة ربّه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر، وأمدَّه بمدد آخر يقاوم هٰذا الجند الذي يريد هلاكه:

فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيّده بملَك كريم يقابل عدوّه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمره، أمره الملك بأمر ربه، وبيَّن له ما في طاعة العدو من الهلاك؛ فهٰذا يُلِمُّ به مرة، وهٰذا مرة، والمنصور مَنْ نصره الله ﷻ، والمحفوظ مَنْ حفظه الله ـ تعالى ـ.

وجعل له مقابل نفسه الأمَّارة نفساً مطمئنّة، إذا أمرته النفس الأمَّارةُ بالسوء؛ نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهتهُ الأمَّارة عن الخير؛ أمرته به النفس المطمئنة؛ فهو يطيع هٰذه مرة، وهٰذه مرة، وهو الغالب عليه منهما، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً.

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمَّارة نوراً وبصيرة وعقلاً يردُّه عن الذهاب مع الهوى؛ فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذرَ الحذرَ، فإن

المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامية، وقطّاع الطريق؛ إن سرت خلف هٰذا الدليل.

فهو يطيع الناصح مرة؛ فيبيّن له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة؛ فيقطع عليه الطريق، ويؤخذ ماله، وتُسلب ثيابه؛ فيقول: تُرى من أين أُتيت؟

والعجب أنه يعلم مِن أين أتى، ويعرف الطريق التي قُطعت عليه وأُخذ فيها، ويأبى إلا سلوكها؛ لأن دليلها قد تمكّن منه، وتحكّم فيه، وقوي عليه، ولو أضعفه بالمخالفةِ له، وزجرِهِ إذا دعاه، ومحاربتِهِ إذا أراد أخذه؛ لم يتمكّن منه، ولكن هو مكّنَهُ مِن نفسه، وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوّه؛ فيباشره، ثم يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يُغاث؛ فهٰكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمّارة، ثم يطلب الخلاص، فيعجز عنه.

فلما أن بُلي العبد بما بُلِيَ به؛ أُعين بالعساكر والعُدد والحصون، وقيل: قاتل عدوّك وجاهده، فهٰذه الجنود؛ خذ منها ما شئت، وهٰذه الحصون؛ تحصّن بأيّ حصن شئت منها، ورابط إلى الموت؛ فالأمر قريب، ومدة المرابطة يسيرة جداً، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله، فنقلوك إلى داره، واسترحت من هٰذا الجهاد، وفُرِّقَ بينك وبين عدوّك، وأُطلِقْتَ في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت، وسُجِن عدوّك في أصعب الحبوس وأنت تراه.

فالسجن الذي كان يريد أن يودِعَك فيه؛ قد أُدخِلَه، وأُغلِقت عليه أبوابه، وأيِسَ من الروح والفرج، وأنت فيما اشتهت نفسك، وقرّت عينك؛ جزاءً على صبرك في تلك المدّة اليسيرة، ولزومك الثغر للرباط، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت، وكأن الشدة لم تكن.

فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت، وسرعة انقضائه؛ فليتدبّر قوله ﷻ:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقوله ﷻ:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

وقوله ﷻ:

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٤].

وقوله ﷻ:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٢ ـ ١٠٤].

وخطب النبيُّ ﷺ أصحابه يوماً، فلمّا كانت الشمس على رؤوس الجبال، وذٰلك عند الغروب؛ قال:

«إنه لم يبقَ مِن الدُّنيا فيما مَضَى إلا كَما بقِيَ مِن يومِكُم هٰذا فيما مَضَى منهُ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٣٣): ثنا إسماعيل بن عمر، حدّثني كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن ابن عمر، وذكره مرفوعاً.
قلت: وهٰذا إسناد فيه انقطاع؛ المطلب بن عبد الله لم يسمع من ابن عمر.
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
أخرجه الترمذي (٢١٩١)، وأحمد (٣/ ١٩)؛ من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة عنه مرفوعاً.
قلتُ: وهٰذا إسناد فيه ضعف؛ لأن علي بن زيد ضعيف، لكن يُعتبر به.
فالحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

فلْيتأمّل العاقل الناصح لنفسه هٰذا الحديث، ولْيعلم أيَّ شيء حصل له من هٰذ الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها؛ ليعلم أنه في غرور، وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظٍّ خسيس لا يساوي شيئاً، ولو طلب الله ـ تعالى ـ والدارَ الآخرة؛ لأعطاه ذٰلك الحظَّ هنيئاً موفوراً، وأكمل منه؛ كما في بعض الآثار.

ابن آدم! بعِ الدنيا بالآخرة، تربَحْهُما جميعاً، ولا تبعِ الآخرةَ بالدنيا؛ تَخْسَرْهما جميعاً.

وقال بعض السلف:

ابن آدم! أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة، وكنتَ من نصيب الدنيا على خطر؛ وإن بدأت بنصيبك من الآخرة، فزتَ بنصيبك من الدنيا، فانتظمته انتظاماً.

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول في خطبته:

أيها الناس! إنكم لم تُخْلَقوا عبثاً، ولم تُتركوا سدى، وإنّ لكم معاداً يجمعكم الله ﷻ فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم؛ فخاب وشقي عبد أخرجه الله ﷻ من رحمته التي وَسِعت كل شيء، وجنّته التي عرضها السماوات والأرض، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله ـ تعالى ـ واتّقى، وباع قليلاً بكثير، وفانياً بباقٍ، وشقاوة بسعادة.

ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين، وسيخلفه بعدكم الباقون؟!

ألا ترون أنكم في كل يوم تشيّعون غادياً رائحاً إلى الله قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض، غير موسَّد ولا ممهّد؛ قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟!

والمقصود أن الله ﷻ قد أمدَّ العبد في هٰذه المدة اليسيرة بالجنود،

والعُدد، والأمداد، وبيّن له بماذا يحرز نفسه من عدوِّه، وبماذا يفْتَكُّ نفسه إذا أُسر.

وقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ والترمذي من حديث الحارث الأشعري عن النبيّ ﷺ؛ أنه قال:

«إنَّ الله ﷻ أمَرَ يحيىٰ بن زكريا بخمس كلماتٍ؛ أن يعمَلَ بها، ويأمُرَ بني إسرائيلَ أنْ يَعْمَلوا بها، وأنَّه كادَ أن يُبطئ بها، فقال له عيسى عليه السلام:

إنَّ الله ـ تعالى ـ أمَرَكَ بخمسِ كلماتٍ؛ لتَعْمَلَ بها، وتأمُرَ بني إسرائيل أنْ يَعْمَلُوا بها، فإما أن تأمُرَهُم بها، وإما أن آمُرَهم.

فقال يحيى: أخشى إنْ سَبَقْتَني أنْ يُخْسَفَ بي وأُعذَّب.

فجمع يحيى الناسَ في بيت المقدس، فامتلأ المسجد، وقعدوا على الشرف، فقال:

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أمرني بخمس كلمات أن أعْمَلَهُن، وآمرَكُم أنْ تَعْمَلوا بهنّ:

أوّلهنّ أنْ تَعْبُدوا الله ولا تُشْرِكوا به شيئاً، وإنَّ مَثَلَ مَن أشركَ بالله؛ كمَثَلِ رجلٍ اشترى عبداً من خالصِ مالهِ بذهبٍ أو وَرِقٍ، فقال له: هٰذه داري، وهٰذا عملي؛ فاعمَلْ، وأَدِّ إليَّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيّده، فأيُّكُم يرضى أنْ يكونَ عبدُه كذٰلك؟!

وإنَّ الله أمركم بالصلاةِ، فإذا صلَّيْتُم فلا تَلْتَفِتوا؛ فإنَّ الله ينصبُ وجهَهُ لوجهِ عبده في صلاته؛ ما لم يلتَفِتْ.

وأمركم بالصِّيامِ، فإنَّ مثلَ ذٰلك كمثلِ رجلٍ في عصابةٍ معه صرَّةٌ فيها مِسْكٌ؛ فكلّهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإنَّ ريح الصائم أطيب عند الله ـ تعالى ـ من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذٰلك مثل رجل أسره العدوّ، فأوثقوا يديه إلى عنقه وقدَّموه ليضربوا عنقه، قال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير؛ ففدى نفسه منهم.

وأمركم أنْ تَذْكُروا الله ـ تعالى ـ، فإنَّ مثلَ ذٰلك كمثلِ رجلٍ خرج العدوّ في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصنٍ حصينٍ؛ فأحرز نفسه منهم، كذٰلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله ـ تعالى ـ».

قال النبيّ ﷺ:

«وأنا آمركم بخمسٍ الله أمرني بهنّ: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة؛ فإنه مَن فارق الجماعة قِيد شِبرٍ، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه؛ إلا أن يراجع، ومَن ادَّعى دعوى الجاهلية، فإنه مِن جثا[1] جهنَّم».

فقال رجل: يا رسول الله! وإنْ صلى وصام؟!

قال:

«وإن صام، وصلّى، وزعم أنه مسلم؛ فادعوا بدعوى الله الذي سمَّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله».

قال الترمذي:

هٰذا حديث حسن صحيح[2].

---

(١) الشيء المجموع.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ و٢٨٦٤)، وأحمد (٤/ ٢٠٢)، والحاكم (١/ ٤٢١)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وابن حبان (٦٢٠٠)، والطيالسي (١١٦١)؛ من طريق يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جدِّه ممطور، عن الحارث الأشعري.

وهٰذا إسناد صحيح. =

فقد ذكر ﷺ في هٰذا الحديث العظيم الشأن ـ الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقُّله ـ ما يُنجي من الشيطان، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأُخراه، فذكر مَثَل الموحّد والمشرك؛ فالموحد كمن عمل لسيّده في داره، وأدّى لسيده ما استعمله فيه، والمشرك كمن استعمله سيّده في داره، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيّده.

فهٰكذا المشرك يعمل لغير الله ـ تعالى ـ في دار الله ـ تعالى ـ، ويتقرَّب إلى عدو الله ـ تعالى ـ بنِعَم الله ـ تعالى ـ.

ومعلوم أن العبد من بني آدم، لو كان مملوكه كذٰلك؛ لكان أمقت المماليك عنده، وكان أشدّ شيء غضباً عليه، وطرداً له وإبعاداً، وهو

= **(تنبيه)**:

قال الدكتور العتر في تعليقاته على «النخبة» (ص٣٣):

وهٰذا إسناد صحيح، إلا ما يُخشى من تدليس يحيى بن أبي كثير على ثقته وجلالته، وإلا ما يُخشى من وهم أبي خلف، فإنه كانت له أوهام، لكن هٰذا ينجبر هنا.

قلت: لي عدة مؤاخذات على قوله:

١ ـ صرّح يحيى بن أبي كثير بالتحديث عند ابن حبان، والحاكم (١/ ١١٨).

وتابعه معاوية بن سلام: حدّثني أخي زيد بن سلام، عن جدّه ممطور، عن الحارث به.

أخرجه البيهقي (٢/ ٢٨٢).

٢ ـ أما أبو خلف، فتابعه أبان عن شريد عند: الترمذي، وابن حبان، والحاكم، والطيالسي، وغيرهم.

٣ ـ اقتصر الدكتور على طريق أحمد، ولم يتتبع طرق الحديث... ولا أدري كيف يجسر على الحكم على الأحاديث دون التتبع والاستقراء؟!

٤ ـ ذكر أن وهم أبي خلف ينجبر، لكنه لم يذكر ما يُجبره.

وفي ذٰلك عبرة لكثير من الدكاترة وبعض الناشئة الذين لم يرسخوا ويتضلَّعوا في هٰذا العلم الشريف أن لا يتجاسروا على حديث الرسول ﷺ تصحيحاً وتضعيفاً! ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾... وصدق رسول الله ﷺ حيث قال:

«إذا وُسِّدَ (وفي رواية: أُسند) الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة».

أخرجه البخاري.

مخلوقٌ مثله؛ كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف بربّ العالمين الذي ما بالعبد من نعمة؛ فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلّا هو، ولا يصرف السيئات إلّا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده، ورحمته، وتدبيره، ورزقه، ومعافاته، وقضاء حوائجه، فكيف يليق به ـ مع هٰذا ـ أن يُعْدَلَ به غيره في الحبّ، والخوف، والرجاء، والحلف، والنذر، والمعاملة؛ فيحبّ غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر؟!

وشواهد أحوالهم ـ بل وأقوالهم وأعمالهم ـ ناطقة بأنهم يحبّون أنداده من الأحياء والأموات، ويخافونهم، ويرجونهم، ويعاملونهم، ويطلبون رضاهم، ويهربون من سخطهم؛ أعظم مما يحبُّون الله ـ تعالى ـ ويخافون ويرجون ويهربون من سخطه! وهٰذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ؛ قال الله ـ سبحانه ـ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦].

والظلم عند الله ﷻ يوم القيامة له دواوين ثلاثة:

ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشِّركُ به؛ فإن الله لا يغفر أن يُشرَك به.

وديوان لا يترك الله ـ تعالى ـ منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً؛ فإن الله ـ تعالى ـ يستوفيه كلّه.

وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربّه ﷻ، فإن هٰذا الديوان أخفّ الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفّرة[1] ونحو ذٰلك؛

(١) انظر رسالتي: «مكفرات الذنوب»، نشر دار ابن القيِّم.

بخلاف ديوان الشِّرك، فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمحى إلّا بالخروج منها إلى أربابها، واستحلالهم منها.

ولمّا كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله ﷻ؛ حرَّم الجنّة على أهله، فلا تدخل الجنّةَ نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها؛ فمَنْ لم يكن معه مفتاح، لم يُفْتَح له بابها؛ وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به، وأسنان هٰذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبرّ الوالدين.

فأيّ عبدٍ اتّخذ في هٰذه الدار مفتاحاً صالحاً من التوحيد، وركَّب فيه أسناناً من الأوامر؛ جاء يوم القيامة إلى باب الجنّة ومعه مفتاحها الذي لا يُفتح إلا به، فلم يُعِقْه عن الفتح عائق؛ اللّهمَّ إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هٰذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنه يُحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، وإن لم يطهّره الموقف وأهواله وشدائده، فلا بدّ من دخول النار؛ ليخرج خبثه فيها، ويتطهّر من دَرَنه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنّة، فإنها دار الطيبين، لا يدخلها إلا طيّب.

قال ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

فعقّب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول؛ أي: بسبب طيبتكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النار، فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال، والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين؛ فالله ـ تعالى ـ يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء؛ لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلّا خبيث.

ولمّا كان الناس على ثلاث طبقات: طَيِّب لا يَشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خُبث وطيبٌ؛ كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان.

ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة؛ فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذِّبوا بقدر جزائهم؛ أُخرجوا من النار، فأُدخلوا الجنّة.

ولا يبقى إلّا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض[1].

وقوله في الحديث:

«وأمركم بالصلاة، فإذا صلَّيتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت».

الالتفات المنهيّ عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله ﷻ إلى غير الله ـ تعالى ـ.

والثاني: التفات البصر.

وكلاهما منهيٌّ عنه.

---

(١) لو حملنا الإشكالات التي طرحها أهل العلم على كلام ابن القيّم حول فناء النار على هٰذا التفصيل الصريح؛ لاسترحنا وأرحنا، وعصمنا ألسنتنا وأقلامنا من الخوض في علماء المسلمين... وهٰذا تفصيل طيِّب، تتطاير أمامه كل شبهات أهل الأهواء.

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره؛ أعرض الله ـ تعالى ـ عنه.

وقد سُئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته، فقال:

«اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشيطانُ مِن صلاةِ العَبْدِ»(١).

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوثقه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذٰلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس حاضراً معه، فما ظنّ هٰذا الرجل أن يفعل به السلطان، أفليس أقلّ المراتب في حقّه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه؟!

فهٰذا المصلي لا يستوي والحاضرَ القلب، المقبلَ على الله ـ تعالى ـ في صلاته، الذي قد أشعر قلبه عظمة مَن هو واقفٌ بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته، وذلّت عنقه له، واستحيى من ربّه ـ تعالى ـ أن يُقبل على غيره، أو يلتفت عنه، وبين صلاتيهما؛ كما قال حسان بن عطية:

إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض؛ وذٰلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله ﷻ والآخر ساهٍ غافل، فإذا أقبل العبد على مخلوقٍ مثله، وبينه وبينه حجابٍ، لم يكن إقبالاً ولا تقريباً؛ فما الظنّ بالخالق ﷻ؟!

وإذا أقبل على الخالق ﷻ وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس، والنفس مشغوفة بها، ملأى منها؛ فكيف يكون ذٰلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٤ و٦/ ٣٣٨ ـ فتح) وغيره؛ من حديث عائشة رضي الله عنها.

والعبد إذا قام في الصلاة، غار الشيطان منه، فإنه قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان وأشدّه عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أنْ لا يقيمه فيه؛ بل لا يزال به، يَعِده ويمنّيه ويُنسيه ويجلب عليه بخَيْله ورِجْله، حتى يهوِّن عليه بشأن الصلاة، فيتهاون بها، فيتركها.

فإن عجز عن ذٰلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذٰلك المقام؛ أقبل عدوّ الله ـ تعالى ـ حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويَحُول بينه وبين قلبه، فيذكِّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نَسِيَ الشيء والحاجة، وأيِسَ منها؛ فيذكّره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله ﷻ، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله ـ تعالى ـ وكرامته وقربه ما يناله المُقبل على ربِّه ﷻ الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه، وأثقاله لم تخفَّ عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفِّر سيئات مَن أدّى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله ـ تعالى ـ بقلبه وقالبه.

فهٰذا إذا انصرف منها وجد خفّة مِن نفسه، وأحسّ بأثقال قد وُضعت عنه، فوجد نشاطاً وراحة وروحاً؛ حتى يتمنّى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرّة عينيه، ونعيم روحه، وجنّة قلبه، ومستراحه في الدنيا؛ فلا يزال كأنه في سجنٍ ضيّق حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، فالمحبوبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا؛ كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيّهم:

«يا بلالُ! أرِحْنا بالصلاةِ!»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥)، وأحمد (٥/ ٣٦٤)؛ من طريق مسعر بن كدام، عن عمرو بن مرّة، عن سالم بن الجعد، عن رجل من أسلم؛ أن النبيّ ﷺ: (وذكره).
قلت: وهو صحيح، وجهالة الصحابي لا تضرّ.

ولم يقل: أرحنا منها.

وقال ﷺ:

«جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ»[١].

فمن جُعِلَت قرّة عينه في الصلاة، كيف تقرّ عينه بدونها؟! وكيف يطيق الصبر عنها؟!

فصلاة هٰذا الحاضر بقلبه، الذي قرّة عينه في الصلاة، هي التي تصعد ولها نور وبرهان؛ حتى يستقبل بها الرحمٰن ﷻ.

وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تُلفُّ كما يُلفُّ الثوبُ الخَلِق، ويُضرَب بها وجه صاحبها.

فالصلاة المقبولة والعمل المقبول: أن يصلي العبد صلاة تليق بربِّه ﷻ، فإذا كانت صلاة تصلح لربّه ـ تبارك وتعالى ـ وتليق به؛ كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما: أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله ﷻ، ذاكر الله ﷻ على الدوام؛ فأعمال هٰذا العبد تُعرض على الله ﷻ حتى تقف قبالته، فينظر الله ﷻ إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه، مُرضية، وقد صدرت عن قلبٍ سليم، مخلص، مُحب لله ﷻ متقرّب إليه؛ أحبَّها ورضيها وقبلها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة، وينوي

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٦١)، وأحمد (١٢٨٣، ١٩٩، ٢٨٥) وغيرهما؛ من حديث أنس رضي الله عنه.
وهو حديث صحيح.

بها الطاعة والتقرّب إلى الله؛ فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رُفعت أعمال هٰذا إلى الله ﷻ لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها؛ ولكن تُوضع حيث توضع دواوين الأعمال، حتى تعرض عليه يوم القيامة؛ فتميز، فيُثيبه على ما كان له منها، ويردّ عليه ما لم يرد وجهه به منها.

فهٰذا قَبوله لهٰذا العمل: إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته؛ مِن القصور، والأكل، والشرب، والحُور العين.

وإثابة الأول رضى العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته؛ فهٰذا يعطيه بغير حساب.

فهٰذا لون، والأول لون.

والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه، المفرط؛ وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

الثاني: مَن يحافظ على مواقيتها، وحدودها، وأركانها الظاهرة، ووضوئها؛ لكن قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: مَن حافظ على حدودها، وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوّه؛ لئلّا يسرق صلاته، فهو في صلاةٍ وجهاد.

الرابع: مَن إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها، وأركانها، وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلّا يضيّع شيئاً منها، بل همّه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها، وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة، وعبودية ربّه ـ تبارك وتعالى ـ فيها.

الخامس: مَن إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذٰلك، ولكن مع هٰذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربّه ﷻ ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له، ممتلئاً من محبّته وعظمته؛ كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلّت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حُجُبها بينه وبين ربّه؛ فهٰذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهٰذا في صلاته مشغولٌ بربّه ﷻ قرير العين به.

فالقسم الأول معاقَب، والثاني محاسَب، والثالث مكفَّر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرّب من ربِّه؛ لأن له نصيباً ممَّن جُعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا قرّت عينه بقربه من ربِّه ﷻ في الآخرة، وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا، ومَن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومَن لم تقرّ عينه بالله ـ تعالى ـ تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

فَصْلٌ

[القلوب ثلاثة]

وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربِّه ﷻ إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلبٌ قد قهرته الشهوة، وأسرَه الهوى، ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكّن فيه؛ كيف يَخْلُصُ من الوساوس والأفكار؟!

والقلوب ثلاثة:

القلب الأول: قلبٌ خالٍ من الإيمان وجميع الخير؛ فذٰلك قلب مظلم، قد استراح من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً، وتحكَّم فيه بما يريد، وتمكَّن منه غاية التمكن.

القلب الثاني: قلبٌ قد استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية؛ فللشيطان هناك إقبال وإدبار، ومجالات ومطامع، فالحرب دُوَل وسجال.

وتختلف أحوال هٰذا الصنف بالقلّة والكثرة؛ فمنهم مَن أوقات غلبته لعدوّه أكثر، ومنهم مَن أوقات غلبة عدوّه له أكثر، ومنهم مَن هو تارة وتارة.

القلب الثالث: قلبٌ محشوٌّ بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حُجُب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات؛ فلنوره في صدره إشراق، ولذٰلك الإشراق إيقاد، لو دنا منه الوساوس احترق به، فهو كالسماء التي حُرِست بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطّاها رُجِم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله ـ تعالى ـ له أتمّ من حراسة السماء، والسماء متعبَّد الملائكة، ومستقرُّ الوحي، وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان، وفيه أنوارها؛ فهو حقيق أن يُحْرَس ويُحفظ من كيد العدوّ، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفة.

وقد مُثِّل ذٰلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت:

بيتٌ للملك: فيه كنوزه، وذخائره، وجواهره.

وبيتٌ للعبد: فيه كنوز العبد، وذخائره، وجواهره، وليس جواهر الملك وذخائره.

وبيتٌ خالٍ صفر: لا شيء فيه.

فجاء اللصّ يسرق من أحد البيوت، فمن أيِّها يسرق؟

فإن قلت: من البيت الخالي، كان محالاً؛ لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يُسْرق، ولهٰذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما:

إن اليهود تزعم أنها لا تُوَسْوس في صلاتها.

فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟!

وإن قلت: يسرق من بيت الملك، كان ذٰلك كالمستحيل الممتنع، فإن عليه من الحرس واليَزك[1] ما لا يستطيع اللصُّ الدنوَّ منه، كيف وحارسه الملك بنفسه؟! وكيف يستطيع اللصّ الدنوّ منه وحوله من الحرس والجند ما حوله؟!

فلم يبق للصِّ إلا البيت الثالث، فهو الذي يشنّ عليه الغارات.

فليتأمّل اللبيب هٰذا المثال حقّ التأمل، وليُنزله على القلوب؛ فإنها على منواله.

فقلبٌ خلا من الخير كلّه، وهو قلب الكافر والمنافق؛ فذٰلك بيت الشيطان، قد أحرزه لنفسه، واستوطنه، واتّخذه سكناً ومستقراً، فأيّ شيء يسرق منه وفيه خزائنه، وذخائره، وشكوكه، وخيالاته ووساوسه؟!

وقلبٌ قد امتلأ من جلال الله ﷻ وعظمته، ومحبّته، ومراقبته، والحياء منه؛ فأي شيطان يجترئ على هٰذا القلب؟! وإن أراد سرقة شيء منه، فماذا يسرق؟!

وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب، يحصل له على غِرَّة من العبد وغفلة لا بدّ له منها؛ إذ هو بشر، وأحكام البشرية جارية عليه؛ من الغفلة، والسهو، والذهول، وغلبة الطبع.

وقلبٌ فيه توحيد الله ـ تعالى ـ ومعرفته، ومحبته، والإيمان به، والتصديق بوعده، وفيه شهوات النفس وأخلاقها، ودواعي الهوى والطبع.

---

(١) كلمة فارسية، معناها: طليعة الجيش.

وقلبٌ بين هٰذين الداعيين؛ فمرّة يميل بقلبه داعي الإيمان، والمعرفة، والمحبة لله ـ تعالى ـ وإرادته وحده، ومرّة يميل بقلبه داعي الشيطان، والهوى، والطباع.

فهٰذا القلب للشيطان فيه مطمع، وله منه منازلات ووقائع، ويعطي الله النصر مَن يشاء.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وهٰذا لا يتمكّن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل إليه الشيطان، فيجد سلاحه عنده، فيأخذه ويقاتله به، فإنّ أسلحته هي الشهوات، والشبهات، والخيالات، والأماني الكاذبة، وهي في القلب؛ فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة، فيأخذها ويصول بها على القلب، فإن كان عند العبد عدّة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدّة وتزيد عليها؛ انتصف من الشيطان، وإلا فالدولة لعدوّه عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا أذن العبد لعدوّه، وفتح له باب بيته، وأدخله عليه، ومكّنه من السلاح يقاتله به؛ فهو الملوم.

فنَفْسَكَ لُمْ ولا تَلُمِ المَطايا ومُتْ كَمَداً فَلَيْسَ لكَ اعْتِذَارُ

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذي ذكر ما يُحْرِزُ العبدَ من عدوّه:

قوله ﷺ:

«وأمركم بالصيام، فإن مثل ذٰلك مثل رجل في عصابة، معه صرة فيها مسك؛ فكلُّهم يعجب أو يعجبه ريحه، وإنّ ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك».

إنما مثّل ﷺ ذٰلك بصاحب الصرة التي فيها المسك؛ لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهٰكذا الصائم؛

صومه مستورٌ عن مشاهدة الخلق، لا تُدركه حواسهم، والصائم هو الذي صامَتْ جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث؛ فإن تكلم لم يتكلّم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يُفسد صومه، فيخرج كلامه نافعاً صالحاً، وكذٰلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمّها مَنْ جالس حامل المسك؛ كذٰلك مَن جالس الصائم انتفع بمجالسته، وأمن فيها من الزُّور، والكذب، والفجور، والظلم.

هٰذا هو الصوم المشروع، لا مجرّد إمساك عن الطعام والشراب.

ففي الحديث الصحيح:

«مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ، والعَمَلَ بهِ، والجهلَ؛ فليس لله حاجة أن يدعَ طعامَه وشرابهُ»[(١)].

وفي الحديث:

«رُبَّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش»[(٢)].

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام؛ فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهٰكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيِّره بمنزلة مَن لم يصم.

وقد اختلف في وجود هٰذه الرائحة من الصائم، هل هي في الدنيا أو في الآخرة؟ على قولين:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٧٣ ـ فتح) وغيره؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦٩٠)، وأحمد (٢/ ٣٧٣)، والحاكم (١/ ٤٣١)، والبيهقي (٤/ ٢٧٠)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.
وهو حديث صحيح.

ووقع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد عز الدين بن عبد السلام وأبي عمرو ابن الصلاح في ذٰلك تنازع.

فمال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة، وصنَّف فيه مصنفاً.

ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذٰلك في الدنيا والآخرة، وصنف فيه مصنفاً ردَّ على أبي محمد[١].

وسلك أبو عمرو في ذٰلك مسلك أبي حاتم ابن حبان، فإنه في «صحيحه» بوَّب عليه كذٰلك، فقال:

«ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله ـ تعالى ـ من ريح المسك».

ثم ساق حديث الأعمش عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ:

«كلُّ عمل ابن آدم له؛ إلا الصيام، والصيام لي وأنا أجزي به؛ ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة»[٢].

ثم ساق حديثاً من حديث ابن جريج، عن عطاء، عن أبي صالح الزيات؛ أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. والذي نفسي بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا

---

(١) وكان بينهما مساجلات علمية كثيرة، منها أيضاً ما وقع بينهما حول صلاة الرغائب المبتدعة، وهي مطبوعة متداولة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٦٩ ـ فتح)، ومسلم (٨/ ٢٩ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لقي الله ـ تعالى ـ فرح بصومه»[١].

قال أبو حاتم:

شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا، فرقاً بينهم وبين سائر الأُمم، وشعارهم في القيامة بصومهم: طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك؛ ليعرفوا من بين ذٰلك الجمع بذٰلك العمل، جعلنا الله ـ تعالى ـ منهم.

ثم قال:

«ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضاً أطيب من ريح المسك في الدنيا»[٢].

ثم ساق من حديث شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ:

«كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، يقول الله ﷻ: إلا الصوم، فهو لي وأنا أجزي به؛ يَدَع الطعام من أجلي، والشراب من أجلي وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربّه ﷻ؛ ولخلوف فم الصائم ـ حين يخلف ـ من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك»[٣].

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة.

قلت: ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه:

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨ ـ فتح)، ومسلم (٨/ ٣٠ ـ ٣١ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (٥/ ١٧٨)، طبعة دار الفكر.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٣١ ـ نووي).

«والذي نفسي بيده، ما من مكلوم يكلم في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وكَلْمه يدمى، اللّون لون دم، والريح ريح مسك»[١].

فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل الله ﷻ بأنها كريح المسك يوم القيامة، وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم، فإن الحسّ يدل على أن هٰذا دم في الدنيا، وهٰذا خلوف له؛ ولكن يجعل الله ـ تعالى ـ رائحة هٰذا وهٰذا مسكاً إلى يوم القيامة.

واحتجّ الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم في «صحيحه» من تقييد ذٰلك بوقت إخلافه؛ وذٰلك يدل على أنه في الدنيا، فلما قُيِّد المبتدأ وهو: «خلوف فم الصائم» بالظرف، وهو قوله: «حين يخلف»، كان الخبر عنه، وهو قوله: «أطيب عند الله»، خبراً عنه في حال تقييده، فإن المبتدأ إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف، كان الخبر عنه حال كونه مقيداً؛ فدلّ على أن طيبه عند الله ـ تعالى ـ ثابت حال إخلافه.

ثم ذكر كلام الشرّاح في معنى طيبه، وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم، والرضى بفعله، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة؛ حتى كأنه قد بورك فيه، فهو موكل به، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله، والرضى بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟

وكثيرٌ من هٰؤلاء ينشئ للفظ معنى، ثم يدَّعي إرادة ذٰلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذٰلك اللفظ في المعنى الذي عيّنه، أو احتمال اللغة له.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٠ ـ فتح)، ومسلم (١٣/ ١٩ ـ ٢٠ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعلوم أن هٰذا يتضمن الشهادة على الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذٰلك معلوماً بوضع اللفظ لذٰلك المعنى، أو عُرف الشارع وعادته المطّردة أو الغالبة باستعمال ذٰلك اللفظ في هٰذا المعنى، أو تفسيره له به؛ وإلا كانت شهادة باطلة، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك، فمثَّل النبيّ ﷺ هٰذا الخلوف عند الله ـ تعالى ـ بطيب رائحة المسك عندنا، وأعظم.

ونسبة استطابة ذٰلك إليه ﷻ كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين؛ كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبّه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذٰلك؛ كما أن ذاته ﷻ لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم، وأفعاله لا تشبه أفعالهم، وهو ﷻ يستطيب الكلم الطيّب فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هٰذه الاستطابة كاستطابتنا.

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال؛ إذ ما استشكله هٰؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرضى، فإن قال: رضى ليس كرضى المخلوقين؛ فقولوا: استطابة ليست كاستطابة المخلوقين.

وعلى هٰذا جميع ما يجيء من هٰذا الباب[1].

ثم قال: وأما ذكر يوم القيامة في الحديث؛ فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة، طلباً لرضى الله ـ تعالى ـ، حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة، كما في المسجد والصلوات وغيرها من العبادات، فخُصَّ

---

(١) أي: باب الأسماء والصفات، وكلام المصنف أصل في هٰذا التوحيد.

يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات؛ كما خُصَّ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [العاديات: ١١]، وأُطلق في باقيها؛ نظراً إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين.

قلت: من العجب ردّه على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره، فإن الذي فسّر به الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء الله ـ تعالى ـ على الصائمين، ورضاه بفعلهم، أمرٌ لا ينكره مسلم؛ فإن الله ـ تعالى ـ قد أثنى عليهم في كتابه، وفيما بلَّغه عنه رسوله ﷺ، ورَضِيَ بفعله، فإن كانت هٰذه هي الاستطابة؛ فيرى الشيخ أبو محمد لا ينكرها، والذي ذكره الشيخ أبو محمد أن هٰذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد، ويكون كرائحة المسك، ولا ريب أن ذٰلك يوم القيامة، فإن الصائم في ذٰلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك؛ كما يجيء المكلوم في سبيل الله ﷻ ورائحة دمه كذٰلك، لا سيما والجهاد أفضل من الصيام، فإن كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة؛ فكذٰلك الصائم.

وأما قوله: «لخلوف فم الصائم حين يخلف»، فهٰذا الظرف تحقيق للمبتدأ، أو تأكيد له، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه؛ لا مجازه ولا استعارته، وهٰذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد، وصلاته حين يصلي، يجزيه الله ـ تعالى ـ بها يوم القيامة، ويرفع بها درجته يوم القيامة، وهٰذا قريب من قوله ﷺ:

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ٤١ ـ ٤٢ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط، بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان؛ بل هٰذا النفي مستمر إلى حين التوبة، وإلا فما دام مصراً، وإن لم يباشر الفعل؛ فالنفي لاحق به، ولا يزول عنه اسم الذمّ والأحكام المترتّبة على المباشرة، إلا بالتوبة النصوح، والله ﷻ أعلم.

وفصل النزاع في المسألة أن يقال:

حيث أخبر النبيّ ﷺ بأن ذٰلك الطيب يكون يوم القيامة؛ فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذٰلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر، وتبدو على الوجوه، وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار، وسواد وجوههم.

وحيث أخبر بأن ذٰلك حين يخلف وحين يمسون؛ فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبُها على ريح المسك عند الله ـ تعالى ـ وعند ملائكته، وإن كانت الرائحة كريهة للعباد؛ فرُبّ مكروه عند الناس محبوب عند الله ـ تعالى ـ وبالعكس. فإن الناس يكرهونه؛ لمنافرته طباعهم، والله ـ تعالى ـ يستطيبه ويحبه؛ لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هٰذا الطيب للعباد، وصار علانية.

وهٰكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها علانية في الآخرة، وقد يقوى العمل ويتزايد، حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر؛ كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس:

إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وقوة في البدن، وسَعَةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق؛ وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق.

وقال عثمان بن عفان:

ما عَمِل رجل عملاً إلا ألبسه الله ـ تعالى ـ رداءَه؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

وهٰذا أمرٌ معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إن الرجل الطيب البرّ لتشمّ منه رائحة طيبة، وإن لم يمسَّ طيباً؛ فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشمّ لا هٰذا ولا هٰذا؛ بل زكامه يحمله على الإنكار.

فهٰذا فصل الخطاب في هٰذه المسألة، والله ﷻ أعلم بالصواب.

فَصْلٌ

[وأمركم بالصدقة]

«وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذٰلك مثل رجل أسره العدوّ، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم».

هٰذا أيضاً من الكلام الذي برهانُه وجودُه، ودليلُه وقوعُه؛ فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر، أو ظالم؛ بل من كافر، فإن الله ـ تعالى ـ يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهٰذا أمرٌ معلوم عند الناس، خاصتهم وعامّتهم، وأهلُ الأرض كلُّهم مقرُّون به؛ لأنهم جرَّبوه.

وقد روى الترمذي في «جامعه» من حديث أنس بن مالك؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

«إن الصدقة تطفئ غضب الربّ، وتدفع ميتة السوء»[(١)].

وكما أنها تطفئ غضب الربّ ـ تبارك وتعالى ـ، فهي تطفئ الذنوب والخطايا كما يطفئ الماءُ النارَ.

وفي «الترمذي» عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقال:

«ألا أدلّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين[(٢)]، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦]»[(٣)].

وفي بعض الآثار:

باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة.

وفي تمثيل النبيّ ﷺ ذٰلك بمن قُدِّمَ لِيُضْرَبَ عنقُه، فافتدى نفسه منهم بماله كفايةٌ، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله ـ تعالى ـ، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه من العذاب، وتفكّه منه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٤)، وابن حبان (٨١٦ ـ موارد)، والبغوي في «شرح السنّة» (٦/ ١٣٣) وغيرهم.
وفي إسناده عبد الله بن عيسى الخزاز؛ ضعيف، وعنعنة الحسن البصري.
وله طرق أخرى كلها ضعيفة ضعفاً لا يجبره.
لكن شطره الأول قوي، له شواهد كثيرة خرّجتها في «تأويل مختلف الحديث».

(٢) جملة «شعار الصالحين» ليست في نسخ الترمذي المطبوعة التي وقفتُ عليها.

(٣) جزء من حديث معاذ الطويل، أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٢٩٧٣) وغيرهما، وهو صحيح بطرقه.

ولهذا قال النبيّ ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساءَ يوم العيد:

«يا معشرَ النساءِ! تَصَدَّقْنَ ولو مِن حُلِيِّكُن، فإني رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النار»[١].

وكأنه حثَّهنّ ورغَّبهنّ على ما يفدين به أنفسهنّ من النار.

وفي «الصحيحين» عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما مِنْكُم من أحدٍ إلا سيكَلِّمَه ربُّه ليس بينَه وبينَه تَرْجُمان، فينظرُ أيمَنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّمَ؛ وينظرُ أشأمَ منهُ، فلا يرى إلا ما قَدَّمَ؛ وينظر بينَ يديهِ، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِهِ، فاتَّقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرة»[٢].

وفي حديث أبي ذرّ؛ أنه قال:

سألت رسول الله ﷺ: ماذا يُنجي العبد من النار؟

قال: «الإيمان بالله».

قلت: يا نبيّ الله! مع الإيمان عمل؟

قال: «أن تَرْضَخَ ممَّا خوَّلَكَ الله، أو ترضَخَ ممّا رزَقَكَ الله».

قلت: يا نبي الله! فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟

قال: «يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر».

قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٣٠ و٦٣١ ـ التحفة)، والحاكم (٤/٦٠٣)؛ من طريق الأعمش: سمعت أبا وائل يحدّث عن عمرو بن الحارث، عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود.
قلت: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣/٢٨١ ـ فتح)، ومسلم (٧/١٠١ ـ نووي).

قال: «فلْيُعِنِ الأخْرَقَ».

قلتُ: يا رسول الله! أرأيتَ إنْ كان لا يُحسن أن يصنع؟

قال: «فلْيُعِنْ مَظلوماً».

قلت: يا رسول الله! أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يُعينَ مظلوماً؟

قال: «ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟! ليُمْسِك أذاه عن الناس».

قلت: يا رسول الله! أرأيت إن فعل هٰذا يدخل الجنة؟

قال: «ما من مؤمن يصيب خَصْلَةً من هٰذه الخصال؛ إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة»(١).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال:

ضربَ رسول الله ﷺ مثَلَ البخيل والمُتَصَدِّقِ كمَثَلِ رجلينِ عليهما جُبَّتانِ من حديدٍ، أو جُنَّتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثديِّهما وتراقيهما، فجعل المتصدّقُ كلما تصدَّق بصدقةٍ انبسطت عنه حتى تغشّي أنامِلَهُ وتعفوَ أثره؛ وجعلَ البخيلُ كلما همَّ بصدقة قلُصَتْ وأخذت كل حلقة مكانها.

قال أبو هريرة:

فأنا رأيتُ رسول الله ﷺ يقول بأصبعه هٰكذا في جيبه، فلو رأيته يوسعها ولا تتّسع(٢).

ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان، ممنوعاً عن البرّ والخير؛

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٤٨ ـ فتح) باختصر منه.

(٢) البخاري (١٠/ ٢٦٧ ـ فتح)، ومسلم (٧/ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ نووي)، والسياق له.

كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيّق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهمّ والغمّ والحزن، لا يكاد تُقضى له حاجة، ولا يُعان على مطلوب؛ فهو كرجل عليه جبّة من حديد، قد جُمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكّن من إخراجها ولا حركتها، وكلّما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبّة، لزمت كل حلقة من حلقها موضعها؛ وهكذا البخيل كلّما أراد أن يتصدق منعه بخله، فبقي قلبه في سجنه كما هو.

والمتصدّق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتّساع تلك الجبّة عليه؛ فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره.

ولو لم يكن في الصدقة إلا هٰذه الفائدة وحدها؛ لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها، والمبادرة إليها.

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦].

وكان عبد الرحمٰن بن عوف ـ أو سعد بن أبي وقاص ـ يطوف بالبيت، وليس له دأب إلّا هٰذه الدعوة:

ربِّ قِني شُحَّ نفسي، ربِّ قِني شُحَّ نفسي.

فقيل له: أما تدعو بغير هٰذه الدعوة؟

فقال: إذا وُقيتُ شُحَّ نفسي، فقد أفلحت.

والفرق بين الشحّ والبخل؛ أن:

الشحّ: هو شدّة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه.

والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبّه وإمساكه؛ فهو شحيح قبل حصوله، بخيلٌ بعد حصوله.

فالبخل ثمرة الشحّ، والشحّ يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس؛ فمن بخل فقد أطاع شحّه، ومن لم يبخل فقد عصى شحّه ووُقي شرّه، وذٰلك هو المفلح:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦].

والسخيّ قريب من الله ـ تعالى ـ ومن خلقه، ومن أهله، وقريب من الجنة، وبعيد من النار؛ والبخيل بعيد من خلقه، بعيد من الجنّة، قريب من النار؛ فجود الرجل يحبّبه إلى أضداده، وبخله يُبغضه إلى أولاده.

ويُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ في النَّاسِ بُخْلُهُ ... ويَسْتُرُهُ عنْهُمْ جَميعاً سَخاؤُهُ
تَغَطَّ بِأَثْوابِ السَّخاءِ فإِنَّني ... أَرى كُلَّ عَيْبٍ فالسَّخاءُ غِطاؤهُ
وقارِنْ إِذا قارَنْتَ حُرّاً فإِنَّما ... يَزينُ ويُزْري بالفَتى قُرَناؤهُ
وأَقْلِلْ إذا ما اسْطَعْتَ قَوْلاً فإِنَّهُ ... إذا قَلَّ قَوْلُ المَرْءِ قَلَّ خَطاؤُهُ[1]
إذا قَلَّ مالُ المَرْءِ قَلَّ صَديقُهُ ... وضاقَتْ علَيْهِ أَرْضُهُ وسَماؤُهُ
وأَصْبَحَ لا يَدْري وإِنْ كانَ حازِماً ... أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَراؤُهُ
إذا المَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَديقاً لنَفْسِهِ ... فنادِ بِهِ في النَّاسِ هٰذا جَزاؤهُ

وحدُّ السخاء: بذل ما يُحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذٰلك إلى مستحقّه بقدر الطاقة، وليس ـ كما قال بعض من نقص علمه ـ

---

(١) ورد الشطر الأول في المطبوع: «وَأَقْلِلْ إِذَا ما استطعَت قَوْلاً فإِنَّه»، ولا يستوي الوزن إلا بما أثبته.

حدّ الجود: بذل الموجود، ولو كان كما قال هٰذا القائل؛ لارتفع اسم السّرف والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمّهما، وجاءت السنّة بالنهي عنهما.

وإذا كان السخاء محموداً، فمن وقف على حدِّه سُمِّي كريماً، وكان للحمد مستوجباً؛ ومن قصر عنه كان بخيلاً، وكان للذمّ مستوجباً، وقد رُوي في أثر:

إن الله ﷻ أقسم بعزّته ألّا يجاوره بخيل.

والسخاء نوعان:

فأشرفهما: سخاؤك عما بيد غيرك.

والثاني: سخاؤك ببذل ما في يدك.

فقد يكون الرجل من أسخى الناس، وهو لا يعطيهم شيئاً؛ لأنه سخا عما في أيديهم، وهٰذا معنى قول بعضهم:

السخاء أن تكون بمالك متبرِّعاً، وعن مال غيرك متورِّعاً.

وفي الصحيح:

«إنَّ الله ـ تعالى ـ وِتْرٌ يحبُّ الوِتْرَ»[(١)].

وهو ﷻ رحيمٌ يحبّ الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرُّحماء، وهو سِتِّير يحبّ من يستر على عباده، وعفوٌّ يحب مَن يعفو عنهم، وغفورٌ يحب مَن يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظَّ الغليظ القاسي الجعظريَّ[(٢)] الجَوَّاظ[(٣)]، ورفيق يحبّ الرفق، وحليمٌ يحب الحلم، وبَرٌّ يحب البرّ وأهله، وعَدْلٌ يحب العدل، وقابل المعاذير يحب مَن يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هٰذه الصفات فيه وجوداً وعدماً:

---

(١) البخاري (١١/ ٢١٤ ـ فتح)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) الفظّ الغليظ.

(٣) الجموع المنوع.

فمَن عفا عفا عنه، ومَن غفر غفر له، ومَن سامح سامحه، ومَن حاقق حاققه، ومَن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رَحِمه، ومَن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جادَ عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبّع عورتهم تتبّع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاقّ شاق الله ـ تعالى ـ به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومَن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله ـ تعالى ـ بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة.

فالله ـ تعالى ـ لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه، ولهٰذا جاء في الحديث:

«مَن ستَرَ مسلماً ستره الله ـ تعالى ـ في الدنيا والآخرة، ومَن نفَّسَ عن مؤمن كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نفَّسَ الله ـ تعالى ـ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القيامة، ومَن يسَّرَ على معسِرٍ يسَّر الله ـ تعالى ـ حسابه»[(١)].

و«مَن أقال نادماً؛ أقالَ الله ـ تعالى ـ عثرتَهُ»[(٢)].

و«مَن أنظرَ مُعْسِراً، أو وضع عنه؛ أظلّه الله ـ تعالى ـ في ظلّ عرشه»[(٣)].

لأنه لما جعله في ظلّ الإنظار والصبر، ونجّاه من حرِّ المطالبة، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه؛ نجّاه الله ـ تعالى ـ من حرِّ الشمس يوم القيامة إلى ظلّ العرش.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٢١ ـ نووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٥٢)، وابن حبان (١١٠٣، ١١٠٤)، والحاكم (٢/ ٤٥)؛ من طريقين عن أبي هريرة.
وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٨/ ١٣٣ ـ ١٤٧ ـ نووي) في حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر.

وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره، عن النبيّ ﷺ؛ أنه قال في خطبته يوماً:

«يا معشَرَ مَن آمَنَ بلسانِهِ ولم يدخُلِ الإيمانُ إلى قلبِهِ! لا تُؤْذوا المسلمينَ، ولا تَتَّبِعوا عوراتِهِم، فإنَّه مَن تتبَّعَ عورةَ أخيهِ؛ يَتَّبِعِ الله عورتَهُ، ومَن يتَّبِعِ الله عورتَه يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِهِ»[1].

فكما تَدينُ تُدانُ، وكن كيفَ شئتَ؛ فإن الله ـ تعالى ـ لك كما تكون أنت له ولعبادِه.

ولما أظهر المنافقون الإسلام، وأسرُّوا الكفر؛ أظهر الله ـ تعالى ـ لهم يوم القيامة نوراً على الصراط، وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط، وأسرَّ لهم أن يُطْفَأ نورُهم، وأن يُحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم.

وكذلك مَن يُظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه، فإن الله ـ تعالى ـ يُظهر له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز، ويُبطن له خلافها.

وفي الحديث:

«مَن راءى؛ راءى الله به، ومَن سمَّعَ؛ سمَّعَ الله بهِ»[2].

والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل الممسك، ويوسع عليه في ذاته، وخلقه، ورزقه، ونفسه، وأسباب معيشته؛ جزاءً له من جنس عمله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٠١)؛ من حديث ابن عمر.
وهو صحيح.
وله شاهد من حديث أبي برزة الأسلمي.
أخرجه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١، ٤٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ـ فتح)، ومسلم (١٨/ ١١٦ ـ نووي).

فَصْلٌ

[وأمركم أن تذكروه]

وقوله ﷺ:

«وأمركم أن تذكروا الله ـ تعالى ـ، فإن مثلَ ذٰلك مثلُ رجلٍ خرج العدوّ في أثرهِ سِراعاً، حتى إذا أتى إلى حصنٍ حصينٍ، فأحرز نفسه منهم؛ كذٰلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان؛ إلّا بذكر الله».

فلو لم يكن في الذِّكر إلا هٰذه الخصلة الواحدة؛ لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله ـ تعالى ـ، وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوِّه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدوّ إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله ـ تعالى ـ انخنس عدوّ الله وتصاغر وانقمع، حتى يكون كالوصع[1]، وكالذباب؛ ولهٰذا سُمِّي الوسواس الخناس؛ أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذُكر الله ـ تعالى ـ خنس، أي: كفّ وانقبض.

وقال ابن عباس:

الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله ـ تعالى ـ خنس.

وفي «مسند الإمام أحمد» عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة؛ أنه بلغه عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما عَمِل آدمي عملاً قطّ أنجى له من عذاب الله من ذِكر الله ﷻ»[2].

---

(١) طائر أصغر من العصفور.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٦٣٩) بإسناد منقطع من حديث معاذ. =

وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أُخبركم بخير أعمالِكم وأزكاها عند مَليكِكُم، وأرفعها في دَرَجاتِكم، وخيرٌ لكم من إنفاقِ الذَّهب والفضَّةِ، ومن أن تلقَوْا عدوّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله!

قال: «ذكر الله ﷻ»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكّة، فمرّ على جبل يقال له: جُمْدان، فقال:

«سِيروا، هٰذا جُمْدانُ، سبَقَ المُفَرِّدُونَ».

قيل: وما المفرِّدون يا رسول الله؟

قال: «الذَّاكِرونَ الله كثيراً والذَّاكراتُ»[(٢)].

وفي «السنن» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِن قومٍ يقومونَ مِن مجلسٍ لا يذكرون الله ـ تعالى ـ فيه؛ إلا قاموا عن مِثْلِ جِيفَةِ حمارٍ، وكانَ عليهم حَسْرةً»[(٣)].

= وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله.
أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٧٧)، وفيه عنعنة أبي الزبير.
فالحديث بهما ثابت.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٩)؛ من حديث معاذ، بإسناد منقطع.
وله شاهد.
أخرجه الترمذي (٣٤٣٧ ـ تحفة)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم (١/ ٤٩٦)، وأحمد (٥/ ١٩٥)؛ من حديث أبي الدرداء، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٧/ ٤ ـ نووي).
وقد أوعبتُ في تخريجه في «الوصية الصغرى» (٢٤)، فليُنظر.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٣٨٩ و٤٩٤ و٥٢٧)، والحاكم (١/ ٤٩٢)؛ من حديث أبي هريرة. =

وفي رواية الترمذي:

«ما جَلَسَ قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يُصَلُّوا على نبيِّهم؛ إلا كان عليهم تِرَةً، فإنْ شاءَ عذَّبَهم، وإن شاءَ غَفَر لهم»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عن الأغرِّ أبي مسلم، قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ؛ أنه قال:

«لا يقعدُ قومٌ في مجلسٍ يذكرونَ الله فيه؛ إلا حَفَّتْهُمُ الملائكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرحمةُ، ونزلتْ عليهِمُ السكينةُ، وذكرهُمُ الله فيمن عنده»[(٢)].

وفي الترمذي، عن عبد الله بن بسر؛ أن رجلاً قال:

يا رسول الله! إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلِّها؛ فأخبرني بما شئت أتشبَّثُ به، ولا تُكثر عليَّ فأنسى.

وفي رواية:

إنّ شرائعَ الإسلامِ قد كَثُرَتْ عليَّ، وأنا قد كبرتُ، فأخبرني بشيء أتشبثُ به.

قال: «لا يزالُ لِسانُكَ رَطْباً بذكرِ الله ـ تعالى ـ»[(٣)].

= قال الحاكم:
على شرط مسلم.
ووافقه الذهبي.
قلت: وهو كما قالا.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٤٠ ـ تحفة)، وأحمد (٢/ ٤٤٦ و٤٥٣ و٤٨١ و٤٩٥)، والحاكم (١/ ٤٩٦).
وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٧/ ٢١ ـ ٢٢ ـ نووي).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٣٥ ـ تحفة)، وابن ماجه (٢٧٩٣)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وابن حبان (٢٣١٧ ـ موارد).
وهو صحيح.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي موسى، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَثَلُ الذي يذكرُ ربَّه والذي لا يذكُرُ ربَّهُ مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ»(١).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه؛ ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ؛ ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهم، وإنْ تقرَّب إليَّ شِبْراً تقرَّبتُ إليه ذِراعاً، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعاً؛ تقرَّبْتُ منه باعاً، وإذا أتاني يمشي؛ أتيتُه هرولةً»(٢).

وفي الترمذي عن أنس؛ أنّ رسول الله ﷺ قال:

«إذا مَرَرْتُم برياضِ الجنَّةِ، فارْتَعوا».

قالوا: يا رسول الله! وما رياضُ الجنّة؟

قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ»(٣).

فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون.

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

فأمرهم بالذِّكر الكثير والجهاد معاً؛ ليكونوا على رجاء من الفلاح.

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١].

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٠٨ ـ فتح)، ومسلم (٦/ ٦٨ ـ نووي).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٥١١ ـ ٥١٢ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٢ ـ ٣ و١١ و١٢ ـ نووي).

(٣) حسن بشواهده؛ كما بيّنته في تخريج أحاديث «جزء محمد بن عاصم عن شيوخه» (٣٥)، وهو قيد الطبع.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أي: كثيراً.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ففيه الأمر بالذِّكر بالكثرة والشدّة؛ لشدّة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله ﷻ؛ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله.

وقال بعض العارفين:

لو أقبل عبد على الله ـ تعالى ـ كذا وكذا سنةً، ثم أعرض عنه لحظة؛ لكان ما فاته أعظم مما حصله.

وذكر البيهقي عن عائشة، عن النبيّ ﷺ؛ أنه قال:

«ما مِن ساعةٍ تَمُرُّ بابنِ آدَمَ لا يذكُرُ الله ـ تعالى ـ فيها إلا تحسَّرَ عليها يومَ القيامة»[1].

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضاً:

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (٥/ ٣٦١ ـ ٣٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان»؛ كما في «فيض القدير» (٥/ ٤٨٣).

ونقل المناوي عن البيهقي قوله:

في هٰذا الإسناد ضعف، غير أنّ له شاهد من حديث معاذ.

قلت: فالحديث حسن به، وهو الذي يليه.

«ليس تحسُّرُ أهل الجنّة إلا على ساعةٍ مرَّت بهم لم يذكروا الله ﷻ فيها»[١].

وعن معاذ بن جبل، قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله ﷻ؟ قال:

«أن تموتَ ولسانُكَ رطبٌ من ذكرِ الله ﷻ»[٢].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ:

لكل شيء جِلاء، وإنَّ جلاءَ القلوبِ ذكرُ الله ﷻ.

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما؛ فجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا تُرك صدِئ، فإذا ذكره جلاه.

وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب.

وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر.

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته؛ كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحقّ، والحقّ في صورة الباطل؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه.

فإذا تراكم عليه الصدأ واسودَّ، وركبه الرَّان؛ فَسَدَ تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً، ولا يُنكر باطلاً، وهٰذا أعظم عقوبات القلب، وأصل ذٰلك

---

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣)، والطبراني، والبيهقي وغيرهم، وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٣١٨ ـ موارد)، والبزار (٣٠٥٩ ـ كشف الأستار) وغيرهما، وهو حديث حسن.

من الغفلة، واتّباع الهوى، فإنهما يطمسان نور القلب، ويعميان بصره.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل؛ فلينظر: هل هو مِن أهل الذِّكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى، وهو مِن أهل الغفلة؛ كان أمره فَرَطاً.

ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع؛ أي: أمره الذي يجب أن يلزمه، ويقوم به، وبه رشده وفلاحه: ضائع، قد فرط فيه.

وفسر بالإسراف؛ أي: قد أفرط.

وفسر بالإهلاك.

وفسر بالخلاف للحقّ.

وكلها أقوال متقاربة.

والمقصود أن الله ﷻ نهى عن طاعة مَن جمع هٰذه الصفات؛ فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذٰلك فليبعد منه؛ وإن وجده ممّن غلب عليه ذكر الله ـ تعالى ـ واتباع السنّة، وأمره غير مفروط عليه؛ بل هو حازم في أمره، فليتمسّك بغرزه[1].

ولا فرق بين الحيّ والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربّه، والذي لا يذكر ربّه؛ كمثل الحيّ والميت.

---

(١) هٰذا دستور رباني، قوائمه الفهم الصحيح لكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الدعاة العاملين، وهو ينقض عُرى التعصّب الحزبي، الذي يدور مع الهوى، ويردّ الهدى... نعوذ بالله من الخذلان.

فَصْلٌ

[فوائد الذكر]

وفي الذكر أكثر من مئة فائدة:

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية: أنه يرضي الرحمٰن ﷻ.

الثالثة: أنه يزيل الهمّ والغمّ عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الخامسة: أنه يقوِّي القلب والبدن.

السادسة: أنه ينوِّر الوجه والقلب.

السابعة: أنه يجلب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة: أنه يُورثه المحبة التي هي روح الإسلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة.

وقد جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر؛ فمن أراد أن ينال محبة الله ﷻ فلْيلهج بذكره، فإنه الدرس والمذاكرة؛ كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة، حتى يدخله في باب الإحسان؛ فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله ﷻ، فمتى

أكثر الرجوع إليه بذكره؛ أورثه ذٰلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله ﷻ مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه، ومهربه عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله ﷻ يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بُعده منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر الذِّكر؛ ازداد من المعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يورثه الهيبة لربّه ﷻ وإجلاله؛ لشدّة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله ـ تعالى ـ بخلاف الغافل، فإن حجاب الهيبة رقيقٌ في قلبه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكر الله ﷻ له؛ كما قال ـ تعالى ـ:

﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ولو لم يكن في الذكر إلا هٰذه وحدها؛ لكفى بها فضلاً وشرفاً.

وقال ﷺ فيما يروي عن ربّه ـ تبارك وتعالى ـ:

«مَن ذكرني في نفسه؛ ذكرتُه في نفسي، ومَن ذكرني في ملإٍ؛ ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهم»[(١)].

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب.

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس الله تعالى روحه ـ يقول:

الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٨٤ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٢ ـ ٣ و١٢ ـ نووي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السابعة عشرة: أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد؛ صار بمنزلة الجسم إذا حِيل بينه وبين قوته.

وحضرتُ شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلّى الفجر، ثم جلس يذكر الله ـ تعالى ـ إلى قريب من انتصاف النهار؛ ثم التفت إليَّ وقال:

هٰذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ الغداء؛ سقطت قوتي. أو كلاماً قريباً من هٰذا.

وقال لي مرة:

لا أترك الذِّكر إلا بنيّة إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعدَّ بتلك الراحة لذكرٍ آخر. أو كلاماً هٰذا معناه.

الثامنة عشرة: أنه يورث جلاء القلب من صداه؛ كما تقدم في الحديث.

وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار، وقد تقدم هٰذا المعنى.

التاسعة عشرة: أنه يحطّ الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربّه ـ تبارك وتعالى ـ، فإن الغافل بينه وبين الله ﷻ وحشة لا تزول إلا بالذكر.

الحادية والعشرون: أن ما يذكر به العبد ربّه ﷻ من جلاله، وتسبيحه، وتحميده؛ يذكر بصاحبه عند الشدّة.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرَّف إلى الله ـ تعالى ـ بذكره في الرخاء، عرفه في الشدّة.

الثالثة والعشرون: أنه ينجي من عذاب الله ـ تعالى ـ كما قال معاذ ﷺ، ويُروى مرفوعاً:

«ما عمل آدميٌّ عملاً أنجى له من عذاب الله ﷻ من ذِكر الله ـ تعالى ـ»[١].

الرابعة والعشرون: أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر؛ كما أخبر به النبيّ ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللّسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل.

فإن العبد لا بدّ له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله ـ تعالى ـ وذكر أوامره؛ تكلّم بهٰذه المحرمات، أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتّة، إلا بذكر الله ـ تعالى ـ.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذٰلك، فمن عوَّد لسانه بذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله ـ تعالى ـ ترطَّب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السادسة والعشرون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين؛ فليتخيَّرِ العبد أعجبهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون: أنه يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهٰذا هو المبارك أينما كان، والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته، ويشقى به مُجالسه.

الثامنة والعشرون: أنه يؤمِّنُ العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كان مجلس لا يذكر العبد فيه ربه ـ تعالى ـ كان عليه حسرةً وتِرة يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله

---

(١) تقدّم (ص٦٤، رقم ٢).

ـ تعالى ـ العبد يوم الحرّ الأكبر في ظلّ عرشه، والناس في حرّ الشمس قد صهرتهم في الموقف، وهٰذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمٰن ﷻ.

الثلاثون: أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

الحادية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلّها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخفّ حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه؛ لشقّ عليه غاية المشقة، بل لا يمكنه ذٰلك.

الثانية والثلاثون: أنه غراس الجنة، فقد روى الترمذي في «جامعه» من حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لقيتُ ليلةَ أُسريَ بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمدُ! أقْرئ أُمَّتَك مني السلامَ، وأخبرْهُم أن الجنةَ طيبةُ التربةِ، عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غِراسها: سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر».

قال الترمذي:

حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود[1].

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبيّ ﷺ:

«مَن قال: سُبحانَ الله وبحمدِهِ؛ غُرِسَتْ لهُ نخلةٌ في الجنَّةِ».

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح[2].

---

(١) حسن بشواهده، كما في «صحيح الأذكار» (٣٢).

(٢) صحيح بشواهده، كما في «صحيح الأذكار» (٣٣).

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رتِّب عليه لم يرتّب على غيره من الأعمال، ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَن قال: لا إلٰهَ إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ، ولهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. في يومٍ مائةَ مرةٍ، كانتْ له عدلَ عشرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ لهُ مئةُ حسنةٍ، ومُحِيَتْ عنهُ مئةُ سيِّئةٍ، وكانتْ لهُ حِرْزاً مِن الشيطانِ يومهِ ذٰلكَ حتى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ بهِ إلا رجلٌ عملَ أكثرَ منه.

ومَن قال: سبحانَ الله وبحمدِهِ، في يومٍ مئةَ مرةٍ، حُطَّتْ عنه خطاياهُ، وإنْ كانتْ مِثلَ زَبَدِ البحرِ»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأن أقولَ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلا الله، والله أكبرُ؛ أحبُّ إليَّ مما طلعَتْ عليهِ الشمسُ»[(٢)].

وفي الترمذي عن ثوبان؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَن قالَ حينَ يُمْسي وإذا أصبحَ: رَضيتُ بالله رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمَّدٍ ﷺ رسولاً؛ كان حقاً على الله أنْ يُرْضِيَهُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٣٣٨ ـ ٣٣٩ و١١/٢٠١ ـ فتح)، ومسلم (١٧/١٦ ـ ١٧ ـ نووي).

(٢) أخرجه مسلم (١٧/١٩ ـ نووي).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٩): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عقبة بن خالد، عن أبي سعيد بن المرزبان، عن أبي سلمة، عن ثوبان، به.
قلت: وإسناده ضعيف؛ لأن سعيد بن المرزبان ضعيف مدلس.
وأخرجه أبو داود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤ و٥٦٥)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨)، وأحمد (٤/٣٣٧ و٥/٣٦٧)، والحاكم (١/٥١٨)؛ من طريق شعبة، عن أبي عقيل هاشم بن بلال، =

وفي الترمذي:

«مَن دخلَ السوقَ، فقالَ: لا إلٰهَ إلا الله وحدَهُ، لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ، ولهُ الحمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِه الخيرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ كتبَ الله لهُ ألفَ ألفِ حسنةٍ، ومحا عنهُ ألفَ ألفِ سيِّئةٍ، ورفعَ له ألفَ ألفِ درجةٍ»[١].

الرابعة والثلاثون: أن دوام ذكر الربِّ ـ تبارك وتعالى ـ يوجب الأمان من نسيانه، الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الربّ ﷻ يوجب نسيان نفسه ومصالحها.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩].

وإذا نسيَ العبد نفسه؛ أعرض عن مصالحها ونسيها، واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا بدّ؛ كمن له زرع، أو بستان، أو ماشية، أو غير ذٰلك؛ مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله، ونسيه، واشتغل عنه بغيره، وضيّع مصالحه، فإنه يفسد ولا بدّ.

هٰذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه، فكيف الظنّ بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها، ونسيها، واشتغل عن مصالحها، وعطّل

= عن سابق بن ناجية، عن أبي سلام، عن رجل خدم النبيّ ﷺ.

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، فيه سابق بن ناجية، وهو مقبول؛ كما في «التقريب».

فالحديث حسن بمجموع طرقه، والله أعلم.

وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه البوصيري، وحسّنه الحافظ.

(١) سيأتي تخريجه (ص٢١٢) برقم (١).

مراعاتها، وتركَ القيام عليها بما يُصلحها؟! فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان.

وهٰذا هو الذي صار أمره كله فُرطاً، فانفرط عليه أمره، وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلى الأمان من ذٰلك إلا بدوام ذكر الله ـ تعالى ـ واللّهج به، وأن لا يزال اللسان رطباً به، وأن يتولّى منزلة حياته التي لا غِنى له عنها، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدّة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكنّ في شدّة الشتاء والسموم.

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهٰذه المنزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟! هٰذا هلاك لا بدّ منه، وقد يعقبه صلاح ولا بد. وأما هلاك القلب والروح، فهلاك لا يُرجى معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذِّكر وإدامته إلا هٰذه الفائدة وحدها؛ لكفى بها، فمن نَسِيَ الله ـ تعالى ـ أنساه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

أي: تُنسى في العذاب كما نسيت آياتي فلم تذكرها، ولم تعمل بها.

وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله، وهو أن

يذكر الذي أنزله في كتابه، وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربّه بكتابه، وأسمائه، وصفاته، وأوامره، وآلائه، ونعمه؛ فإن هٰذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربّه ـ تعالى ـ فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل، أو مضاف إضافة الأسماء المحضة؛ أي: مَن أعرض عن كتابي، ولم يَتْلُهُ، ولم يتدبّره، ولم يعمل به، ولا فهمه؛ فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيَّقة عليه، منكَّدة معذباً فيها.

والضَّنَك: الضيق والشدة والبلاء.

ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة، وفسّرت هٰذه المعيشة بعذاب البرزخ.

والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا، وحاله في البرزخ، فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو: شدة، وجهد، وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب.

وهٰذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب؛ قال ـ تعالى ـ:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

فهٰذا في الدنيا. ثم قال:

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

فهٰذا في البرزخ.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل: ٤١].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

فهٰذا في الآخرة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

فهٰذه أربعة مواضع، ذَكَرَ ـ تعالى ـ فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا، وجزاء في الآخرة.

فالإحسان له جزاءٌ معجَّلٌ ولا بد، والإساءة لها جزاء معجّل ولا بدّ، ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن؛ من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذّاته بمعاملة ربّه ﷻ وطاعته وذكره، ونعيم روحه بمحبته؛ [لكفى].

وذكره وفرحه بربّه ﷻ أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يُجازى به المسيء؛ من ضيق الصدر، وقسوة القلب، وتشتُّته، وظلمته، وحزازته، وغمّه، وهمّه، وحزنه، وخوفه، وهٰذا أمر لا يكاد من له أدنى حسّ وحياة يرتاب فيه؛ بل الغموم والهموم والأحزان والضيق: عقوباتٌ عاجلة، ونارٌ دنيوية، وجهنم حاضرة.

والإقبال على الله ـ تعالى ـ والإنابة إليه، والرضى به وعنه، وامتلاء القلب من محبّته، واللّهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته: ثوابٌ عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول:

إن في الدنيا جنة؛ مَن لم يدخلها لا يدخل جنّة الآخرة.

وقال لي مرة:

ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنَّتي وبستاني في صدري؛ إن رحت فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة:

لو بذلت ملء هٰذه القلعة ذهباً، ما عدل عندي شكر هٰذه النعمة.

أو قال: ما جزيتهم على ما تسبَّبوا لي فيه من الخير، ونحو هٰذا.

وكان يقول في سجوده، وهو محبوس:

«اللَّهمّ أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»[1] ما شاء الله.

وقال لي مرة:

المحبوس مَن حُبِسَ قلبه عن ربه ـ تعالى ـ، والمأسور مَن أسره هواه.

ولما دخل إلى القلعة، وصار داخل سورها؛ نظر إليه، وقال:

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣].

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قطّ، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم؛ بل ضدّها، ومع ما كان فيه من

---

(١) حديث صحيح قاله رسول الله ﷺ، وهو يوصي معاذ بن جبل ﷺ، وقد خرّجته في أحاديث «الوصية الصغرى» (٤)، فليُنظر؛ ومكانه دُبُر الصلاة، وليس في السجود، فتدبّر.

الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذٰلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتدَّ بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض؛ أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذٰلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوةً، ويقيناً، وطمأنينةً.

فسبحان مَن أشهد عباده جنّته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل؛ فآتاهم من رَوْحها ونسيمها وطِيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول:

لو علم الملوك وأبناءُ الملوك ما نحن فيه؛ لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر:

مساكينُ أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها!

قيل: وما أطيب ما فيها؟!

قال: محبةُ الله ـ تعالى ـ ومعرفتهُ وذكرهُ، أو نحو هٰذا.

وقال آخر:

إنه لتمرُّ بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً.

وقال آخر:

إنه لتمرّ بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هٰذا؛ إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله ـ تعالى ـ ومعرفته، ودوام ذكره، والسكون إليه،

والطمأنينة إليه، وإفراده بالحبّ، والخوف، والرجاء، والتوكّل، والمعاملة؛ بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنّة الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرّة عين المحبّين، وحياة العارفين.

وإنما تقرُّ عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله ﷻ؛ فمن قرَّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومَن لم تقرَّ عينه بالله تقطَّعت نفسه على الدنيا حسرات.

وإنما يصدِّق هٰذا مَن في قلبه حياة. وأما ميّت القلب، فيوحِشُك، ثمَّ فاستأنس بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به؛ فأعطه ظاهرك، وترحَّل عنه بقلبك، وفارقه بسرِّك، ولا تُشْغل به عما هو أولى بك.

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمَن لا يجرُّ عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظّك من الله ﷻ وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك، وضعف عزيمتك، وتفرُّق همِّك.

فإذا بليت بهٰذا ـ ولا بدّ لك منه ـ فعامل الله ـ تعالى ـ فيه، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرَّب إلى الله ـ تعالى ـ بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به متجراً لك، لا تجعله خسارة، وكن معه كرجل سائر في طريقه، عرض له رجل وقفه عن سيره، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به، فتحمله ولا يحملك، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع؛ فلا تقف معه بلا ركب الدرب [فتنقطع]، ودعه ولا تلتفت إليه، فإنه قاطع الطريق، ولو كان مَن كان، فانجُ بقلبك، وضنَّ بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة، فتؤخذ، أو يطلع الفجر [وقد فاتك الركب] أنّى لك بلحاقهم؟!

الخامسة والثلاثون: أن الذِّكر يسيِّر العبد وهو في فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذّته، وليس شيء يعمّ الأوقات والأحوال مثله، حتى إنه يسيِّر العبد وهو نائم على فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة؛ فيصبح هٰذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذٰلك القائم الغافل في ساقة الركب، وذٰلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

السادسة والثلاثون: أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط؛ فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله ـ تعالى ـ.

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالأول: هو المؤمن، استنار بالإيمان بالله، ومحبته، ومعرفته، وذكره.

والآخر: هو الغافل عن الله ـ تعالى ـ المُعرض عن ذكره ومحبّته.

والشأن كلّ الشأن، والفلاح كل الفلاح، في النور؛ والشقاء كل الشقاء في فواته.

ولهٰذا كان النبيّ ﷺ يبالغ في سؤال ربّه ـ تبارك وتعالى ـ حين يسأله أن يجعله في لحمه، وعظامه، وعصبه، وشعره، وبشره، وسمعه، وبصره، ومِن فوقه، ومِن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، حتى يقول:

«واجعلني نوراً»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٦ ـ ٤٤ ـ ٤٥ ـ نووي).

فسأل ربه ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعل النور في ذرَّاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نوراً.

فدين الله ﷻ نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره التي أعدّها لأوليائه نورٌ يتلألأ؛ وهو ـ تبارك وتعالى ـ نور السماوات والأرض، ومِن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه.

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

فإذا جاء ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة للفصل بين عباده، وأشرقت بنوره الأرض؛ وليس إشراقها يومئذ بشمسٍ ولا قمر، فإن الشمس تكوَّر، والقمر يخسف، ويذهب نورهما، وحجابه ـ تبارك وتعالى ـ النور.

قال أبو موسى الأشعري:

قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال:

«إن الله لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويرفَعُهُ، يُرْفَعُ إليه عملُ الليلِ قبلَ عَمَلِ النهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ عَمَلِ الليلِ، حِجابُهُ النورُ، لو كَشَفَهُ لأحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ ما انتهى إليهِ بصرُهُ مِن خلقِهِ»[(١)].

ثم قرأ[(٢)]: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨].

فاستنارة ذٰلك الحجاب بنور وجهه، ولولاه لأحرقت سُبُحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢ ـ ١٤ ـ نووي) وغيره.
وزدته في «مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية» (٩) بسطة.
(٢) هو وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود راوي الحديث، عن أبي موسى.

ولهٰذا؛ لما تجلّى ـ تبارك وتعالى ـ للجبل، وكشف من الحجاب شيئاً يسيراً؛ ساخ الجبل في الأرض، وتدكدك، ولم يقم لربّه ـ تبارك وتعالى ـ.

وهٰذا معنى قول ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال: ذٰلك الله ﷻ إذا تجلّى بنوره، لم يقم له شيء.

وهٰذا من بديعِ فهمِهِ رضي الله عنه ودقيقِ فِطْنَتِهِ، كيف وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلِّمه الله التأويل.

فالربّ ـ تبارك وتعالى ـ يُرى يوم القيامة بالأبصار عَياناً، ولكن يستحيل إدراك الأبصارِ له، وإن رأتْه؛ فالإدراك أمرٌ وراء الرؤية، وهٰذه الشمس ـ ولله المثل الأعلى ـ نراها ولا ندركها كما هي عليه، ولا قريباً من ذٰلك.

ولذٰلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، فقال:

ألستَ ترى السماء؟

قال: بلى.

قال: أفتدركها؟

قال: لا.

قال: فالله ـ تعالى ـ أعظمُ وأجلُّ.

وقد ضرب ﷻ النور في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون، فقال ﷻ:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور: ٣٥].

قال أُبيُّ بن كعب:

مثَلُ نورِهِ في قلب المسلم.

وهٰذا هو النور الذي أودعه في قلبه؛ من معرفته، ومحبته، والإيمان به، وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم، فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته، فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم؛ بل وثيابهم ودُورهم، يُبصره مَن هو مِن جنسهم، وسائر الخلق له مُنكِر.

فإذا كان يوم القيامة، برز ذٰلك النور، وصار بأيمانهم، يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا؛ فمنهم مَن نوره كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجوم، وآخر كالسراج، وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه؛ يضيء مرة، ويطفئ أخرى، إذا كانت هٰذه حال نوره في الدنيا، فأُعطي على الجسر بمقدار ذٰلك؛ بل هو نفس نوره ظهر له عياناً.

ولما لم يكن للمنافق نورٌ ثابت في الدنيا؛ بل كان نوره ظاهراً، لا باطناً؛ أُعطي نوراً ظاهراً، مآله إلى الظلمة والذهاب.

وضرب الله ﷻ لهٰذا النور، ومحلّه، وحامله، ومادته؛ مثلاً بالمشكاة - وهي: الكوَّة في الحائط - فهي مثل المصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج، وحتى شُبِّهت بالكوكب الدُّرِّي في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب، وشُبِّه بالزجاجة؛ لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن، وهي: الصفاء، والرقّة، والصلابة؛ فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقّته، ويجاهد

أعداء الله ـ تعالى ـ ويغلظ عليهم ويشتد في الحق ويصلب فيه بصلابته، ولا تُبطل صفةٌ منه صفةً أخرى، ولا تعارضها؛ بل تساعدها وتعاضدها:

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض:

أحدهما: قلبٌ حجري قاسٍ لا رحمة فيه، ولا إحسان، ولا برَّ، ولا له صفاء يرى به الحق؛ بل هو جبار جاهل، لا علم له بالحق، ولا رحمة للخلق.

وبإزائه قلبٌ ضعيف، مائي، لا قوّة فيه، ولا استمساك؛ بل يقبل كل صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصور، ولا قوة التأثير في غيره، وكلّ ما خالطه أثّر فيه؛ من قويٍّ وضعيف، وطيِّبٍ وخبيث.

وفي الزجاجة مصباح، وهو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته؛ ولذلك النور مادة، وهو زيت قد عُصر من زيتونة في أعدل الأماكن، تُصيبها الشمس أول النهار وآخره؛ فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن، هو من شجرة

الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة، وأبعدها من الانحراف؛ بل هي أوسط الأُمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية، ولا انحراف اليهودية؛ بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهٰذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن.

ولمّا كان الزيت قد اشتدّ صفاؤه حتى كاد أن يُضيء بنفسه، ثم خالط النار، فاشتدّت بها إضاءته، وقويت مادة ضوء النار به؛ كان ذٰلك نوراً على نور.

وهٰكذا المؤمن؛ قلبه مضيء، يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله، ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحي، فباشرت قلبه، وخالطت بشاشته، فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فطره الله ـ تعالى ـ عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نورٌ على نور؛ فيكاد ينطق بالحق، وإن لم يسمع فيه أثراً، ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته، فيكون نوراً على نورٍ؛ فهٰذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً، فينشأ إيمانه من شهادة الوحي والفطرة.

فليتأمل اللبيب هٰذه الآية العظيمة، ومطابقتها لهٰذه المعاني الشريفة، فذكر ﷻ نوره في السماوات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين؛ النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، والنور المحسوس المشهود بالأبصار، الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي، فهما نوران عظيمان، أحدهما أعظم من الآخر.

وكما أنه إذا فُقِدَ أحدهما من مكان أو موضع، لم يعش فيه آدمي ولا غيره؛ لأن الحيوان إنما يتكوَّن حيث النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور، ولا يعيش فيها حيوان، ولا يتكوَن ألبتّة؛ فكذٰلك أُمة

فُقِدَ فيها نور الوحي والإيمان، وقلبٌ فُقِدَ منه هٰذا النور ميت ولا بدّ، لا حياة له ألبتة؛ كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه.

والله ﷻ يقرن بين الحياة والنور؛ كما في قوله ﷻ:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وكذٰلك قوله ﷻ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد قيل: إن الضمير في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ عائد إلى الأمر.

وقيل: إلى الكتاب.

وقيل: إلى الإيمان.

وقيل: إلى الروح؛ أي: جعلنا ذٰلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً، فسمّاه روحاً؛ لِمَا يحصل به من الحياة، وجعله نوراً لِمَا يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان؛ فحيث وُجدت هٰذه الحياة بهٰذا الروح، وُجدت الإضاءة والاستنارة؛ وحيث وُجدت الاستنارة والإضاءة، وُجدت الحياة؛ فمَن لم يقبل قلبه هٰذا الروح، فهو ميت مظلم؛ كما أن مَن فارق بدنه روح الحياة، فهو هالك مُضْمَحِلّ.

فلهٰذا يضرب ﷻ المثلين: المائي والناري معاً؛ لما يحصل بالماء من الحياة، وبالنار من الإشراق والنور؛ كما ضرب ذٰلك في أول سورة البقرة في قوله ـ تعالى ـ:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧].

وقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: بنارهم؛ لأن النار فيها الإحراق، والإشراق؛ فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين؛ ذهب نور إيمانِهم النفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صلِيت بحرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا، فأصلاها الله ـ تعالى ـ إياها يوم القيامة ناراً موقدة تطَّلع على الأفئدة.

فهٰذا مثل مَن لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق عرف ثم أنكر، وأقرّ ثم جحد؛ فهو في ظلمات أصمّ أبكم أعمى؛ كما قال ـ تعالى ـ في حقّ إخوانهم من الكفار:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١].

وشبّه ـ تعالى ـ حالَ المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار، وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين، وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم، وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء، ورأوا النور عياناً؛ ولهٰذا قال ـ تعالى ـ في حقِّهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨] إليه؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبَّسوا به واستناروا، فهم لا يرجعون إليه.

وقال ـ تعالى ـ في حقِّ الكفار: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنهم لم

يعقِلوا الإسلام، ولا دَخَلوا فيه، ولا استناروا به؛ بل لا يزالون في ظلمات الكفر، صمٌّ بكمٌ عميٌ.

فسبحان مَن جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً، وإلى الإيمان وحقائقه منادياً، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعياً، وإلى طريق الرشاد هادياً.

لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذاناً واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوباً خالية؛ ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات، فأطفأت مصابيحها، وتمكّنت منها أيدي الغفلة والجهالة، فأغلقت أبواب رشدها، وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها، فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغيّ وشهادة الباطل، فلم تُصْغِ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنَّة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة، و:

مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

والمثل الثاني المائي قوله ـ تعالى ـ:

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٩].

الصَّيِّب: المطر الذي يصوب من السماء؛ أي: ينزل منها بسرعة.

وهو مثل القرآن الذي به حياة القلوب؛ كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنين ذٰلك منهُ، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق، وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التي حذّر الله بها مَن خالف أمره، وأخبر أنه منزِّلها بمَن كذَّب رسول الله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة؛ كجهاد الأعداء، والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة

على النفوس التي هي بخلاف إرادتها؛ فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن مَن علم مواقع الغيث، وما يحصل به من الحياة، لم يستوحش لِمَا معه من الظلمة والرعد والبرق؛ بل يستأنس لذٰلك ويفرح به، لِما يرجو من الحياة والخصب.

وأما المنافق، فإنه عمي قلبه؛ لم يجاوز بصرُه الظلمة، ولم يرَ إلا برقاً يكاد يخطَف البصر، ورعداً عظيماً، وظلمة، فاستوحش من ذٰلك، وخاف منه، فوضع أصابعه في أُذنيه؛ لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله مشاهدة ذٰلك البرق، وشدة لمعانه، وعظم نوره، فهو خائف أن يُخْتَطَفَ معه بصرُه؛ لأن بصره أضعف أن يثبت معه، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذٰلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وإن فقد الضوء قام متحيّراً، لا يدري أين يذهب؛ ولجهله لا يعلم أن ذٰلك من لوازم الصَّيِّب الذي به حياة الأرض والنبات، وحياته هو في نفسه؛ بل لا يدرك إلا رعداً وبرقاً وظلمةً، ولا شعور له بما وراء ذٰلك؛ فالوحشة لازمة له، والرعب والفزع لا يفارقه.

وأما مَن أنس بالصَّيِّب، وعلم أنه لا بدّ فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم؛ استأنس بذلك، ولم يستوحش منه، ولم يقطعه ذٰلك عن أخذه بنصيبه من الصَّيِّب.

فهٰذا مثل مطابق للصَّيِّب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند ربّ العالمين ـ تبارك وتعالى ـ على قلب رسول الله ﷺ؛ ليُحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيِّب من الماء؛ حكمةً بالغة، وأسباباً منتظمة نظمها العزيز الحكيم.

فكان حظّ المنافق من ذٰلك الصيِّب سحابَه ورعودَه وبروقَه فقط، لم

يعلم ما وراءه؛ فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به العالمون، وشكّ فيما تيقَّنه المبصرون العارفون، فبصره في المثل الناري؛ كبصر الخفاش نحو الظهيرة، وسمعه في المثل المائي؛ كسمع مَن يموت من صوت الرعد، وقد ذُكِرَ عن بعض الحيوانات أنها تموت مِن سمع الرعد!!

وإذا صادف هٰذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة؛ جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتّسع فيها مجالها، وكثر بها قيلها وقالها؛ فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دواوينها.

وما أكثر المستجيبين لهٰؤلاء، والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمكثرين لسوادهم!

ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم، هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أسرارها غاية الكشف، وبيَّن علاماتهم، وأعمالهم، وأقوالهم؛ ولم يزل ﷻ يقول: ﴿وَمِنْهُمْ . . .﴾ ﴿وَمِنْهُمْ . . .﴾ ﴿وَمِنْهُمْ . . .﴾ حتى انكشف أمرهم، وبانت حقائقهم، وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله ﷻ في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين؛ فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات، وفي أوصاف الكفار آيتين، وفي أوصاف هٰؤلاء بضع عشرة آية؛ لعموم الابتلاء بهم، وشدة المصيبة لمخالطتهم، فإنهم من الجلدة، مُظهرون الموافقة والمناصرة؛ بخلاف الكافر الذي قد تأبَّد بالعداوة، وأظهر السريرة، ودعاك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته.

ونظير هٰذين المثلين المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله ـ تعالى ـ:

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧].

فهٰذا هو المثل المائي، شبَّه الوحيَ الذي أنزله بحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء، وشبّه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل.

فقلبٌ كبيرٌ يسع علماً عظيماً؛ كوادٍ كبير يسع ماءً كثيراً.

وقلبٌ صغير؛ كوادٍ صغير يسع علماً قليلاً.

فحملت القلوب من هٰذا العلم بقدرها؛ كما سالت الأودية بقدرها.

ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه؛ مما يمرّ عليه السيل، فيحتمله السيلُ، فيطفو على وجه الماء زبداً عالياً، يمر عليه متراكباً؛ ولكن تحت الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذٰلك الغثاء إلى جنبتيه، حتى لا يبقى منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله ـ تعالى ـ به الأرض، فيُحيي به البلاد والعباد، والشجر والدوابّ، والغثاء يذهب جفاءً يجفى، ويُطرح على شفير الوادي.

فكذٰلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب، فاحتملته، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات، وزبد الشبهات الباطلة، يطفو في أعلاها، واستقرّ العلم والإيمان والهدى في جذر القلب؛ فلا يزال ذٰلك الغثاء الزبد يذهب جفاءً، ويزول شيئاً فشيئاً، حتى يزول كلّه، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب؛ يَرِدُه الناس، فيشربون، ويسقون، ويمرعون[1].

وفي «الصحيح» من حديث أبي موسى، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَثَلُ ما بَعَثَني الله ـ تعالى ـ بِهِ مِن الهُدى؛ كَمَثَلِ غيثٍ أصابَ

---

(١) أي: يخصبون.

أرضاً، فكان منها طائفةٌ طيِّبةٌ؛ قبلَتِ الماء، فأنْبَتَتِ الكلأ والعُشْبَ الكبير. وكانَ منها طائفةٌ أجادِبُ؛ أَمْسَكَتِ الماء، فسقى النَّاسُ وزَرَعوا.

وأصابَ منها طائفةً أخرى؛ إنما هي قِيعانٌ، لا تُمْسِكُ الماء، ولا تُنْبِتُ كلأ.

فذٰلك مثل مَن فَقُهَ في دينِ الله ـ تعالى ـ ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِمَ وعلَّمَ، ومثلُ مَن لم يرفع بذٰلك رأساً، ولم يقبلْ هُدى الله الذي أُرْسِلْتُ به»[1].

فجعل النبيّ ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: ورثة الرسل، وخلفاء الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوةً إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ؛ فهٰؤلاء أتباع الرسل ـ صلوات الله وسلامه ـ حقاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض؛ التي زكت فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا الناس بها.

وهٰؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين، والقوة على الدعوة؛ ولذٰلك كانوا ورثة الأنبياء ـ صلّى الله عليهم وسلّم ـ الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم:

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

أي: البصائر في دين الله ﷻ؛ فبالبصائر يُدْرَك الحق ويُعْرف، وبالقوى يُتَمكَّن من تبليغه، وتنفيذه، والدعوة إليه.

فهٰذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين، والبصر بالتأويل؛ ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها،

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٧٥ ـ فتح)، ومسلم (١٥/ ٤٥ ـ ٤٦ ـ نووي).

ورُزقت فيها فهماً خاصاً؛ كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد سُئِل:

هل خَصَّكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟

فقال: لا والذي فَلَقَ الحبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه[١].

فهٰذا الفهم هو بمنزلة الكلإ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميّزت به هٰذه الطبقة عن:

الطبقة الثانية: فإنها حفظت النصوص، وكان همّها حفظها وضبطها؛ فوردها الناس، وتلقَّوْها منهم، فاستنبطوا منها، واستخرجوا كنوزها، واتَّجروا فيها، وبَذَروها في أرض قابلة للزرع والنبات، ووردوها كلٌّ بحسبه:

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

وهٰؤلاء هم الذين قال فيهم النبيّ ﷺ:

«نَضَّرَ الله امرءاً سمِعَ مقالَتي فوَعاها، ثمّ أدَّاها كما سَمِعها، فرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرُ فقيهٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقَهُ منهُ»[٢].

وهٰذا عبد الله بن عباس حبرُ الأُمّة وترجمان القرآن، مقدار ما سمع من النبيّ ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثاً الذي يقول فيه: سمعت، ورأيت. وسمع الكثير من الصحابة، وبورك في فهمه والاستنباط منه، حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً.

قال أبو محمد ابن حزم:

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/٢٤٦ ـ فتح).

(٢) حديث متواتر، كما بيّنته في كتابي «الأدلة والشواهد» (٣٣).

وجُمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار.

وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس.

وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا؛ ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي، وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوجٍ كريم:

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه؛ بل هو حافظ الأُمّة على الإطلاق: يؤدِّي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درساً، فكانت همَّته مصروفة إلى الحفظ، وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهِمَّة ابن عباس مصروفة إلى التفقُّه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشقّ الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

وهٰكذا الناس بعده قسمان:

قسم: حفاظ، معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا، ولا يستنبطون، ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقسم: معتنون بالاستنباط، واستخراج الأحكام من النصوص، والتفقُّه فيها.

فالأول: كأبي زرعة، وأبي حاتم، وابن داره.

وقبلهم: كبندار؛ محمد بن بشار، وعمرو الناقد، وعبد الرزاق.

وقبلهم: كمحمد بن جعفر؛ غندر، وسعيد بن أبي عَرُوبة، وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لِمَا سمعوه، من غير استنباط وتصرف، واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

والقسم الثاني: كمالك، والشافعي، والأوزاعي، وإسحاق، والإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وأبي داود، ومحمد بن نصر المروزي، وأمثالهم ممّن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية.

فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله ـ تعالى ـ به رسوله ﷺ، وهم الذين قبلوه، ورفعوا به رأساً.

وأما **الطائفة الثالثة**: وهم أشقى الخلق؛ الذين لم يقبلوا هدى الله، ولم يرفعوا به رأساً؛ فلا حِفظ، ولا فهم، ولا رواية، ولا دراية، ولا رعاية.

فالطبقة الأولى: أهل رواية ودراية.

والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية، ولهم نصيب من الدراية؛ بل حظّهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثالثة: الأشقياء؛ لا رواية، ولا دراية، ولا رعاية.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إنْ همُّ أحدِهم إلا بطنُه وفرجه، فإن ترقَّت همَّته كان همُّه ـ مع ذٰلك ـ لباسه وزينته، فإن ترقَّت همَّته فوق ذٰلك كانت في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية، فإن ارتفعت عن نصرة النفس الغضبيَّة؛ كان همُّه في نصرة النفس الكلبية، فلم يعطها، إلى نصرة النفس السبعية. [وأما النفس المَلَكية]، فلم يعطها أحد من هٰؤلاء، فإن النفوس كلبية وسبعية ومَلَكية[1].

فالكلبية: تقنع بالعظم، والكِسرة، والجيفة، والعذرة.

---

(١) في هٰذه الفقرة تحريف واضح، ولعلّ ما أضفناه يفيد في إيضاح المعنى المقصود إلى أن تتيسّر لنا نسخة خطيّة نقوّم عليها الفقرة من كلام المؤلف.

والسبعية: لا تقنع بذٰلك؛ بل بقهر النفوس، تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل.

وأما **المَلَكية**، فقد ارتفعت عن ذٰلك، وشمَّرت إلى الرفيق الأعلى، فهِمَّتُها العلم، والإيمان، ومحبة الله ـ تعالى ـ والإنابة إليه، والطمأنينة به، والسكون إليه، وإيثار محبّته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربِّها ووليِّها؛ لا لتنقطع به عنه.

ثم ضرب ﷻ مثلاً ثانياً، وهو المثل الناري، فقال:

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد: ١٧].

وهٰذا كالحديد، والنحاس، والفضة، والذهب وغيرها، فإنها تدخل الكير لتُمَحَّصَ وتُخَلَّص من الخبث؛ فيخرج خبثها، فيُرمى به ويُطرح، ويبقى خالصها، فهو الذي ينفع الناس.

ولما ضرب الله ﷻ هٰذين المثلين، ذكر حكم مَن استجاب له، ورفع بهداه رأساً، وحُكم مَن لم يستجب له، ولم يرفع بهداه رأساً، فقال:

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٨].

والمقصود أن الله ـ تعالى ـ جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة؛ فحياة الوجودين الروحي والجسمي بالنور، وهو مادة الحياة؛ كما أنه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه؛ كما لا إضاءة بدونه، وكما أنه به حياة القلب، فيه انفساحه وانشراحه وسَعَتُهُ.

ونور العبد هو الذي يُصْعِد عمله وكَلِمَهُ إلى الله ـ تعالى ـ، فإن الله ـ تعالى ـ لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نور ومصدر عن

النور، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطيبة، وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ، والملائكة الذين خُلقوا من نور؛ كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ ﷺ قال:

«خُلِقَتِ الملائكةُ مِن نورٍ، وخُلِقَتِ الشياطينُ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكُم»[١].

فلمّا كانت مادة الملائكة من نور؛ كانوا هم الذين يعرجون إلى ربِّهم - تبارك وتعالى -، وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربِّها وقت قبض الملائكة لها، فيفتح لها باب السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، إلى أن ينتهي بها إلى السماء السابعة، فتوقف بين يدي الله ﷻ، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليّين.

فلمّا كانت هٰذه الروح روحاً زاكية طيبة نيِّرة مشرقة، صعِدَتْ إلى الله ﷻ مع الملائكة.

وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة، فإنها لا تُفتح لها أبواب السماء، ولا تصعد إلى الله - تعالى -؛ بل تُردّ من السماء الدنيا إلى عالمها، وتحتقرها؛ لأنها أرضية سفلية، والأولى علوية سماوية، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هي منه، وهٰذا مبيَّن في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الإمام أحمد، وأبو عوانة الإسفراييني في «صحيحه»، والحاكم وغيرهم.

وهو حديث صحيح[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨/ ١٢٣ - نووي).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ و٢٩٥ - ٢٩٦)، والحاكم (١/ ٣٧ - ٣٨).
قلت: وهو كما قال المؤلف.

والمقصود أن الله ﷻ لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نوراً، وأعظم الخلق نوراً أقربهم إليه وأكرمهم عليه.

وفي «المسند» من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ:

«إنَّ الله ـ تعالى ـ خَلَقَ خَلْقَهُ في ظلمَةٍ، وألقى عليهِم مِن نورِه؛ فمَن أصابَ مِن ذٰلك النورِ اهتدى، ومَن أخطأَهُ ضلَّ؛ فلذٰلك أقول: جفَّ القلمُ على علمِ الله ـ تعالى ـ»[1].

وهٰذا الحديث العظيم أصلٌ من أُصول الإيمان، وينفتح به باب عظيم من أبواب سرّ القدر وحكمته، والله ـ تعالى ـ الموفق.

وهٰذا النور الذي ألقاه عليهم ﷻ هو الذي أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حظَّها، ولكن لمّا لم يستقلَّ بتمامه وكماله أكمله لهم، وأتمَّه بالروح الذي ألقاه على رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، والنور الذي أوحاه إليهم، فأدركته الفطرة بذٰلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور؛ فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة، نورٌ على نور، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحييت به الأرواح، وأذعنت به الجوارح للطاعات؛ طوعاً واختياراً، فازدادت به القلوب حياة إلى حياتها.

ثم دلّها ذٰلك النور على نورٍ آخر هو أعظم منه وأجلّ، وهو نور الصفات العليا الذي يضمحلُّ فيه كل نور سواه، فشاهدته ببصائر الإيمان

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد (٢/ ١٧٦ و١٩٧)، والحاكم (١/ ٣٠ ـ ٣١)، وابن حبان (١٨١٢ ـ موارد)، والآجُري في «الشريعة» (ص٧٥)، وغيرهم.
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
قلت: وهو صحيح؛ كما بيّنته في «مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية» (٧).

مشاهدةً نسبتها إلى القلب نسبة المرئيات إلى العين؛ ذٰلك لاستيلاء اليقين عليها، وانكشاف حقائق الإيمان لها، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمٰن ـ تبارك وتعالى ـ بارزاً، وإلى استوائه عليه؛ كما أخبر به ﷻ في كتابه، وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ، يدبِّر أمر الممالك، ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويُميت ويُحيي، ويقضي وينفِّذ، ويعزُّ ويذلُّ، ويقلِّب اللّيل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول؛ فيذهب بدولة، ويأتي بأخرى.

والرّسل من الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بين صاعد إليه بالأمر، ونازل مِن عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته؛ فما شاء كان كما شاء، في الوقت الذي يشاء، على الوجه الذي يشاء، مِن غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدُّم ولا تأخُّر، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، في الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجوّ، وفي سائر أجزاء العالم وذرَّاته، يقلِّبها ويصرفها، ويُحْدِث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيءٍ عدداً، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، ووسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه؛ بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرَّم بإلحاح ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات؛ فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء؛ فالغيب عنده شهادة، والسرّ عنده علانية، يعلم السرّ وأخفى من السرّ ـ فالسرّ ما انطوى عليه ضمير العبد، وخطر بقلبه، ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد؛ فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا ـ وله الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا

والآخرة، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، له الملك كلّه، وله الحمد كلّه، وبيده الخير كلّه، وإليه يرجع الأمر كلّه، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، وسعت نعمته إلى كل حيّ:

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

يغفر ذنباً، ويفرِّج هماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويُغني فقيراً، ويُعَلِّم جاهلاً، ويهدي ضالّاً، ويُرْشِدُ حيرانَ، ويغيثُ لهفانَ، ويفكُّ عانياً، ويشبعُ جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويُعافي مُبتلًى، ويَقْبَلُ تائباً، ويَجْزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويُقيلُ عَثْرةً، ويستر عورةً، ويؤمِّنُ روعةً، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل اللّيل قبل النهار، وعمل النهار قبل اللّيل، حجابه النور؛ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، يمينه ملأى، لا تغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق، فإنه لم يغض ما في يمينه، قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، يقبض سماواته كلّها بيده الكريمة، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزُّهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الذي بدأتُ الدنيا ولم تكن شيئاً، وأنا الذي أعيدُها كما بدأتها، لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجة يُسْأَلُها أن يعطيها؛ لو أن أهل سماواته، وأهل أرضه، وإنسهم وجنّهم، وحيّهم وميتهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوه، فأعطى كلّاً منهم ما سأله؛ ما نقص ذٰلك مما عنده مثقال ذرة، ولو أن أشجار الأرض كلها ـ من حين وُجدت إلى أن تنقضي الدنيا ـ أقلام، والبحر وراءه سبعة أبحر تمدّه من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام

وذلك المداد؛ لفنيت الأقلام، ونفد المداد، ولم تنفد كلمات الخالق ـ تبارك وتعالى ـ، وكيف تفنى كلماته ـ جلّ جلاله ـ وهي لا بداية لها ولا نهاية، والمخلوق له بداية ونهاية، فهو أحقّ بالفناء والنفاد؟! وكيف يفني المخلوقُ غيرَ المخلوق؟!

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء ـ تبارك وتعالى ـ أحق مَن ذُكر، وأحق مَن عُبد، وأحق مَن حُمد، وأولى مَن شُكر، وأنصر مَن ابتُغي، وأرأف مَن ملك، وأجود مَن سُئل، وأعفى مَن قدر، وأكرم مَن قصد، وأعدل مَن انتقم؛ حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عِزَّته، ومنعه عن حِكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته.

ما لِلْعِبادِ عليهِ حقٌّ واجِبٌ كَلَّا ولا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضائِعُ
إِنْ عُذِّبوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا فَبِفَضْلِهِ وهُوَ الكَريمُ الوَاسِعُ

هو الملك لا شريك له، والفرد[1] فلا ندَّ له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له ولا صاحبة له، والعليُّ فلا شبيه له ولا سَمِيَّ له، كلُّ شيءٍ هالك إلا وجهه، وكلُّ ملكٍ زائل إلا مُلكه، وكل ظلّ قالص إلا ظلّه، وكل فضل منقطع إلا فضله، لن يُطاع إلا بإذنه ورحمته، ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته، يُطاع فيَشْكُر، ويُعصى فيتجاوز ويغفِرُ؛ كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل؛ أقرب شهيد، وأدنى حفيظ؛ حالَ دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وسجَّل الآثار، وكتب الآجال؛ فالقلوب له مفضية، والسرّ عنده علانية، والغيب عنده شهادة؛ عطاؤه كلام، وعذابه كلام:

---

(١) لم أقف على نقل صحيح يجعل هٰذا اللفظ من صفات الله ـ ﷻ ـ وهي توقيفية، فإن ثبت به شيء؛ قلت به حياً وميتاً، وأستغفر الله.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يٰس: ٨٢].

فإذا أشرقت على القلب أنوار هٰذه الصفات؛ اضمحلَّ عندها كل نور، ووراء هٰذا ما لا يخطر بالبال، ولا تناله عبارة.

والمقصود أنّ الذِّكر ينوِّر القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه، وفي البرزخ، وفي القيامة، وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله، ولها نور وبرهان؛ حتى إن مِنَ المؤمنين مَن يكون نور أعماله إذا صعِدت إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ كنورِ الشمس، وهٰكذا نور روحه إذا قدم بها على الله ﷻ، وهٰكذا يكون نوره الساعي بين يديه على الصراط، وهٰكذا يكون نور وجهه في القيامة، والله ـ تعالى ـ المستعان، وعليه الاتّكال.

السابعة والثلاثون: أن الذِّكر رأس الأصول، وطريق عامّة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فُتِحَ له فيه؛ فقد فُتِح له باب الدخول إلى الله ﷻ، فليتطهر، وليدخل على ربّه ﷻ؛ يجد عنده كل ما يريد، فإن وجد ربّه ﷻ وجد كل شيء، وإن فاته ربّه ﷻ فاته كل شيء.

الثامنة والثلاثون: في القلب خَلَّة وفاقة لا يسدُّها شيء ألبتة إلّا ذكر الله ﷻ، فإذا صار الذِّكر شعار القلب؛ بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له؛ فهٰذا هو الذِّكر الذي يسدّ الخلّة، ويفني الفاقة، فيكون صاحبه غنياً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مهيباً بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله ﷻ فهو بضدِّ ذٰلك؛ فقيرٌ مع كثرة جِدّته، ذليلٌ مع سلطانه، حقيرٌ مع كثرة عشيرته.

التاسعة والثلاثون: أن الذِّكر يجمع المتفرِّق، ويفرِّق المجتمع، ويقرِّب البعيد، ويبعد القريب:

فيجمع ما تفرَّق على العبد من قلبه وإرادته، وهمومه وعزومه،

والعذاب ـ كل العذاب ـ في تفرقتها وتشتُّتها عليه، وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمّه، وعزمه وإرادته.

ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم، والغموم، والأحزان، والحسرات؛ على فوت حظوظه ومطالبه.

ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه، وخطاياه، وأوزاره؛ حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل.

ويفرِّق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلباً لله ﷻ وأمثل تعلقاً به وإرادة له، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هٰذا الجمع؛ إلّا بدوام الذِّكر.

وأما تقريبه البعيد، فإنه يقرِّب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل؛ فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذٍ تصغر في عينه الدنيا، وتعظم في قلبه الآخرة.

ويبعد القريب إليه، وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإنّ الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا؛ كلما قربت منه هٰذه مرحلة بَعُدت منه هٰذه مرحلة، ولا سبيل إلى هٰذا إلا بدوام الذكر.

الأربعون: أن الذِّكر ينبّه القلب من نومه، ويوقظه من سِنَتِهِ، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شدّ المئزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نومٌ ثقيل.

الحادية والأربعون: أن الذِّكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي

شمّر إليها السالكون؛ فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذِّكر، وكلما عظمت تلك الشجرة، ورَسَخ أصلها؛ كان أعظم لثمرتها.

فالذِّكر يُثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينبني ذٰلك المقام عليها؛ كما يبنى الحائط على أُسِّه، وكما يقوم السقف على حائطه، وذٰلك أن العبد إن لم يستيقظ ولم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذِّكر ـ كما تقدم ـ فالغفلة نومُ القلب أو موته.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهٰذه المعيّة معية خاصة غير معية العلم والإحاطة التامّة؛ فهي معية بالقرب، والولاية، والمحبة، والنصرة، والتوفيق؛ كقوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وللذاكر من هٰذه المعية نصيبٌ وافر؛ كما في الحديث الإلٰهي:

«أنا مع عَبْدي ما ذَكَرَني وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتاهُ»[(١)].

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، وهي أخصّ من المعية الحاصلة للمحسن والمتّقي، وهي معية لا تُدركها العبارة، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٧ ـ فتح) تعليقاً.
ووصله ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (٢/ ٥٤٠)، والحاكم (١/ ٤٩٦)، وابن حبان (٢٣١٦ ـ موارد).
قلت: وهو صحيح.
وفيه دحض للبدعة النقشبندية الزاعمة أن الذكر النفسي أفضل وأجلّ، وفي «الأصل» زيادة توضيح.

تنالها الصفة، وإنما تُعلم بالذوق[١]، وهي مزلّة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدَث، بين الربّ والعبد، بين الخالق والمخلوق، بين العابد والمعبود، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود، وأن وجود الربّ عين وجود هٰذه الموجودات؛ بل ليس عندهم ربّ وعبد، ولا خلق وحقّ؛ بل الربّ هو العبد، والعبد هو الربّ، والخلق المشبَّه هو الحقّ المنزَّه، تعالى الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

والمقصود أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة، وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذِّكر، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه؛ وَلَجَ في باب الحلول والاتحاد ولا بدّ.

والثالثة والأربعون: أن الذِّكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله ﷻ.

وقد تقدم أن مَن قال في يوم مائة مرة: لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حِرزاً من الشيطان يومَه حتى يمسي... الحديث[٢].

وقد تقدَّم حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أُنبئكم بخيرِ أعمالِكم وأزكاها عند مَلِيكِكُم، وأرفعِها في

---

(١) وهو الذوق الشرعي لا الضلالي البدعي؛ كما يدل عليه سياق كلام المصنف ـ رحمه الله ـ. وانظر بيانه في رسالتي «حلاوة الإيمان»، نشر مكتبة ابن الجوزي.

(٢) تقدّم (ص٧٧، رقم ١).

درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاقِ الوَرِقِ والذهبِ، وخيرٍ لكُم من أنْ تَلْقَوْا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله!

قال: «ذكر الله».

رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال الحاكم:

صحيح الإسناد[١].

الرابعة والأربعون: أن الذِّكر رأس الشكر، فما شكرَ الله ـ تعالى ـ مَن لم يذكره.

قلتُ: قالت عائشة:

كان رسول الله ﷺ يذكر الله ـ تعالى ـ على كل أحيانه[٢].

ولم تستثنِ حالة من حالة، وهٰذا يدل على أنه كان يذكر ربّه ـ تعالى ـ في حال طهارته وجنابته.

وأما حال التخلِّي، فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأُمّته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذِّكر، وأنه لا يخلُ به عند قضاء الحاجة وبعدها، وكذٰلك شرع للأُمّة من الذِّكر عند الجماع أن يقول أحدهم:

«بسمِ الله، اللهمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقْتَنا»[٣].

وأما عند نفس قضاء الحاجة، وجماع الأهل، فلا ريب أنه لا يكره

---

(١) تقدّم (ص٦٥، رقم ١).
والمتقدم هناك حديث معاذ بن جبل، وليس حديث أبي الدرداء... ولكن متنهما هو هو.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٨٦ ـ نووي).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٤٣ و٦/ ٣٣٥ ـ فتح)، ومسلم (١٠/ ٥ ـ نووي) وغيرهما؛ من حديث ابن عباس.

بالقلب؛ لأنه لا بدّ لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر مَن هو أحب شيء إليه، فلو كلَّف القلب نسيانه، لكان تكليفه بالمحال؛ كما قال القائل:

يُرادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وتَأْبَى الطِّباعُ عَلَى النَّاقِلِ

فأما الذِّكر باللسان على هٰذه الحالة، فليس مما شرعَ لنا، ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ، ولا نُقِلَ عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم.

ويكفي في هٰذه الحال استشعار الحياء والمراقبة، والنعمة عليه في هٰذه الحالة، وهي من أجلِّ الذِّكر؛ فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهٰذه الحال التَّقَنُّعُ بثوب الحياء من الله ـ تعالى ـ وإجلاله وذكر نعمته عليه، وإحسانه إليه في إخراج هٰذا العدوّ المؤذي له، الذي لو بقي فيه لقتله؛ فالنعمة في تيسير خروجه، كالنعمة في التغذي به.

وكذٰلك ذكره حال الجماع؛ ذِكْر هٰذه النعمة التي منَّ بها عليه، وهي أجلُّ نِعم الدنيا، فإذا ذكر نعمة الله ـ تعالى ـ عليه بها؛ هاج من قلبه هائج الشكر، فالذِّكر رأس الشكر.

وقال النبيُّ ﷺ لمعاذ:

«والله يا معاذُ! إني لأُحِبُّكَ، فلا تنسَ أنْ تقولَ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ: اللَّهمَّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ»[1].

فجمع بين الذِّكرِ والشُّكرِ؛ كما جمع ﷻ بينهما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

فالذِّكر والشكر جماع السعادة والفلاح.

---

(١) صحيح.
وقد استوفيت الكلام على طرقه في تخريجي لـ «الوصية الصغرى» (٩).

الخامسة والأربعون: أنّ أكرم الخلق على الله ـ تعالى ـ من المتّقين مَن لا يزال لسانه رَطباً بذكره، فإنه اتّقاه في أمره ونهيه، وجعل ذكره شعاره.

فالتقوى أوجبت له دخول الجنّة، والنجاة من النار، وهٰذا هو الثواب والأجر.

والذِّكر يوجب له القرب من الله ﷻ والزلفى لديه، وهٰذه هي المنزلة.

وعمال الآخرة على قسمين:

منهم مَن يعمل على الأجر والثواب.

ومنهم مَن يعمل على المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله ـ تعالى ـ ويسابق إلى القرب منه.

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ النوعين في سورة الحديد، في قول الله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد: ١٨].

فهٰؤلاء أصحاب الأُجور والثواب.

ثم قال:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

فهٰؤلاء أصحاب المنزلة والقرب.

ثم قال:

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩].

فقيل: هٰذا عطف على الخبر من ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾، أخبر

عنهم بأنهم هم الصدِّيقون، وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأُمم. ثم أخبر عنهم أنّ لهم أجراً، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أُمور:

أنَّهم صدِّيقون، وشهداءُ؛ فهٰذه هي المرتبة والمنزلة.

قيل: ثم الكلام عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾.

ثم ذكر بعد ذٰلك حال الشهداء، فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

فيكون قد ذكر المتصدِّقين أهلَ البرّ والإحسان، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم، وامتلؤوا منه؛ فهم الصدِّيقون، وهم أهل العلم والعمل، والأوّلونَ أهل البرِّ والإحسانِ، ولكن هٰؤلاء أكمل صِدِّيقيّةً منهم.

ثم ذكر الشهداء، وأنه ـ تعالى ـ يُجْري عليهم رزقهم ونورهم؛ لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله ـ تعالى ـ؛ أثابهم الله ـ تعالى ـ عليها، أنْ جعلهم أحياءً عنده يرزقون، فيجري عليهم رزقهم ونورهم؛ فهٰؤلاء السعداء.

ثم ذكر الأشقياء، فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة: ١٠ و٨٦].

والمقصود أنه ﷻ ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهٰذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السَّحرة إن غَلَبوا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: ٤١ ـ ٤٢].

أي: أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني.

فالعمّال عملوا على الأُجور، والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله، وأعمال هٰؤلاء أكثر من أعمال أولٰئك، وأعمال أولٰئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هٰؤلاء.

السادسة والأربعون: أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله ـ تعالى ـ، فينبغي أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله ـ تعالى ـ.

السابعة والأربعون: أن الذِّكر شفاءُ القلب ودواؤه، والغفلة مرضه؛ فالقلوب مريضة، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله ـ تعالى ـ.

قال مكحول:

ذكر الله ـ تعالى ـ شفاء، وذكر الناس داءٌ.

كما قيل:

إذا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَاناً فَنَنْتَكِسُ

الثامنة والأربعون: أن الذِّكر أصل موالاة الله ﷻ ورأسُها، والغفلة أصل معاداته ورأسُها، فإن العبد لا يزال يذكر ربّه ﷻ حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفلُ عنه حتى يُبغضه فيعاديه.

قال الأوزاعي:

قال حسان بن عطية: ما عادى عبد ربّه بشيء أشدّ عليه من أن يكره ذكره أو مَن يذكره.

فهٰذه المعاداة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله، ويكره مَن يذكره؛ فحينئذ يتّخذه عدواً، كما اتخذ الذَّاكِر ولياً.

التاسعة والأربعون: أنه ما استُجْلِبت نِعَم الله ﷻ واستُدفعت نقمه بمثل ذكر الله ـ تعالى ـ؛ فالذِّكر جلّاب للنِّعم، دافع للنّقم.

قال ﷻ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ[1]﴾ [الحج: ٣٨].

فدَفْعُه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادّة الإيمان وقوّته بذكر الله ـ تعالى ـ؛ فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذِكراً، كان دفع الله ـ تعالى ـ عنه ودفاعه أعظم، ومن نَقَصَ؛ نُقِص ذكراً بذكر، ونسياناً بنسيان.

وقال ﷻ:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والذِّكر رأس الشكر كما تقدّم، والشكر جلّاب النِّعم، وموجب للمزيد.

قال بعض السلف ـ رحمة الله عليهم ـ:

ما أقبح الغفلة عن ذكر مَن لا يَغْفُلُ عن ذكرك.

الخمسون: أن الذِّكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته على الذاكر، ومَن صلّى الله ـ تعالى ـ عليه وملائكته؛ فقد أفلح كلَّ الفلاح، وفاز كلَّ الفوز.

قال ﷻ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣].

---

(١) الأولى: قراءة أبي عمرو الداني، وابن كثير. والأخرى: للباقين.
وانظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (٢/ ١١٩ ـ ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٢٦).

فهٰذه الصلاة منه ـ تبارك وتعالى ـ ومِن ملائكته، إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله ـ تبارك وتعالى ـ وملائكته، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور؛ فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم؟! وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم؟!

فيا حسرةَ الغافلين عن ربِّهم ماذا حُرِمُوا من خيره وفضله، وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون: أن مَن شاء أن يسكن رياض الجنّة في الدنيا؛ فليستوطن مجالس الذِّكر، فإنها رياض الجنّة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله، قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ فقال:

«يا أيُّها الناسُ! ارْتَعوا في رياض الجنَّةِ».

قلنا: يا رسول الله! وما رياض الجنة؟

قال: «مجالس الذِّكْر».

ثم قال: «اغْدوا وروحوا واذْكُروا، فمَن كانَ يحب أن يعلم منزلتَه عندَ الله؛ فَلْيَنْظُرْ كيفَ منزلةُ الله تعالى عنده، فإنَّ الله تعالى يُنْزِلُ العبدَ منه حيث أنْزَلَهُ من نفسه»[1].

الثانية والخمسون: أنّ مجالس الذِّكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله ـ تعالى ـ فيه، كما أخرجا في «الصحيحين» من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ لله مَلائكةً فُضُلاً عن كتاب الناس، يطوفونَ في الطُّرُقِ،

---

(١) حسن بشواهده، كما تقدّم.

يَلْتَمِسُونَ أهلَ الذِّكرِ، فإذا وَجَدُوا قوماً يذكُرونَ الله ـ تعالى ـ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُم».

قال: «فيَحُفُّونَهُم بأَجْنِحَتِهِم إلى السَّماءِ الدُّنيا».

قال: «فيسأَلُهُم ربُّهُم ـ تعالى ـ وهو أعلم بهم: ما يقولُ عبادي؟».

قال: «يقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ».

قال: «فيقول: هَلْ رَأَوْني؟».

قال: «فيقولونَ: لا والله ما رأَوْكَ».

قال: «فيقولُ: كيفَ لو رأَوْني؟».

قال: «فيقولونَ: لو رأَوْكَ كانوا أشدَّ لكَ عبادةً، وأشدَّ لك تحميداً وتَمجيداً، وأكثرَ لك تَسْبيحاً».

قال: «فيقول: ما يسأَلوني؟».

قال: «يسأَلُونَكَ الجَنَّة».

قال: «فيقولُ: وهلْ رَأَوْها؟».

قال: «يقولونَ: لا والله يا ربِّ! ما رأَوْها».

قال: «فيقولُ: فكيفَ لو أَنَّهُم رأَوْها؟».

قال: «يقولونَ: لو أَنَّهُم رأَوْها كانوا أشدَّ عليها حرصاً، وأشدَّ لها طَلَباً، وأعظمَ فيها رغبةً».

قال: «فيقولُ: فمِمَّ يَسْتَعِيذونَ؟».

قال: «مِنَ النارِ».

قال: «يقولُ: وهلْ رأَوْها؟».

قال: «يقولونَ: لا والله يا ربِّ! ما رأَوْها».

قال: «يقولُ: فكيفَ لو رأَوْها».

قال: «يقولونَ: لو رأَوْها كانوا أشدَّ منها فِراراً، وأشدَّ لها مَخافةً».

قال: «يقول: فأُشْهِدُكُم أنِّي قد غَفَرْتُ لهم».

قال: «فيقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنّما جاء لحاجةٍ».

قال: «هم الجُلَساءُ لا يَشْقَى جليسُهُم»[1].

فهٰذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

فهٰكذا المؤمن مباركٌ أين حلّ، والفاجر مشؤوم أين حلّ.

فمجالس الذِّكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلٌّ مضاف إلى شكله وأشباهه، وكلُّ امرئ يصير إلى ما يناسبه.

الثالثة والخمسون: أنَّ الله ﷻ يباهي بالذَّاكرين ملائكته.

كما روى مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري، قال:

خرَجَ معاويةُ على حَلْقَةٍ في المسجد، فقال: ما أجْلَسَكُم؟

قالوا: جلَسْنا نَذْكُرُ الله ـ تعالى ـ.

قال: آلله ما أجْلَسَكُم إلا ذاك؟

قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذٰلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ١٤ ـ ١٥ ـ نووي).
وجملة: «عن كتاب الناس» ليست في «الصحيحين»، وفي «الأصل» زيادة بيان.

قال: أما إني لم أَسْتَحْلِفَكُم تُهْمَةً لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإنّ رسولَ الله ﷺ خرجَ على حَلْقَةٍ من أصحابه فقال:

«ما أجْلَسَكُم؟».

قالوا: جلسنا نذكُرُ الله تعالى، ونحمَدُهُ على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا.

قال: «آلله ما أجْلَسَكُم إلا ذاك؟».

قالوا: والله ما أجْلَسَنا إلا ذاك.

قال: «أما إنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكُم، ولكنَّه أتاني جِبريلُ، فأخبَرَني أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يُباهي بكُمُ الملائكَةَ»[1].

فهٰذه المباهاة من الربّ ـ تبارك وتعالى ـ دليلٌ على شرف الذِّكر عنده، ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال.

الرابعة والخمسون: أن مُدْمِنَ الذِّكْر يدخل الجنة وهو يضحك.

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال إنما شُرعت إقامة لذكر الله ـ تعالى ـ، والمقصود بها تحصيل ذكر الله ـ تعالى ـ.

قال ﷻ:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤].

قيل: المصدر مضاف إلى الفاعل؛ أي: لأذكرك بها.

وقيل: مضاف إلى المذكور؛ أي: لتذكروني بها، واللام في هٰذا لام التعليل.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٢٢ ـ ٢٣ ـ نووي).

وقيل: هي اللام الوقتية؛ أي: أقم الصلاة عند ذكري؛ كقوله:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهٰذا المعنى يُراد بالآية، لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر؛ لأن هٰذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف، والذِّكر مصدر؛ إلا أن يقدَّر زمان محذوف؛ أي: عند وقت ذكري، وهٰذا محتمل.

والأظهَرُ أنها لام التعليل؛ أي: أقم الصلاة لأجل ذِكْري، ويلزم من هٰذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذكر العبد ربّه، فذِكْرُ الله ـ تعالى ـ سابق على ذِكرِه، فإنه لمّا ذكره ألهمه ذكره؛ فالمعاني الثلاثة حقّ.

وقال ﷻ:

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فقيل: المعنى: إنكم في الصلاة تذكرون الله، وهو ذاكر مَن ذكره؛ ولَذِكْرُ الله ـ تعالى ـ إيَّاكُم أكبرُ من ذكرِكُم إيّاه.

وهٰذا يُروى عن ابن عباس، وسلمان، وأبي الدرداء، وابن مسعود ﷺ.

وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، قال:

هو قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، فذكرُ الله ـ تعالى ـ لكم أكبر من ذكركم إيَّاه.

وقال ابن زيد وقتادة:

معناه: وذكر الله أكبر من كل شيء.

وقيل لسلمان: أيّ الأعمال أفضل؟

فقال: أما تقرأ القرآن؟! ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

ويشهدُ لهٰذا حديث أبي الدرداء المتقدّم:

«ألا أُنَبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم وأزْكاها عندَ مَليكِكُم، وخيرٍ لكم من إنفاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ...» الحديث[1].

وكان شيخ الإسلام أبو العباس ـ قدس الله روحه ـ يقول:

الصحيح أن معنى الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله ـ تعالى ـ، ولِمَا فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس؛ أنه سُئِل: أيّ العمل أفضل؟

قال: ذكر الله أكبر.

السادسة والخمسون: أن أفضل أهلِ كلِّ عملٍ أكثرُهم فيه ذِكراً لله ﷻ؛ فأفضل الصُّوَّام أكثرُهم ذِكراً لله ﷻ في صومهم، وأفضل المتصدِّقين أكثرُهم ذكراً لله ﷻ، وأفضل الحاجِّ أكثرُهم ذكراً لله ﷻ، وهٰكذا سائر الأحوال.

وقال عبيد بن عمير:

إنْ أعظَمَكُم هٰذا اللّيلُ أن تكابدوه، وبَخِلْتُم بالمال أن تُنْفِقُوهُ، وجَبُنْتُم عن العدوِّ أن تقاتلوه؛ فأَكْثِرُوا من ذِكْرِ الله ﷻ.

---

(١) تقدّم (ص٦٥، رقم ٢)، والمتقدِّم حديث معاذ بن جبل، كما وضّحنا من قبل، ومتنهما واحد.

السابعة والخمسون: أن إدامته تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها؛ سواء كانت بدنية، أو مالية، أو بدنية مالية؛ كحجّ التطوع.

وقد جاء ذٰلك صريحاً في حديث أبي هريرة: أن فقراءَ المهاجرين أتَوْا رسولَ الله ﷺ.

فقالوا: يا رسول الله! ذَهَبَ أهلُ الدُّثور بالدَّرجات العُلى، والنعيمِ المقيمِ.

فقالَ: «وما ذاك؟».

قالوا: يُصَلُّونَ كما نُصلّي، ويصومونَ كما نصومُ، ولهُم فضلُ أموالِهِم؛ يَحُجُّونَ بها، ويعتَمِرونَ، ويُجاهِدونَ، ويتصدَّقونَ.

فقال: «ألا أُعَلِّمُكُم شيئاً تُدْرِكُونَ بهِ مَن سبَقَكُم، وتَسْبِقُونَ بهِ مَن بعدَكم، ولا أحدٌ يكونُ أفضلَ منكُم إلا مَن صنَعَ ما صنَعْتُم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدونَ، وتُكَبِّرُونَ خلفَ كُلِّ صلاةٍ...» الحديث.

متفق عليه[1].

فجعل الذِّكر عِوَضاً لهم عما فاتهم من الحجّ، والعمرة، والجهاد؛ وأخبر أنّهم يَسْبِقُونَهُم بهٰذا الذِّكر.

فلما سمع أهل الدُّثور بذٰلك عملوا به، فازدادوا - إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم - التعبُّد بهٰذا الذِّكر، فحازوا الفضيلتين، فنافسهم الفقراء، وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذٰلك، فانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليهم، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٢٥ - فتح)، ومسلم (٥/ ٩٢ - ٩٣ - نووي).

«ذٰلك فضلُ الله يُؤْتيهِ مَن يشاءُ»[١].

وفي حديث عبد الله بن بسر، قال:

جاء أعرابي فقال: يا رسول الله! كثُرَتْ عليَّ خِلالُ الإسلام وشرائعُه، فأخْبِرني بأمرٍ جامع يكفيني؛ قال:

«عليكَ بذِكْرِ الله ـ تعالى ـ».

قال: ويكفيني يا رسول الله؟

قال: «نعم، ويَفْضُلُ عنكَ»[٢].

فدلّه الناصح ﷺ على شيء يعينه على شرائع الإسلام، والحرص عليها، والاستكثار منها؛ فإنه إذا اتَّخذ ذكر الله ـ تعالى ـ شعاره؛ أحبَّه وأحبّ ما يحبّ، فلا شيء أحب إليه من التقرّب بشرائع الإسلام؛ فدلّه ﷺ على ما يتمكَّن به من شرائع الإسلام، وتسهل به عليه، وهو ذكر الله ﷻ يوضحه:

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله ﷻ من أكبر العون على طاعته، فإنه يحبِّبها إلى العبد، ويسهِّلها عليه، ويلذِّذها له، ويجعلها قرّة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها؛ بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذٰلك؛ يوضحه:

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله ﷻ يُسَهِّلُ الصعب، ويُيَسِّرُ العسير، ويُخَفِّفُ المشاقَّ؛ فما ذُكِرَ الله ﷻ على صعبٍ إلا هان، ولا على عسيرٍ إلا تيسَّرَ، ولا مشقَّةٍ إلا خفَّت، ولا شدّة إلا زالت، ولا كُرْبةٍ إلّا انفرجت؛ فذِكْر الله ـ تعالى ـ هو الفرج بعد الشدّة، واليُسْر بعد العسر، والفرج بعد الغمّ والهمّ؛ يوضحه:

---

(١) رواية لمسلم.

(٢) تقدَّم (ص٦٦، رقم ٣).

الستون: أن ذكر الله ﷻ يُذهب عن القلب مخاوفه كلَّها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن؛ فليس للخائف الذي قد اشتدّ خوفه أنفع من ذكر الله ﷻ؛ إذ بحسب ذكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمانٌ له، والغافل خائف مع أمْنه، حتى كأنّ ما هو فيه من الأمنِ كلِّه مخاوفُ، ومَن له أدنى حسّ قد جرّب هٰذا وهٰذا، والله المستعان.

الحادية والستون: أن الذِّكر يعطي الذّاكر قوّة، حتى إنه ليفعل مع الذِّكر ما لم يظنّ فعله بدونه، وقد شاهدت من قوّة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه، وكلامه، وإقدامه، وكتابه، أمراً عجيباً؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكرُ من قوّته في الحرب أمراً عظيماً.

وقد علَّم النبيُّ ﷺ ابنته فاطمة وعلياً ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن يسبِّحا كلّ ليلة إذا أخذا مضاجِعَهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمَدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين؛ لمَّا سألَتْهُ الخادِمَ، وشَكَتْ إليه ما تُقاسيه من الطَّحْنِ والسعيِ والخِدْمَةِ؛ فعلَّمها ذٰلك، وقال:

«إنَّه خيرٌ لكُما من خادم»[1].

فقيل: إن مَن داوم على ذٰلك وجد قوّة في يومه مُغنية عن خادم.

الثانية والستون: أن عُمَّال الآخرة كلَّهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذٰلك المضمار، ولكن القَتَرة والغبار يمنع من رؤية سبقهم؛ فإذا انجلى الغبار وانكشف؛ رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٧١ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٤٥ ـ نووي).

الثالثة والستون: أن الذكر سبب لتصديق الربّ ﷻ عبده، فإنه أخبر عن الله ـ تعالى ـ بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربه، ومَن صدَّقه الله ـ تعالى ـ لم يُحشر مع الكاذبين، ورُجِيَ له أن يُحشر مع الصادقين.

روى أبو إسحاق عن الأغرّ أبي مسلم؛ أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ؛ أنه قال:

«إذا قال العبدُ: لا إله إلا الله، والله أكبر».

قال: «يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: صدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبرُ.

وإذا قال: لا إله إلا الله وحده.

قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي.

وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، لا شريك لي.

وإذا قال: لا إله إلّا الله، له الملك، وله الحمد.

قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، لي الملك، ولي الحمد.

وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي».

قال أبو إسحاق:

ثم قال الأغرُّ شيئاً لم أفهمه، قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال:

«مَن رُزِقَهُنَّ عند موتهِ؛ لم تَمَسَّهُ النارُ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٧٩٤)، وابن حبان (٢٣٢٥ ـ موارد).
قلت: وهو صحيح.

الرابعة والستون: أن دُورَ الجنَّةِ تُبنى بالذِّكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذِّكر؛ أمسكت الملائكة عن البناء.

وكما أن بناءها بالذِّكر، فغراس بساتينها بالذِّكر؛ كما تقدم في حديث النبيّ ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام:

«أنّ الجنَّةَ طيبةُ التربةِ، عذبةُ الماءِ، وأنها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها: سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلا الله، والله أكبَرُ»[١].

فالذِّكر غراسها وبناؤها.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«أكْثِرُوا مِن غِراسِ الجنَّةِ».

قالوا: يا رسول الله! وما غِراسُها؟ قال:

«ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

الخامسة والستون: أنَّ الذِّكر سَدٌّ بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنّم طريق من عمل من الأعمال؛ كان الذِّكر سدّاً في تلك الطريق، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً؛ كان سدّاً محكماً لا مَنْفَذَ فيه، وإلا فبحسبه.

السادسة والستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر؛ كما تستغفر للتائب.

---

(١) حسن بشواهده، تقدم (ص٧٥، رقم ١).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٥٤).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٩٨):
وفيه عقبة بن علي، وهو ضعيف.
قلت: هو حسن بما قبله.

السابعة والستون: أنّ الجبالَ والقِفارَ تَتباهى وتستَبْشِرُ بمَن يذكُرُ الله ﷻ عليها.

الثامنة والستون: أنّ كثرة ذكر الله ﷻ أمانٌ من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذِّكر لله ﷻ.

قال الله ﷻ في المنافقين:

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال كعب:

مَن أكثر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق. ولهٰذا ـ والله أعلم ـ ختم الله ـ تعالى ـ سورة المنافقين بقوله ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

فإن في ذٰلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله ﷻ، فوقعوا في النفاق.

وسُئل بعض الصحابة ﷺ عن الخوارج: منافقون هم؟ قال:

لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً.

فهٰذا من علامة النفاق: قِلّةُ ذِكْرِ الله ﷻ، وكثرةُ ذكره أمانٌ من النفاق، والله ﷻ أكرم من أن يبتليَ قلباً ذاكراً بالنفاق، وإنما ذٰلك لقلوب غفلت عن ذكر الله ﷻ.

التاسعة والستون: أن للذِّكر من بين الأعمال لذّةً لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذّة الحاصلة للذّاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه؛ لكفى به، ولهٰذا سُمّيت مجالسُ الذِّكر رياضَ الجنّة.

قال مالك بن دينار:

ما تلذَّذَ المتلذِّذونَ بمثلِ ذكرِ الله ﷻ، فليس شيء من الأعمال أخفَّ مؤونةً منه، ولا أعظمَ لذّةً، ولا أكثرَ فرحةً وابتِهاجاً للقلب.

السبعون: أنه يكسو الوجه نضرةً في الدنيا، ونوراً في الآخرة؛ فالذّاكرون أنضر الناس وجوهاً في الدنيا، وأنورهم في الآخرة.

الحادية والسبعون: أن في دوام الذِّكر في الطريق، والبيت، والحضر، والسفر، والبقاع، تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض، تشهد للذاكر يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة].

فروى الترمذي في «جامعه» من حديث سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هٰذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾؛ قال:

«أتَدْرُونَ ما أخبارَها؟».

قالوا: الله ورسولُه أعلمُ.

قال: «فإنَّ أخبارَها أن تَشْهَدَ على كلِّ عبدٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِها؛ تقول: عَمِلَ يومَ كذا وكذا».

قال الترمذي:

هٰذا حديث حسن صحيح[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣)، وأحمد (٢/ ٣٤)، والحاكم (٢/ ٥٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥/ ١١٦ ـ ١١٧)؛ من طريق سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة.
قلت: هٰذا إسناد ضعيف، فيه يحيى بن أبي سليمان، وهو ليّن الحديث. =

والذاكر لله ﷻ في سائر البقاع مكثر شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة، يوم قيام الأشهاد، وأداء الشهادات؛ فيفرح ويغتبط بشهادتهم.

الثانية والسبعون: أن في الاشتغال بالذِّكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة، واللّغو، ومدح الناس، وذمِّهم وغير ذٰلك؛ فإن اللّسان لا يسكت ألبتة.

فإما لسانٌ ذاكر، وإما لسانٌ لاغٍ، ولا بدّ من أحدهما؛ فهي النفس: إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل؛ وهو القلب: إن لم تسكنه محبّة الله ﷻ سكنه محبة المخلوقين ولا بدّ؛ وهو اللّسان: إن لم تشغله بالذِّكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بدّ؛ فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنْزِلها في إحدى المنزلتين.

الثالثة والسبعون: وهي التي بدأنا بذكرها، وأشرنا إليها إشارة، فنذكرها ها هنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحد ـ بل ضرورته ـ إليها، وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنّك برجل قد احتوشته أعداؤه المحنقون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكلٌّ منهم يناله بما يقدر عليه من الشرِّ والأذى؟! ولا سبيل إلى تفريق جَمْعهم عنه إلا بذكر الله ﷻ.

= وله شاهد عن أنس.

أخرجه ابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، كما في «الدرّ المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٩٢).

وشاهد آخر من حديث ربيعة الجرشي.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٥٩٦).

وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

لكن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

فهٰذا مطابق لحديث الحارث الأشعري ـ الذي شرحناه في هٰذه الرسالة ـ وقوله فيه:

«وأَمَرَكُم بذكر الله ﷻ وأن مثل ذٰلك كمثل رجل طلبه العدوّ، فانطلقوا في طلبه سراعاً، وانطلق حتى أتى حصناً حَصيناً، فأحرز نفسه فيه».

فكذٰلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله ﷻ.

وفي الترمذي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ: بسمِ الله، توكَّلْتُ على الله، لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله؛ يقال له: كُفيتَ، وهُديتَ، ووُقيتَ. وتنحّى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟!».

رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي وقال:

حديث حسن[(١)].

وقد تقدم قوله ﷺ:

«مَن قال في يومٍ مائة مرة: لا إلٰه إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير؛ كانت له حرزاً من الشيطان حتى يُمسي»[(٢)].

وفي «صحيح البخاري» عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال:

ولّاني رسول الله ﷺ زكاةَ رمضانَ أن أحتفظَ بها، فأتاني آتٍ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٩)، وابن حبان (٢٣٧٢ ـ موارد)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧٨) وغيرهم.

قلت: وهو صحيح، كما بيّنته في «صحيح الأذكار» (٤٩).

(٢) مضى (ص٧٧، رقم ١).

فجعلَ يَحْثو الطعامَ، فأخذته، فقال: دَعْني، فإني لا أعود. . . فذكر الحديث، وقال:

فقال له في الثالثة: أُعلِّمُك كلماتٍ ينفعك الله بهنّ: إذا أوَيْتَ إلى فراشك؛ فاقْرأْ آيةَ الكرسي من أوّلها إلى آخرها؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح؛ فخلّى سبيله، فأصبح، فأخبر النبيّ ﷺ بقوله، فقال:

«صَدَقَكَ، وهو كذوبٌ»[١].

وفي «الصحيحين» من حديث سالم بن أبي الجعد، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«أما إنَّ أحَدَكُم إذا أتى أهلَهُ قال: بسمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقْتَنا؛ فيولدُ بينَهُما ولدٌ، لا يضرُّه شيطانٌ أبداً»[٢].

وقد ثبت في الصحيح أن الشيطان يهرب من الأذان.

قال سهيل بن أبي صالح:

أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام ـ أو صاحب ـ لنا، فنادى منادٍ من حائط باسمه، فأشرف الذي معي على الحائط، فلم ير شيئاً، فذكرتُ ذٰلك لأبي، فقال:

لو شعرتُ أنك تلقى هٰذا، لم أُرسلْكَ؛ ولكن إذا سمعت صوتاً، فنادِ بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدّث عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً (٤/ ٤٨٧ ـ فتح)، ووصله غيره كما بيّنه الحافظ في «الفتح» (٤/ ٤٨٨)، وستأتي زيادة (ص١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١ و٣٢٧١ و٣٢٨٣ و٥١٦٥ و٧٣٩٦ ـ فتح)، ومسلم (١٠/ ٥ ـ نووي).

«إنَّ الشيطانَ إذا نُودِيَ بالصلاةِ ولَّى، وله حُصاصٌ».

وفي رواية:

«إذا سمع النِّداءَ ولَّى، وله ضُراطٌ، حتى لا يسمع التأذين...» الحديث[1].

فهٰذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذٰلك العبد: يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله ـ تعالى ـ.

ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذِّكر، تكميلاً للفائدة:

الرابعة والسبعون: الذِّكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الربّ ـ تبارك وتعالى ـ وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه عما لا يليق به ـ تبارك وتعالى ـ وهٰذا أيضاً نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذّاكر، وهٰذا النوع هو المذكور في الأحاديث، نحو: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر».

و«سبحان الله وبحمده».

و«لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

ونحو ذٰلك؛ فأفضل هٰذا النوع أجمعه للثناء وأعمّه، نحو: «سبحان الله عدد خلقه»، فهٰذا أفضل من مجرد «سبحان الله»؛ وقولك: «الحمد لله عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما بينهما، وعدد ما هو خالق» أفضل من مجرد قولك: «الحمد لله».

وهٰذا في حديث جويرية؛ أن النبيّ ﷺ قال لها:

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤ ـ فتح)، ومسلم (٤/ ٩٠ ـ نووي).

«لقد قلتُ بعدكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مرَّاتٍ، لو وُزِنَت بما قلتِ منذ اليوم لوَزَنَتْهُنَّ: سبحانَ الله عدَدَ خلقِهِ، سبحانَ الله رِضى نفسهِ، سُبحانَ الله زِنَةَ عرشِه، سُبحانَ الله مِدادَ كَلِماتِهِ».

رواه مسلم[١].

الخامسة والسبعون: الخبر عن الربّ ـ تعالى ـ بأحكام أسمائه وصفاته[٢]، نحو قولك: الله ﷻ يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأُمّهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته[٣]، ونحو ذٰلك.

وأفضل هٰذا النوع: الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى به عليه رسول الله ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

وهٰذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع: حَمْدٌ، وثناءٌ، ومَجْدٌ.

فالحمد لله: الإخبار عنه بصفات كماله ﷻ مع محبته والرضى به، فلا يكون المحبّ الساكت حامداً، ولا المثني بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناءً؛ فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك، كان مجداً.

وقد جمع الله ـ تعالى ـ لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾؛ قال الله: حمدني عبدي. وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾؛ قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا

---

(١) مسلم (١٧/ ٤٤ ـ نووي).
(٢) وهو النوع الثاني من النوع الأول.
(٣) إذا وجدها.

قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾؛ قال: مَجَّدني عبدي[١].

السادسة والسبعون: من الذِّكرِ: ذِكْر أمره ونهيه وأحكامه[٢].

وهو أيضاً نوعان:

أحدهما: ذكره بذٰلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأحبّ كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

والثاني: ذكره عند أمره، فيبادر إليه؛ وعند نهيه، فيهرب منه؛ فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيءٌ آخر، فإذا اجتمعت هٰذه الأنواع للذاكر، فذِكْره أفضل الذكر، وأجلُّه وأعظمه.

فائدة: فهٰذا الذِّكرُ ـ من الفقه الأكبر وما دونه ـ أفضل الذِّكر؛ إذا صحّت فيه النية.

ومن ذكره ﷻ: ذكر آلائه، وإنعامه، وإحسانه، وأياديه، ومواقع فضله على عبيده، وهٰذا أيضاً من أجلِّ أنواع الذِّكر.

فهٰذه خمسة أنواع:

وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وذٰلك أفضل الذِّكر.

وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية.

وباللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللّسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيِّج المحبة، ويُثيرُ الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويَزَع[٣] عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات،

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٠١ ـ ١٠٢ ـ نووي).

(٢) هو النوع الثاني من أنواع الذكر.

(٣) يَمنع ويَحبس.

وذكر اللّسان وحده لا يوجب شيئاً من هٰذه الآثار، وإن أثمر شيئاً منها؛ فثمرة ضعيفة.

السابعة والسبعون: الذِّكر أفضل من الدعاء.

الذِّكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هٰذا من هٰذا؟

ولهٰذا كان المستحبُّ في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله ـ تعالى ـ والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته؛ كما في حديث فضالة بن عُبيد؛ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته، لم يحمد الله ـ تعالى ـ ولم يصلِّ على النبيّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:

«عجّل هٰذا».

ثم دعاه، فقال له أو لغيره:

«إذا صلَّى أحدُكُم؛ فلْيَبْدَأْ بتَمْجِيد ربِّه ﷻ والثناءِ عليه، ثم يصلّي على النبيّ ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما شاء».

رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال:

حديث حسن صحيح.

ورواه الحاكم في «صحيحه»[1].

وهٰكذا دعاء ذي النون عليه السلام قال فيه النبيّ ﷺ:

«دَعْوَةُ أخي ذي النُّون، ما دعا بها مكروبٌ، إلا فرَّج الله كُربتَهُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦ ـ تحفة)، وأبو داود (١٤٨١)، وأحمد (٦/ ١٨)، والحاكم (١/ ٢٣٠).

قلت: وهو حديث صحيح.

وفي الترمذي:

«دَعْوَةُ أخي ذي النون؛ إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فإنه لم يدع بها مسلم في شيءٍ قطُّ؛ إلا استجاب الله له»(١).

وهٰكذا عامّة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام.

ومنه قوله ﷺ في دعاء الكرب:

«لا إلٰه إلا الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إلٰهَ إلا الله ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرش الكريم»(٢).

ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن، وابن حبان في «صحيحه»؛ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول:

اللّهمّ إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»(٣).

وروى أبو داود، والنسائي، من حديث أنس أنه كان مع النبيّ ﷺ جالساً، ورجلٌ يصلي ثم دعا:

اللّهمّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إلٰه إلا أنت، المنّان، بديع

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٢ ـ تحفة)، والحاكم (١/ ٥٠٥) وصححه، ووافقه الذهبي.
قلت: وهو كما قالا.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ١٤٥ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٤٧ ـ نووي).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٢ ـ تحفة)، وأبو داود (١٤٩٣)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وابن حبان (٢٣٨٢ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٥٠٤).
قلت: وهو صحيح.

السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ، يا قيُّوم.

فقال النبيُّ ﷺ:

«لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى»[(١)].

فأخبر النبيّ ﷺ أن الدعاء يُستجاب إذا تقدّمه هٰذا الثناء والذِّكر، وأنه اسم الله الأعظم؛ فكان ذكر الله ﷻ والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

وهٰذه فائدة أخرى من فوائد الذِّكر والثناء، وأنه يجعل الدعاء مستجاباً.

فالدعاء الذي يقدمه الذِّكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرّد، فإن انضاف إلى ذٰلك إخبار العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره واعترافه؛ كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسّل المدعوّ بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرَّض - بل صرّح - بشدّة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهٰذا المقتضي منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله؛ فاجتمع المقتضي من السائل، والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعاً، وأتمّ معرفة وعبودية.

وأنت ترى في الشاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسّل إلى مَن يريد معروفه بكرمه وجوده وبرّه، وذكر حاجته هو، وفقره ومسكنته؛ كان أعطف لقلب المسؤول، وأقرب لقضاء حاجته.

فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٢)، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وابن حبان (٢٣٨٢)، والحاكم (١/ ٥٠٤).
قلت: وهو صحيح.

لا تنكر، ونحو ذٰلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه، ونحو ذٰلك؛ كان أبلغ في قضاء حاجته مِن أن يقول ابتداءً: أعطني كذا وكذا.

فإذا عرفتَ هٰذا، فتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وقول ذي النون عليه السلام في دعائه:

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقول أبينا آدم عليه السلام:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وفي «الصحيحين» أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله! علِّمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال:

«قُل: اللَّهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لي مغفرةً مِن عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

فجمع في هٰذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربّه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معاً، فهٰكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.

الثامنة والسبعون: قراءة القرآن أفضل من الذِّكر، والذِّكر أفضل من الدعاء، هٰذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣١٧ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٢٧ ـ ٢٨ ـ نووي).

وقد يعرِض للمفضول ما يجعله أوْلى من الفاضل، بل يعينه، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهٰذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما؛ بل القراءة فيهما منهيٌّ عنها نهي تحريم أو كراهة، وكذٰلك التسميع والتحميد في محلّهما أفضل من القراءة، وكذٰلك التشهد، وكذٰلك الذِّكر عقيب السلام من الصلاة ـ ذكر التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد ـ أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذٰلك إجابة المؤذن، والقول كما يقول أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله ـ تعالى ـ على خلقه، لكن لكلّ مقامٍ مقال، متى فات مقاله فيه، وعدل عنه إلى غيره؛ اختلّت الحكمة، وفقدت المصلحة المطلوبة منه.

وهٰكذا الأذكار المقيدة بمحالَّ مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة؛ اللّهمّ إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذِّكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن.

مثاله: أن يتفكّر في ذنوبه، فيحدث ذٰلك له توبة من استغفار، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجنّ؛ فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصّنه وتحوطه.

وكذٰلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر؛ لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها؛ اجتمع قلبه كلّه على الله ـ تعالى ـ وأحدث له تضرُّعاً وخشوعاً وابتهالاً، فهٰذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هٰذه أنفع، وإن كان كلٌّ من القراءة والذِّكر أفضل وأعظم أجراً.

وهٰذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفسه، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة؛ فيُعطى كل ذي حقٍّ حقّه، ويوضع كل شيء موضعه.

فللعَيْن موضع، وللرِّجْل موضع، وللماء موضع، وللّحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي، والله ـ تعالى ـ الموفق.

وهٰكذا الصابون والأُشنان أنفع للثوب في وقت، والتجمير وماء الورد وكيُّه أنفع له في وقت.

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ يوماً: سُئِل بعض أهل العلم: أيُّما أنفع للعبد؛ التسبيح أو الاستغفار؟ فقال:

إذا كان الثوب نقياً، فالبخور وماء الورد أنفع له؛ وإن كان دَنِساً، فالصابون والماء الحارّ أنفع له.

فقال لي ـ رحمه الله تعالى ـ:

فكيف والثياب لا تزال دنسة؟!

ومن هٰذا الباب أن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن؛ ومع هٰذا، فلا تقوم مقام آيات المواريث، والطلاق، والخُلُع، والعِدَد ونحوها؛ بل هٰذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص.

ولمّا كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذِّكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتمّ الوجوه، كانت أفضل من كل من القراءة والذِّكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذٰلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهٰذا أصل نافع جداً، يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها؛ لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها، فيربح إبليس الفضل الذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلها، فيشتغل به عن مفضولها، وإن كان ذٰلك وقته، فتفوته مصلحته بالكلية؛ لظنّه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثواباً وأعظم أجراً.

وهٰذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها، وفقه في إعطاء كل عملٍ منها حقّه، وتنزيله في مرتبته، وتفويته لما هو أهمّ منه، أو تفويت ما هو أوْلى منه وأفضل؛ لإمكان تداركه والعود إليه.

وهٰذا المفضول إنْ فات لا يمكن تداركه؛ فالاشتغال به أولى - وهٰذا كترك القراءة لردّ السلام، وتشميت العاطس - وإن كان القرآن أفضل؛ لأنه يمكنه الاشتغال بهٰذا المفضول والعود إلى الفاضل، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة؛ فاتته مصلحة ردّ السلام وتشميت العاطس، وهٰكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت، والله - تعالى - الموفق.

فصـــل
[في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخلّ بها لشدّة الحاجة إليها وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها]

وفيه فصول:

الفصل الأول
[في ذكر طرفي النهار]

وهما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب.

قال ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

[الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

والأصيل؛ قال الجوهري:

هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه: أُصُل وآصال وأَصائِل؛ كأنه جمع أصيلة؛ قال الشاعر[١]:

لَعَمْرِي لأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمَ أَهْلُهُ ... وأَقْعُدُ في أَفْيَائِهِ بالأصائِلِ

ويُجمع أيضاً على أُصْلان، مثل: بعير وبُعْران، ثم صغَّروا الجمع، فقالوا: أُصَيْلان، ثم أبدلوا من النون لاماً، فقالوا: أُصَيْلال.

قال الشاعر[٢]:

---

(١) هو: أبو ذؤيب الهذلي.

(٢) هو: النابغة الذبياني.

وقَفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسَائِلُها أَعْيَتْ[١] جَواباً وما بالرَّبْعِ مِن أَحَدِ

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

فالإبكار: أوّل النهار، والعشيُّ: آخره.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

وهٰذا تفسير ما جاء في الأحاديث: مَن قال كذا وكذا حين يُصبح وحين يُمسي؛ أن المراد به: قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هٰذه الأذكار بعد الصبح، وبعد العصر.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ؛ قال:

«مَن قال حين يُصبح وحين يُمْسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به؛ إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»[٢].

وفي «صحيحه» أيضاً عن ابن مسعود، قال: كان نبيّ الله ﷺ إذا أمسى، قال:

«أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إلٰه إلا الله وحده، لا شريك له، له المُلْكُ، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير؛ ربِّ أسألك خيرَ ما في هٰذه الليلة وخير ما بعدَها، وأعوذُ بك من شرِّ ما في هٰذه الليلة وشرِّ ما بعدَها، ربِّ أعوذُ بكَ من الكسلِ وسوءِ الكبرِ، وأعوذُ بك من عذابٍ في النَّار، وعذابٍ في القبرِ».

---

(١) هذه رواية للبيت، وفي مصادر أخرى: «عيَّت» بالتشديد، وهو أصح؛ ومعناه: لم تدرِ ما وجه الصواب.

(٢) أخرجه مسلم (١٧/١٧ ـ ١٨ ـ نووي).

وإذا أصبح قال ذلك أيضاً:

«أصبحنا وأصبح المُلك لله»[١].

وفي «السنن» عن عبد الله بن خُبيب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«قُلْ».

قلت: يا رسول الله! ما أقول؟

قال: «قُل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذتين، حين تُمسي وحين تُصبح ثلاث مرّات؛ تكفيك من كلّ شيء».

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح[٢].

وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة؛ أن النبيّ ﷺ كان يعلّم أصحابه، يقول:

«إذا أصبح أحدكم، فليقل: اللّهمّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور. وإذا أمسى، فليقل: اللّهمَ بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير»[٣].

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح.

وفي «صحيح البخاري» عن شدّاد بن أوس، عن النبيّ ﷺ؛ قال:

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٤١ ـ ٤٢ ـ نووي).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤٦ ـ تحفة)، وأبو داود (٥٠٨٤).
قلت: وإسناده حسن؛ لأن أسيداً البراد صدوق.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٩١)، وأبو داود (٥٠٦٨)، وابن ماجه (١١٩٩).
قلت: وهو حديث صحيح، وفي الأصل زيادة بسط واستدراك على المصنف وغيره.

«سيِّد الاستغفار: اللّهمّ أنت ربِّي، لا إله إلا أنت، خلَقْتَني وأنا عبدك، وأنا على عهدِك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعْتُ، أبوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذَنْبي، فاغفِرْ لي؛ فإنَّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلا أنت.

مَن قالها حين يُمسي، فمات من ليلته؛ دخل الجنّة، ومَن قالها حين يصبح، فمات من يومه؛ دخل الجنة»(١).

وفي الترمذي عن أبي هريرة؛ أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ: مُرْني بشيءٍ أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت.

قال: «قُلْ: اللّهمّ عالمَ الغيب والشهادةِ، فاطرَ السماواتِ والأرضِ، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بكَ من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطانِ، وشركِهِ، وأن نقتَرِفَ سوءاً على أنفُسِنا، أو نجُرَّه إلى مسلم.

قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك».

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح(٢).

وفي الترمذي أيضاً عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما مِن عبدٍ يقول في صباحِ كلِّ يومٍ ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم - ثلاث مرات - فيضرّه شيء»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٩٧ - ٩٨ و١٣٠ - فتح).

(٢) صحيح، كما بيّنتُه في تخريج أحاديث «شرح خطبة الحاجة» لشيخ الإسلام (ص٣٦ - ٤٠)، وفي «الأصل» زيادة توضيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٨) وإسناده حسن؛ لأن فيه عبد الرحمٰن بن أبي الزّناد، وهو صدوق.

وقال الترمذي:

حديث حسن صحيح.

وفيه أيضاً عن ثوبان وغيره؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«مَن قال حين يُمسي وإذا أصبح: رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّدٍ نبياً؛ كان حقاً على الله أن يُرضيه»[١].

وقال: حديث حسن صحيح.

وفي «السنن» و«صحيح الحاكم» عن عبد الله بن عمر، قال:

لم يكن النبيّ ﷺ يدع هٰؤلاء الكلمات حين يُمسي، وحين يُصبح:

«اللّهمَّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللّهمّ إنّي أسألك العفوَ والعافيةَ في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللّهمّ استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللّهمَّ احفَظْني من بين يديَّ، ومِن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومِن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال مِن تحتي»[٢].

قال وكيع:

يعني الخسف.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٩)، وفي سنده سعيد بن المرزبان؛ ضعيف مدلس.
وأخرجه أبو داود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤ و٥٦٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨)؛ من طريق أبي عقيل هاشم بن بلال، عن سابق بن ناجية، عن أبي سلام، عن رجل خدم النبيّ ﷺ.
قلت: وإسناده ضعيف، فيه سابق بن ناجية، وهو مقبول؛ أي: عند المتابعة، وجهالة الصحابي لا تضرّ.
فالحديث حسن بطريقيه، والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والحاكم (١/ ٥١٧ ـ ٥١٨)؛ من طريق عبادة بن مسلم: ثنا جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر.
قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

الفصل الثاني

[في أذكار النوم]

في «الصحيحين»[١] عن حذيفة، قال:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام؛ قال:

«باسمك اللَّهمّ أموتُ وأحيا».

وإذا استيقظ من منامه؛ قال:

«الحمد لله الذي أحْيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور»[٢].

وفي «الصحيحين» أيضاً عن عائشة:

أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفَّيه، ثم نَفَثَ فيهما؛ يقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده؛ يفعلُ ذٰلك ثلاث مرات[٣].

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة؛ أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة، وكان قد جعله النبيُّ ﷺ عليها ليلة بعد ليلة، فلما كان في اللّيلة الثالثة؛ قال:

لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ.

قال: دَعْني أُعلِّمْكَ كلماتٍ ينفعك الله بهنّ - وكان[٤] أحرص شيء على الخير - فقال:

---

(١) هو عند البخاري فقط (!).
(٢) أخرجه البخاري (١١/ ١١٣ و١٣٠ - فتح).
(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٦٢ - فتح)، ومسلم (١٤/ ١٨١ - ١٨٢ - نووي).
(٤) في نسخ البخاري المتداولة: «وكانوا»، يعني: الصحابة.

إذا أويتَ إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ حتى ختمها[١]، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تُصبح.

فقال النبيّ ﷺ:

«صدقك وهو كذوبٌ»[٢].

وفي «الصحيحين» عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبيّ ﷺ؛ قال:

«مَن قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ؛ كفتاه»[٣].

الصحيح أن معناها: كَفَتاه من شرّ ما يؤذيه.

وقيل: كَفَتاه من قيام اللّيل، وليس بشيء.

وقال علي بن أبي طالب:

ما كنتُ أرى أحداً يَغْفُل قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا قام أحدكم عن فراشه، ثم رجع إليه؛ فليَنْفُضْهُ بصَنِفَة إِزارِهِ[٤] ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خلَفه عليه بعده.

---

(١) في نسخ البخاري المتداولة: «حتى تختم الآية».

(٢) مضى (ص١٣١) معزواً إلى البخاري تعليقاً.
ووصله الإسماعيلي، كما في «هدي الساري» (ص٤٢)، و«الفتح» (٤/ ٤٨٨)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٣/ ٢٠٦).
ووصله النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٥٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وغيرهم.
وفي «الأصل» زيادة لا يستغني عنها طالب علم.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٥٥، ٨٧ ـ فتح)، ومسلم (٦/ ٩١ ـ ٩٢ ـ نووي).

(٤) أي: طرفه مما يلي طرته.

وإذا اضطجعَ، فليقل: باسمك اللّهمّ ربّي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه؛ فإن أمسكتَ نفسي، فارحمها؛ وإن أرسَلْتَها، فاحْفَظْها بما تحفَظُ به عبادك الصالحين»[(١)].

وفي «الصحيحين»[(٢)] عنه، عن النبيّ ﷺ:

«إذا استيقظ أحدكم، فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليَّ روحي، وأذن لي بذكره»[(٣)].

وقد تقدَّم حديث عليّ[(٤)]، ووصية النبيّ ﷺ له ولفاطمة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن يُسَبِّحا إذا أخذا مضاجِعَهُما للنوم ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين؛ وقال:

«هو خيرٌ لكما من خادم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ:

بلغنا أنه مَن حافظ على هٰذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغلٍ وغيره.

وفي «سنن أبي داود»[(٥)]، عن حفصة أُمّ المؤمنين؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا أراد أن يرقد، وضع يده اليمنى تحت خدّه، ثم يقول:

«اللّهُمَّ قِنِي عَذابَكَ يوم تَبْعَثُ عِبادَكَ؛ ثلاث مرّات».

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٣٧ ـ نووي).
(٢) هٰذا سبق قلم من العلامة ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ إذ ليس هٰذا اللفظ عند الشيخين.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٩).
وإسناده حسن.
(٤) تقدم (ص١٢٤).
(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٤٥)، والترمذي (٣٤٥٨).
وهو صحيح.

قال الترمذي:

حديث حسن.

وفي «صحيح مسلم» عن أنس؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه، قال:

«الحمد لله الذي أَطْعَمَنَا، وسقانا، وكفانا، وآوانا؛ فكم ممَّن لا كافيَ له ولا مُؤوي»[١].

وفي «صحيحه» أيضاً عن ابن عمر؛ أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجَعَهُ أن يقول:

«اللَّهُمّ أنت خَلَقْتَ نفسي، وأنت تتوفّاها، لك مَماتها ومَحْياها؛ إنْ أحْييتها فاحْفَظها، وإنْ أمَتَّها فاغْفِر لها. اللَّهمّ إنِّي أسألُكَ العافية».

قال ابن عمر:

سَمِعْتُهُنَّ من رسول الله ﷺ[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه، قال:

«اللَّهمّ ربَّ السماوات، وربَّ الأرض، وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالق الحبّ والنَّوى، ومُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كل ذي شَرٍّ[٣] أنت آخذ بناصيته، أنت الأوّل؛ فليس قبلك شيء، وأنت الآخر؛ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر؛ فليس

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٣٧ ـ نووي).
(٢) أخرجه مسلم (١٧/ ٣٥ ـ نووي).
(٣) هٰذا لفظ أبي داود وأحمد، ولفظ مسلم والترمذي:
«أعوذ بك من شرِّ كل شيء».

فوقك شيء، وأنت الباطن؛ فليس دونك شيء، اقضِ عنّا الدَّيْن، واغْنِنا من الفقر»[١].

وفي «الصحيحين» عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا اتيتَ مضجعَكَ، فتوضّأْ وضوءك للصلاة، ثم اضطَجِعْ على شقِّك الأيمن؛ وقل: اللّهمّ أسلمتُ نفسي إليك، ووجّهتُ وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك؛ رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا مَنْجَى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلت؛ فإنْ مِتَّ مِتَّ على الفطرة، واجعلْهُنَّ آخر ما تقول»[٢].

الفصل الثالث

[في أذكار الانتباه من النوم]

روى البخاري في «صحيحه» عن عُبادة بن الصامت، عن النبيّ ﷺ؛ قال:

«مَن تعارَّ مِنَ اللّيل[٣]، فقال: لا إلٰه إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله؛ ثم قال: اللّهمَّ اغفر لي، أو دعا؛ استُجيب له، فإن توضأ وصلّى، قُبِلَت صلاتُه»[٤].

وفي الترمذي عن أبي أُمامة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَن أوى إلى فراشِه طاهراً، . . . ؛ لم يَنْقَلِبْ ساعةً من اللّيل يسأل الله ـ تعالى ـ فيها خيراً؛ إلا أعطاهُ إياه».

---

(١) مسلم (١٧/ ٣٥ ـ ٣٦ ـ نووي).
(٢) أخرجه البخاري (١١/ ١٠٩، ١١٣ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٣٢ ـ ٣٣ ـ نووي).
(٣) أي: استيقظ من النوم مع كلام.
(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٣٩ ـ فتح).

حديث حسن[(١)].

الفصل الرابع

[في أذكار الفزع في النوم والفكر]

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله ﷺ كان يعلِّمهم من الفزع كلمات:

«أعوذُ بكلماتِ الله التامَّةِ؛ مِن غضبه، وعقابه، وشرِّ عباده، ومِن همزات الشياطين، وأنْ يحضرون»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧١٧).
وإسناده ضعيف؛ لأن فيه شهر بن حوشب.
لكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن. انظرها في: «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٠٩)، وبعضها صحيح؛ كما بيّنه شيخنا في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٩٦ ـ ٦٠١).
والحديث حسَّنَه بشواهده الحافظ؛ كما في «الفتوحات الربانية» لابن علان (٣/ ١٦٥)، وشيخنا في «الكلم الطيب» (٤٣).
(تنبيه):
١ ـ جملة: «وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس» لم أجد ما يشهد لها، فحذفتها.
٢ ـ ذكر شيخنا هٰذا الحديث في «ضعيف الجامع» (٥٥٠٥)، وضعفه في «المشكاة» (١٢٥٠)، و«ضعيف سنن الترمذي»؛ ولكنه حسّنه في «الكلم الطيب» (٤٣).
أقول: لا تناقض في موقف شيخنا ـ حفظه الله ـ فإنما ضعفه بالنسبة لإسناده عند الترمذي وابن السني، وهو كذٰلك، وحسّنه بشواهده. ودفعاً للتوهم أشرتُ إلى هٰذا، والله الموفق.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٩٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٦٥ و٧٦٦)، وأحمد (٢/ ١٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٤٦)، والحاكم (١/ ٥٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤١)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الردّ على الجهمية» (٣١٤ و٣١٥)، وعلّقه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٤٠)؛ من طرق عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدّه.
قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، فيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعنه في جميع طرقه التي وقفت عليها.
=

الفصل الخامس

[في أذكار مَن رأى رؤيا يكرهها أو يحبها]

في «الصحيحين» عن أبي قتادة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«الرؤيا من الله، والحُلم من الشيطان؛ فإذا رأى أحدُكم شيئاً يكرهه، فلْيَنْفُثْ عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وليتعوّذ بالله من شرِّها؛ فإنّها لن تضرَّه - إن شاء الله -».

قال أبو قتادة:

كنتُ أرى الرؤيا تُمْرِضُني، حتى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«الرؤيا الصالِحة من الله، فإذا رأى أحدُكم ما يحبّ؛ فلا يحدِّث به إلا مَن يحِبُّ، وإذا رأى ما يكره؛ فلا يحدِّثْ به، ولْيَتْفُل عن يساره،

= لكن له شاهد آخر:
أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٨ و٧٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤١)؛ من طريقين عن محمد بن يحيى بن حَبَّان، قال:
«إن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يؤرق، أو أصابه أرق، فشكا إلى النبيّ ﷺ أمره، فأمره أن يتعوّذ عند منامه بكلمات الله التامات...».
قلت: وقع في بعض الروايات: «الوليد بن الوليد» بدل: «خالد بن الوليد».
وهو إسناد منقطع؛ لأن محمد بن يحيى لم يدرك أحدهما.
وأشار إلى هٰذه العلة: البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤١)، وابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٦٤٠)، وخفي هٰذا على شيخنا - حفظه الله - في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٦٤).
وله شاهد مرسل:
أخرجه ابن السني (٧٤٠).
وفي إسناده أيضاً أبو هشام الرفاعي، وهو محمد بن يزيد؛ ضعيف.
قلت: لكن الحديث حسن بشواهده، وأشار إلى ذٰلك البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤١)، وشيخنا في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٤).

ولْيَتَعَوَّذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن شرِّ ما رأى، فإنها لا تضرُّه»[١].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا رأى أحدُكُم الرؤيا يكرهُها؛ فلْيَبْصُق عن يسارِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، ولْيَسْتَعِذْ بالله من الشيطانِ ثلاثاً، ولْيَتَحَوَّل عن جنبه الذي كان عليه»[٢].

الفصل السادس

[في أذكار الخروج من المنزل]

في «السنن» عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ: بسم الله، توكّلت على الله، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله؛ يُقال له: كُفيتَ، ووُقيتَ، وهُديتَ. وتنحَّى عنه الشيطانُ، فيقولُ لشيطانٍ آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟!»[٣].

وفي «السنن» الأربع[٤]، عن أُمّ سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي؛ إلا رفع طرْفَهُ إلى السماء، فقال:

«اللَّهمّ إنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ».

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٨ ـ فتح)، ومسلم (١٥/ ١٩ ـ ٢٠ ـ نووي).

(٢) أخرجه مسلم (١٥/ ٢٠ ـ نووي).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٨٧) وغيرهما؛ من طريق ابن جريج، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس: وذكره.
قلت: إسناده صحيح، وقد صرّح ابن جريج بالتحديث عند ابن حبان (٢٣٧٠ ـ موارد).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي (٨/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٨٨٤).
قلت: وهو حديث صحيح.

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح.

الفصل السابع

[في أذكار دخول المنزل]

في «صحيح مسلم» عن جابر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إذا دخل الرجلُ بيتَه، فذكَرَ اسم الله ـ تعالى ـ عند دخولِهِ، وعند طعامِهِ، قال الشيطان: لا مبيتَ لكُم، ولا عَشاءَ. وإذا دخَلَ فلم يذكُرِ الله ـ تعالى ـ عند دخوله، قال الشيطان: أدركتُمُ المبيت. فإذا لم يذكر الله ـ تعالى ـ عند طعامه، قال: أدركتُم المبيتَ والعَشاء»[١].

وفي الترمذي عن أنس، قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«يا بنيَّ! إذا دخلْتَ على أهلِكَ، فسلِّم؛ يكُن بركة عليك وعلى أهل بيتِك»[٢].

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح.

الفصل الثامن

[في أذكار دخول المسجد والخروج منه]

في «صحيح مسلم» عن أبي حميد أو أبي أُسيد، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا دخل أحدكم إلى المسجد، فليسلِّم على النبيِّ ﷺ؛ وليقل:

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١٩٠ ـ ١٩١ ـ نووي).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨)، وله شواهد يتقوّى بها، وللحافظ في طرقه جزء مفرد.

اللّهمَّ افتح لي أبواب رحمَتِك؛ وإذا خرج، فليَقُلْ: اللّهمّ إني أسألُكَ مِن فضلِكَ»[١].

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ؛ أنه كان إذا دخل المسجد قال:

«أعوذُ بالله العظيم، وبوجهِهِ الكريم، وسلطانِه القديم، من الشيطان الرجيم».

فإذا قال ذٰلك، قال الشيطان: حُفِظَ مني سائر اليوم[٢].

الفصل التاسع

[في أذكار الأذان]

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا سمعْتُمُ النداء، فقولوا مثلَ ما يقول المؤذِّنُ»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ؛ فقولوا مثلَ ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنَّهُ مَنْ صلّى عليَّ صلاةً صلّى الله عليه بها عشراً، ثم سَلوا الله لي الوسيلةَ، فإنَّها منزلةٌ في الجنةِ، لا تنبغي إلا لعبدٍ مِن عبادِ الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٥/ ٢٢٤ و٢٢٥ ـ نووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦) بإسناد صحيح.

قلت: وفي الحديث فائدة عقدية، حيث يثبت أن «القديم» من صفات الله جلّ جلاله؛ خلافاً لما اشتهر في بعض كتب العقيدة، وتناقله بعض أهل العلم وطلبته، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠ ـ فتح)، ومسلم (٤/ ٨٤ ـ ٨٥ ـ نوي).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٨٥ ـ نووي).

وفي «صحيح مسلم» عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا قال المؤذِّن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر؛ ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله؛ ثم قال: أشهد أنَّ محمّداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله؛ ثم قال: حيَّ على الصلاة، قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله؛ ثم قال: حيَّ على الفلاح، قال: لا حول ولا قوةَ إلا بالله؛ ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر؛ ثم قال: لا إلٰه إلا الله، قال: لا إلٰه إلا الله من قلبه؛ دَخَلَ الجنة»[(١)].

وفي «صحيح البخاري» عن جابر؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَن قال حين يسمع النداء: اللّهمَّ ربَّ هٰذه الدعوة التامّة، والصّلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثْه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ حلّت له شفاعتي يوم القيامة»[(٢)].

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو، قال: يا رسول الله! إن المؤذِّنين يفضُلونَنا، فقال رسول الله ﷺ:

«قُلْ كما يقولون، فإذا انتَهَيْتَ؛ فَسَلْ تُعْطَه»[(٣)].

وفي الترمذي عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«الدُّعاءُ لا يُرَدُّ بين الأذانِ والإقامة».

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٨٥ ـ ٨٦ ـ نووي). (٢) أخرجه البخاري (٢/ ٩٤ ـ فتح).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٤)، وابن حبان (٢٩٥).
قلت: وهو حديث صحيح.

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح[١].

وفي «سنن أبي داود» عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثِنْتَانِ لا تُرَدَّان ـ أو قلَّما تُرَدّانِ ـ: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضُهم بعضاً»[٢].

فهٰذه خمس سنن في الأذان:

إجابته.

وقول: رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً.

وسؤال الله ـ تعالى ـ لرسوله الوسيلة والفضيلة.

والصلاة عليه ﷺ.

والدعاء لنفسه ما شاء.

وعن سعد بن أبي وقاص، عن رسول الله ﷺ قال:

«مَن قال حين يسمع المؤذِّن: وأنا أشهدُ أنْ: لا إلٰهَ إلا الله وحده، لا شريكَ له، وأن محمداً عبدُه ورسولُه. رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً؛ غَفَرَ الله له ذنوبه»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٢ و٣٦٦٤ و٣٦٦٥)، وأحمد (٣/ ١١٩ و١٥٥ و٢٥٥)، وابن حبان (٢٩٦ ـ موارد).

قلت: وهو صحيح، دون الزيادة التي فيه، وقد حذفتها لضعفها، فقد تفرّد بها ابن اليمان عند الترمذي، وابن اليمان سيئ الحفظ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤٠)، وابن حبان (٢٩٧ و٢٩٨).

قلت: وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٨٦ ـ نووي).

الفصل العاشر

[في أذكار الاستفتاح]

في «الصحيحين» أن النبيّ ﷺ كان يقول في استفتاحه:

«اللّهمَّ باعِد بيني وبينَ خطاياي؛ كما باعدت بين المشرقِ والمغرب؛ اللّهمَّ نَقِّني من خطاياي كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَس، اللّهمَّ اغْسِلْني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد»[١].

وفي «سنن أبي داود» عن جبير بن مطعم، أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة؛ قال:

«الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً (ثلاثاً). أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم؛ من نفخه، ونفثِه، وهمزِه»[٢].

قال: نفثه الشعر، ونفخه الكِبر، وهمزه الموتة[٣].

وفي «السنن الأربعة»[٤] عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا استفتح الصلاة، قال:

«سبحانَكَ اللّهمَّ، وبحمدِكَ، وتبارَكَ اسمُك، وتعالى جَدُّكَ، ولا إلٰه غيرُك».

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٢٧ ـ فتح)، ومسلم (٥/ ٩٦ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧)، وأحمد (٤/ ٨٠ و٩٥)، والحاكم (١/ ٢٣٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٤٤).

قلت: وهو صحيح بشواهده.

(٣) بواو ساكنة غير مهموزة: الجنون.

(٤) أخرجه أبو داود (٧٧٥ و٧٧٦)، والترمذي (٢٤٢ و٢٤٣)، والنسائي (٢/ ١٣٢)، وابن ماجه (٨٠٤ و٨٠٦) وغيرهم.

قلت: وهو صحيح، كما بيّنتُه في «صحيح الأذكار» (٩١).

وهو في «صحيح مسلم» عن عمر موقوفٌ عليه[١].

وفي «صحيح مسلم» عن عليّ بن أبي طالب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة؛ قال:

«وجَّهتُ وجهِيَ للّذي فطرَ السماواتِ والأرضَ حنيفاً وما أنا مِنَ المشرِكين، إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومماتي لله ربّ العالمين، لا شريكَ له، وبذٰلك أُمِرْتُ وأنا مِنَ المسلمين. اللّهمَّ أنت الملك لا إلٰه إلا أنت، أنت ربّي، وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي، واعترَفْتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهْدِني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحْسَنِها إلا أنت، واصْرِفْ عني سيِّئها، لا يصرِفُ عني سيِّئها إلا أنت، لبَّيْكَ وسعدَيْكَ، والخيرُ كلُّه في يديكَ، والشرُّ ليسَ إليكَ، أنا بك وإليكَ، تباركْتَ وتعالَيْتَ، أستغْفِرُكَ وأتوبُ إليكَ».

وكان إذا ركعَ، يقول في ركوعه:

«اللّهمَّ لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمتُ، خَشَعَ لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي».

وإذا رفع رأسه من الركوع، يقول:

«سمعَ الله لمَنْ حَمِدَه، ربَّنا ولكَ الحمد، مِلء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينَهما، وملء ما شئتَ من شيءٍ بعد».

وإذا سجد، يقول في سجوده:

«اللّهمّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولكَ أسلمْتُ، سجد وجْهي للذي خَلَقَهُ وصوَّره، وشقَّ سمْعَهُ وبصرَهُ، تبارَكَ الله أحسنُ الخالقينَ».

---

(١) عند مسلم (٤/ ١١١ ـ نووي)، وإسناده منقطع؛ كما بيّنه النووي في «شرحه»، ووصله غيره.

وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم:

«اللّهمَّ اغْفِرَ لي ما قدَّمتُ، وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ، وما أَعْلَنْتُ، وما أسْرَفْتُ، وما أنتَ أعلمُ بهِ منِّي، إنك أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، لا إلٰه إلا أنت»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يفتَتحُ صلاتَه إذا قام من اللّيل:

«اللّهمَّ ربَّ جِبريلَ، وميكائيل، وإسرافيل، فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادَةِ، أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِك فيما كانوا فيهِ يختلفون، اهْدِني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراطٍ مستقيم»(٢).

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف اللّيل؛ قال:

«اللّهمَّ لك الحمد، أنت نورُ السماواتِ والأرضِ ومَن فيهِنَّ، ولك الحمد، أنتَ قيَّام السماوات والأرض ومن فيهِنَّ، ولك الحمد، أنت ربُّ السماواتِ والأرض ومَن فيهِنَّ، ولك الحمد، أنت الحقُّ، ووعدُك الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ولقاؤك حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيُّون حقٌّ، ومحمد ﷺ حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللّهمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليكَ توكّلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ، وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ، وما أعْلَنْتُ، أنت إلٰهي، لا إلٰه إلا أنت»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٥٧ ـ ٦٠ ـ نووي).
(٢) أخرجه مسلم (٦/ ٥٦ ـ ٥٧ ـ نووي).
(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٣ ـ فتح)، ومسلم (٦/ ٥٤ ـ ٥٥ ـ نووي).

الفصل الحادي عشر

[في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين]

في «السنن الأربعة» عن حذيفة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع:

«سبحان ربي العظيم» ثلاث مرّات.

وإذا سجد قال:

«سبحان ربّي الأعلى» ثلاث مرّات[١].

وفيه حديث علي رضي الله عنه، وقد سبق في الفصل قبله بطوله[٢].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:

«سبحانَك اللَّهمّ ربَّنا وبحمدِك، اللّهمَّ اغْفِرْ لي»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عنها رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده:

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢)، والنسائي (٣/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) وغيرهم؛ من طريق سعد بن عبيدة يحدث عن المستورد عن صلة بن زفر عن حذيفة، وزادوا: «وما مرّ بآية رحمة إلا وقف عندها، فسأل؛ ولا آية عذاب إلا تعوّذ منها».
قلت: هٰذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.
وأخرجه ابن ماجه (٨٨٨) دون الزيادة المذكورة، ولكن بزيادة: «ثلاث مرات»، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وجهالة أبي الأزهر.
لكن لهٰذه الزيادة شواهد كثيرة عن جماعة من الصحابة، فتصحّ بها؛ وقد بيّنتُها في «صحيح الأذكار» (٩٧).

(٢) تقدّم (ص١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨١ و٢٩٩ ـ فتح)، ومسلم (٤٠/ ٢٠١ ـ نووي).

«سُبُّوح قُدُّوس، رَبُّ الملائكة والرُّوح»[١].

وفي «سنن أبي داود» عن عوف بن مالك ﷺ أن النبيَّ ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده:

«سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع؛ قال:

«اللّهمَّ ربَّنا لك الحمد، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينَهما، وملء ما شئتَ من شيءٍ بعدُ، أهلَ الثناء والمجد، أحقّ ما قال العبد، وكلّنا لك عبد، لا مانع لِما أعطيت، ولا مُعطي لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ»[٣].

وفي «صحيح البخاري» عن رِفاعة بن رافع ﷺ قال: كنّا نصلّي يوماً وراء النبيّ ﷺ، فلمّا رفع رأسه من الركعة؛ قال:

«سمع الله لمن حمده».

فقال رجل وراءه:

ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيِّباً مبارَكاً فيه.

فلمّا انصرف قال:

«مَن المتكلّم؟».

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ـ نووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٧٣)، والنسائي (٢/ ١٩١)؛ من طريق عمرو بن قيس، عن عاصم بن حميد، عن عوف بن مالك الأشجعي.
قلت: وهٰذا إسناد صحيح؛ كما بينتُه في «صحيح الأذكار» (١٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤ ـ نووي)؛ من حديث أبي سعيد.
ولفظ: «ملء ما بينهما» عنده (٤/ ١٩٥ ـ نووي) من حديث ابن عباس.

قال: أنا يا رسول الله!

قال: «لقد رأيتُ بضعةً وثلاثينَ ملكاً يبتَدِرُونَها أيُّهم يكتُبُها أوّلُ»[١].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«أقرب ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجِدٌ، فأَكْثِرُوا الدعاء»[٢].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده:

«اللّهمّ اغْفِرْ لي ذنبي كلَّه؛ دِقَّه وجِلَّه، وأوّله وآخره، وعلانيتَه وسرَّه»[٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها:

افتقدت[٤] النبيَّ ﷺ ذات ليلة من الفراش، فالتمستُهُ، فوقعتْ يدي على بطنِ قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتانِ؛ وهو يقول:

«اللّهمَّ إنِّي أعوذُ برضاكَ مِن سَخَطِكَ، ومُعافاتِك من عُقوبَتِك، وأعوذُ بك منك، لا أُحْصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنَيْتَ على نفسِكَ»[٥].

روى مسلم هٰذه الأحاديث.

وفي «السنن» أيضاً عن حذيفة ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين:

«ربِّ اغْفِرْ لي، ربِّ اغْفِرْ لي»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨٤ ـ فتح). (٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠ ـ نووي).
(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ نووي).
(٤) في نسخ مسلم المتداولة: «فقدت». (٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠ ـ نووي).
(٦) أخرجه أبو داود (٨٧٤)، وابن ماجه (٨٩٧)، والنسائي (٢/ ٢٣١)، وأحمد (٥/ ٤٠٠)، والحاكم (١/ ٢٧١)، والبيهقي (٢/ ١٢٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ١٦٤).
قلت: وهو حديث صحيح.

الفصل الثاني عشر

[في أدعية الصلاة بعد التشهد]

في «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا فرغ أحدُكم من التشهُّد؛ فلْيَتَعَوَّذ بالله مِن أربع: مِن عذاب القبر، ومِن عذاب جهنّم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجّال»[١].

وفيهما أيضاً عن عائشة ﵂؛ أن النبيّ ﷺ كان يدعو في الصلاة:

«اللّهُمَّ إنّي أعُوذُ بك مِن عذابِ القبر، وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدَّجّال، وأعوذُ بك من فتنة المَحْيا والممات، اللّهمَّ إني أعوذُ بك مِن المأثم والمَغْرَم».

فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذُ من المَغْرَم؟!

فقال: «إنّ الرجلَ إذا غَرِمَ؛ حَدَّثَ فكَذَب، ووعَدَ فأَخْلَفَ»[٢].

وقد تقدّم في «الصحيحين» أن أبا بكر الصديق ﵁ قال لرسول الله ﷺ: علِّمْني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال:

«قُلْ: اللّهمَّ إنّي ظلمْتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفِرُ الذُّنوب إلا أنت؛ فاغفرْ لي مغفرةً من عندِك وارحَمْني، إنّك أنت الغفور الرحيم»[٣].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عليّ ﵁ في صفة صلاة رسول الله ﷺ، وقد تقدّم بطوله في الفصل العاشر[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤١ ـ فتح)، ومسلم (٥/ ٨٧ ـ ٨٨ ـ نووي).
(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢١٧ ـ فتح)، ومسلم (٥/ ٨٧ ـ نووي).
(٣) مضى تخريجه (ص١٣٨، رقم ١).
(٤) مضى تخريجه (ص١٦٠، رقم ١).

وفي «سنن أبي داود» أن النبيّ ﷺ قال لرجل:

«كيف تقولُ في الصلاةِ؟».

قال: أتشهَّدُ وأقول: اللّهمَّ إنِّي أسألُك الجنة، وأعوذُ بك مِن النار. أما إنِّي لا أُحْسِنُ دندَنَتك ولا دندَنَةَ معاذ.

فقال النبيّ ﷺ:

«حولَها نُدَنْدِنُ»[١].

وفي «سنن النسائي» أن عمار بن ياسر صلَّى صلاة، ودعا فيها بدعوات، وقال: سمعتُهنَّ من رسول الله ﷺ:

«اللّهُمَّ بعلْمِكَ الغيب، وقدرتك على الخلق، أحْيِني إذا علمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيراً لي، اللّهمَّ إنِّي أسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشهادة، وأسألُكَ كلمةَ الحقّ في الغضبِ والرِّضى، وأسألُكَ القصدَ في الفَقْرِ والغِنى، وأسألُكَ نعيماً لا ينفَدُ، وأسألُكَ قرَّةَ عينٍ لا تَنقطِع، وأسألُكَ الرضى بعدَ القضاءِ، وأسألُكَ بردَ العيشِ بعدَ الموتِ، وأسألُكَ لذَّةَ النظرِ إلى وجْهِكَ الكريم[٢]، والشوقَ إلى لقائِك، مِنْ غيرِ ضراءَ مُضِرَّة، ولا فتنة مضلَّة، اللّهمَّ زَيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهدِيِّين»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٢)، وابن ماجه (٩١٠)، وأحمد (٣/ ٤٧٤).
وصححه النووي والبوصيري.
قلت: وهو كما قالا.

(٢) لفظه: «الكريم» ليست في نسخ النسائي المطبوعة.

(٣) أخرجه النسائي (٣/ ٥٤ ـ ٥٥)، والحاكم (١/ ٥٢٤) وصححه، ووافقه الذهبي.
قلت: وهو كما قالا، فقد روى حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط.

الفصل الثالث عشر

[في الأذكار المشروعة بعد السلام وهو إدبار السجود]

في «صحيح مسلم» عن ثوبان ﷺ قال:

كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته؛ استغفر الله ثلاثاً، وقال:

«اللّهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تبارَكْتَ يا ذا الجلالِ والإِكرام»[١].

وفي «الصحيحين» عن المغيرة بن شعبة؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة، قال:

«لا إلٰه إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. اللّهمَ لا مانعَ لِما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لَما منَعْتَ، ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منكَ الجدُّ»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ؛ أن رسول الله ﷺ كان يُهَلِّلُ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ حين يسلِّم بهٰؤلاء:

«لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، لا حول ولا قوّة إلا بالله، لا إلٰه إلا الله، ولا نعبُدُ إلا إيّاه، له النِّعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن الجميل، لا إلٰه إلا الله مخلصين له الدِّين ولو كره الكافِرون»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٥/ ٨٩ ـ نووي).
(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٣٢٥ ـ فتح)، ومسلم (٥/ ٩٠ ـ نووي).
(٣) أخرجه مسلم (٥/ ٩١ ـ ٩٢ ـ نووي).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة؛ أنّ رسول الله ﷺ قال:

«مَن سبَّح الله في دُبُر كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين، وكبَّر ثلاثاً وثلاثين، وحمِد الله ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملك، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ غُفِرَتْ خطاياه، وإنْ كانت مثل زَبَد البحر»(١).

وفي «السنن» عن عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ قال:

«خَصْلَتان ـ أو خَلَّتان ـ لا يحافظُ عليهما عبدٌ مسلم إلا دخل الجنّة، هما يسير، ومَن يعمَلْ بِهِما قليل: يسبِّح الله في دُبُر كلّ صلاة عشراً، ويحمده عشراً، ويكبِّره عشراً؛ فذٰلك خمسون ومائة باللّسان، وألف وخمسمائة في الميزان. ويكبِّر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبِّح ثلاثاً وثلاثين؛ فذٰلك مائة باللّسان، وألف في الميزان».

قال: ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ يعقدها بيده.

قالوا: يا رسول الله! كيف هما يسير ومَن يعمل بهما قليل؟!

قال: «يأتي أحدكم ـ يعني الشيطان ـ في منامِهِ، فينوِّمُه قبل أن يقوله، ويأتيهِ في صلاتِه، فيذكره حاجته قبل أن يقولَها»(٢).

وفي «السنن» عن عقبة بن عامر، قال:

أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوِّذتين دُبُر كلِّ صلاة(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٥/ ٩٤ ـ ٩٥ ـ نووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤٧١)، والنسائي (٣/ ٧٤ ـ ٧٥)، وأحمد (٢/ ١٦١ و٢٠٥).

قلت: وهو حديث صحيح، حدّث به عطاء قبل الاختلاط.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٣)، وأحمد (٤/ ١٥٥ و٢٠١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٢١).

قلت: وإسناده صحيح.

وفي «النسائي الكبير» عن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن قرأ آية الكرسيِّ عقبَ كلِّ صلاة؛ لم يَمْنَعْهُ مِن دخولِ الجنّة إلّا أن يموتَ»[١].

يعني: لم يكن بينه وبين دخول الجنّة إلا أن يموت.

الفصل الرابع عشر

[في ذكر التشهد]

في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود، قال: علَّمني رسول الله ﷺ التشهد ـ وكفِّي بين كفَّيْه ـ كما يعلِّمني سورة مِنَ القرآن:

«التحيّات لله، والصلوات، والطيِّبات، السلام عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا التشهد كما يعلِّمنا السورة من القرآن؛ وكان يقول:

«التحيَّات المباركات، الصلوات الطيِّبات لله، السلام عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهدُ أن محمداً رسول الله»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسى؛ أن النبيَّ ﷺ علَّمهم التشهُّد:

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٢٣)، والطبراني في (٧٥٣٢) من طرق عن محمد بن حمير: حدّثني محمد بن زياد الألهاني قال: سمعتُ أبا أُمامة: (وذكره).
قلت: وهٰذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٣١١ و٣٢٠ ـ فتح)، ومسلم (٤/ ١١٥ ـ ١١٧ ـ نووي).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١١٨ ـ ١١٩ ـ نووي).

«التحيَّات الطيِّبات، الصلوات لله، السلام عليك أيُّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه»[١].

وروى أبو داود عن ابن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ في التشهّد:

«التحيَّات لله، الصلوات الطيِّبات، السلام عليك أيُّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأشهدُ أن محمّداً عبدُه ورسولُه»[٢].

وذكر مالك في «الموطأ» أن عمر كان يعلِّم الناس التشهد، وهو على المنبر؛ يقول:

قولوا: التحيّات لله، الزَّاكيات لله، الصلوات الطيّبات لله، السلام عليك أيُّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمّداً عبدُه ورسولُه[٣].

فأيّ تشهّد أتى به من هٰذه التشهُّدات؛ أجزأه.

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهُّد ابن مسعود.

وذهب الشافعي إلى تشهُّد ابن عباس.

وذهب مالك إلى تشهُّد عمر رضي الله عنه.

والكلُّ كافٍ يجزئ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١١٩ ـ ١٢٢ ـ نووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٩٧١)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه مالك (١/ ٩٠)، ومن طريقه الشافعي في «الرسالة» (٧٣٨)، والبيهقي (٢/ ١٤٤) بإسناد صحيح؛ كما قال الزيلعي في «نصب الراية» (١/ ٤٢٢).
قلت: وهو موقوف على عمر، لكنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال بالرأي والاجتهاد.

الفصل الخامس عشر

[في ذكر الصلاة على النبيّ ﷺ]

في «الصحيحين» عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقلنا:

قد عرفنا كيف نسلِّم عليك، فكيف نصلِّي عليك؟

قال: «قولوا: اللّهمَّ صلِّ على محمّد، وعلى آلِ محمَّد؛ كما صلَّيْتَ على إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللّهمَّ بارك على محمّد، وعلى آل محمّد؛ كما باركتَ على إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيد»(١).

وفي «الصحيحين» أيضاً عن أبي حُميد الساعدي؛ أنّهم قالوا:

يا رسول الله! كيف نصلِّي عليك؟

قال: «قولوا: اللّهمَّ صلِّ على محمّد، وعلى أزواجهِ وذرِّيَّتِه؛ كما صلَّيْت على إبراهيم، وبارك على محمّد، وعلى أزواجه وذرِّيَّته؛ كما باركتَ على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد»(٢).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مسعود الأنصاري، قال:

أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد:

أمرنا الله أن نصلِّي عليك يا رسول الله، كيف نصلِّي عليك؟

قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنَّيْنا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ:

«اللَّهمَّ صَلِّ على محمَد، وعلى آل محمّد؛ كما صلَّيْت على آل

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٥٢ ـ فتح)، ومسلم (٤/ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ نووي).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ١٦٩ ـ فتح)، ومسلم (٤/ ١٢٧ ـ نووي).

إبراهيم، وبارك على محمّد، وعلى آل محمّد؛ كما باركتَ على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد. والسلام كما قد علمتم»[(١)].

الفصل السادس عشر

[في الاستخارة]

في «صحيح البخاري» عن جابر، قال:

كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمر، كما يعلِّمنا السورة من القرآن؛ يقول:

«إذا همَّ أحدُكم بالأمر، فلْيَرْكَع ركعتين مِن غير الفريضة، ثم ليقل: اللّهمَّ إني أستخيرُك بعلمِكَ، وأستَقْدِرُكَ بقُدْرَتِك، وأسألُك مِن فضلك العظيم؛ فإنَّك تقدر ولا أقدر، وتعلمُ ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب. اللّهمَّ إن كنت تعلم أنّ هٰذا الأمر - ويسمي حاجته - خيرٌ لي في ديني، ومعاشي، وعاقبةُ أمري؛ فاقْدُره لي، ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه، وإنْ كنتَ تعلم أن هٰذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةُ أمري؛ فاصْرِفْه عني، واصرِفْني عنه، واقدُر لي الخير حيثُ كان، ثم أرْضِني به»[(٢)].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول:

ما نَدِم من استخار الخالق، وشاوَرَ المخلوقين، وثبت في أمره، وقد قال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال قتادة:

ما تشاور قومٌ يبتَغون وجه الله، إلّا هُدوا إلى أرشدِ أمرِهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٣ - ١٢٥ - نووي).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ١٨٣ - فتح).

الفصل السابع عشر

[في أذكار الكرب والغمّ والحزن والهمّ]

في «الصحيحين» عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب:

«لا إلٰهَ إلّا الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلّا الله ربّ العرش العظيم، لا إلٰه إلا الله ربّ السماوات، وربّ الأرض، ربّ العرش الكريم»(١).

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا حَزِبَه أمر؛ قال:

«يا حيُّ! يا قيُّومُ! برحمتِكَ أستَغيثُ»(٢).

وفي «سنن أبي داود» عن أبي بكرة؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«دعوات المكروب: اللّهمَّ رحمَتَكَ أرجو؛ فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عين، وأصْلِح لي شأني كُلَّه، لا إلٰهَ إلّا أنت»(٣).

وفي «السنن» أيضاً عن أسماء بنت عُميس، قالت: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أُعَلِّمُك كلماتٍ تقولينهنَّ عند الكرب ـ أو في الكرب ـ؟ الله، الله

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٤٥ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٤٨ ـ نووي).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٣ ـ تحفة)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٩)؛ من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس.
وضعّفه الترمذي.
قلت: وهو كما قال، فإن يزيد الرقاشي ضعيف؛ لكن له شاهد عند الحاكم (١/ ٥٠٩) من حديث ابن مسعود، وهو ضعيف.
وبالجملة، فالحديث حسن بمجموعهما، والله أعلم.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وابن حبان (٢٣٧٠ ـ موارد)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٤) بإسناد حسن.

ربّي، لا أُشرِكُ به شيئاً»[١].

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ:

«دعوة ذي النُّون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيءٍ قطّ؛ إلّا استُجيب له»[٢].

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبان»، عن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ ﷺ قال:

«ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزن، فقال: اللّهمَّ إني عبدك ابن عبدك ابن أمَتِك، ناصِيَتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حكمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألُكَ بكُلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيْتَ به نفسكَ، أو أنْزَلْتَه في كتابِكَ، أو علَّمْتَه أحداً مِن خلْقِكَ، أو استأثَرْتَ به في عِلْمِ الغيبِ عندك، أنْ تَجْعَلَ القرآن ربيعَ قَلْبي، ونورَ بصري، وجلاءَ حُزْني، وذَهاب همّي؛ إلّا أذهَبَ الله همّه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً»[٣].

الفصل الثامن عشر

[في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى]

قال الله ﷻ عن نبيِّه نوح عليه السلام:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٥) بإسناد حسن، وله شاهد من حديث عائشة عند ابن حبان (٢٣٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٧٢)، وأحمد (١/ ١٧٠)، والحاكم (١/ ٥٠٥) وصححه، ووافقه الذهبي.
قلت: وهو كما قالا.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، وابن حبان (٢٣٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٢) وغيرهم.
قلت: وهو حديث صحيح.

الفصل التاسع عشر

[في الذكر عند لقاء العدو ومَن يخاف سلطاناً وغيره]

في «سنن أبي داود» و«النسائي» عن أبي موسى؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا خاف قوماً قال:

«اللّهمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ في نُحورِهم، ونعوذُ بكَ مِن شُرورِهم»(١).

ويُذكر عن النبيّ ﷺ؛ أنّه كان يقول عند لقاء العدوّ:

«اللَّهمَّ أنت عضُدي، وأنت ناصِري، وبك أُقاتل»(٢).

وفي «صحيح البخاري»، عن ابن عباس قال:

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ قالها إبراهيم ﷺ حين أُلْقِيَ في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣](٣).

الفصل العشرون

[في الأذكار التي تَطْرُد الشيطان]

قد تقدَّم أن مَن قرأ آية الكرسي عند نومه لم يَقْربه شيطان، وأنّ مَنْ قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة؛ كفتاه، ومَن قال في يوم مائة مرة: لا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠١)، وأحمد (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥)، والحاكم (٢/ ١٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ١٣٠)، والبيهقي (٥/ ٢٥٣).
وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وأحمد (٣/ ١٨٤)، وابن حبان (١٦٦١).
قلت: وهو صحيح، ولا حاجة لتمريضه؛ كما صنع المصنف ـ رحمه الله ـ.

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٢٢٩ ـ فتح).

إلٰه إلا الله وحدَه، لا شريكَ له، له الملك، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير؛ كانت له حِرْزاً من الشيطان يومه كلّه، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨].

وكان النبيّ ﷺ يقول:

«أعوذُ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم؛ مِن همزه، ونفخه، ونفثه»(١).

وقال ﷻ:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

والأذان يطرد الشيطان؛ كما تقدّم.

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه؛ أنه قال:

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢) وغيرهما؛ من طريق جعفر بن سليمان الضبعي، عن علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد.
قلت: وهٰذا إسناد حسن، رجاله ثقات، غير جعفر بن سليمان، فإنه صدوق.
وله شاهد من حديث جبير بن مطعم.
أخرجه أبو داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧)، وأحمد (٤/ ٨٠ و٨٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٤٣)، والحاكم (١/ ٢٣٥)، وابن حبان (٤٤٣ ـ موارد)؛ من طريق شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن عاصم العنزي، عن ابن جبير بن مطعم، عن أبيه: (وذكره).
وفيه:
«... اللّهمّ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم؛ من همزه، ونفثه، ونفخه».
قلت: وهٰذا إسناد ضعيف؛ لأن عاصم العنزي ضعيف، وباقي رجاله ثقات، وابن جبير هو نافع.
ولكنه على كل حال شاهد جيّد، وهناك شواهد أخرى عن جماعة من الصحابة، منهم ابن مسعود، وعمر، وأبي أمامة، وبذٰلك فالحديث صحيح بمجموعها.

يا رسول الله! إن الشيطانَ حالَ بيني وبينَ صلاتي وبينَ قراءَتي؛ يُلَبِّسها عليّ.

فقال رسولُ الله ﷺ:

«ذاك شيطانٌ يُقالُ لهُ: خِنْزَب؛ فإذا أحْسَسْتَهُ، فتَعَوَّذ بالله منه، واتْفُلْ عن يسارِكَ ثلاثاً».

ففعلتُ، فأذهبهُ الله ﷻ عنّي[١].

وأمر ابن عباس رجلاً وَجَد في نفسه شيئاً من الوسوسة والشكّ أن يقرأ:

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣][٢].

الفصل الحادي والعشرون

[في الذِّكر الذي تُحفَظ به النِّعم وما يُقال عند تجرُّدها]

قال الله ﷻ في قصّة الرجلَيْن:

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩].

فينبغي لمن دخل بستانه، أو داره، أو رأى في ماله وأهله ما يُعجبه أن يُبادِرَ إلى هٰذه الكلمة، فإنه لا يرى فيه سوءاً.

وعنه ﷺ أنه كان إذا رأى ما يُسرّه؛ قال:

«الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات».

وإذا رأى ما يسوؤه؛ قال:

«الحمد لله على كلِّ حال»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١٨٩ - ١٩٠ - نووي).

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٨٠)، والحاكم =

الفصل الثاني والعشرون

[في الذِّكر عند المصيبة]

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

[البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

= (١/ ٤٤٩)؛ من طريق الوليد بن مسلم: ثنا زهير بن محمد، عن منصور بن عبد الرحمٰن، عن أُمّه صفية بنت شيبة، عن عائشة قالت: (فذكره).

قلت: وصححه الحاكم، والبوصيري، وجوَّد إسناده النووي في «الأذكار».

وهٰذا ذهول منهم ـ رحمهم الله ـ عن علّته، فإن إسناده ضعيف؛ لأن محمد بن زهير هو التميمي الخراساني، ثم الشامي، مُتكلَّم فيه، ورواية الشاميين عنه غير مستقيمة، وهٰذا من رواية الشاميين عنه، وهو الوليد بن مسلم، ثم إن الوليد مدلس تدليس التسوية، ولم يصرّح بالتحديث في بقية رجال السند.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أبي نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٧)، وفي إسناده الفضل بن عيسى الرقاشي.

قلت: وهو متروك، فلا يُفرح بمثله، ولا كرامة.

وله طريق آخر ذكره البغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٨٠)، فقال:

ورواه سليمان بن بلال، عن عمر، عن محصن بن علي الفهري، عن أبي هريرة.

قلت: هٰذا إسناد فيه انقطاع وجهالة؛ لأن محصن بن علي الفهري مستور، ولم يدرك أبا هريرة، ولكنه يستشهد به.

وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٧٩ ـ ١٨٠) عن محصن الفهري عن النبيّ ﷺ بنحوه.

وله شاهد آخر من حديث علي بن أبي طالب.

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبيّ ﷺ» (ص٦٨)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٨٠).

قلت: وفي إسناده محمد بن عبد الله بن أبي رافع؛ مجهول.

وله شاهد آخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٣/ ١٣١).

وهٰذا الحديث مما توقف فيه شيخنا ـ حفظه الله ـ كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٦٥)، و«الكلم الطيب» (١٣٩)، ومع ذٰلك ذكره في «صحيح الجامع الصغير» (٤٧٢٧)، و«صحيح ابن ماجه» (٣٠٦٦)، و«صحيح الكلم الطيب» (١١٣).

وبالجملة، فالحديث حسن بشواهده.

وقالت أُمّ سلمة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«ما مِن عبدٍ تُصيبُهُ مصيبةٌ، فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجِعونَ، اللَّهمَّ أَجُرْني في مُصيبَتي، وأَخْلِف لي خيراً منها؛ إلّا أجَرَه الله ـ تعالى ـ في مصيبَتِه، وأخلَفَ له خيراً منها».

قالت: فلمّا توفِّي أبو سلمة؛ قلتُ كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه؛ رسولَ الله ﷺ[1].

ورُوِيَ أيضاً عنها رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره، فأغمضه؛ ثم قال:

«إنَّ الروحَ إذا قُبِضَ؛ تَبِعَه البصر».

فضجَّ ناسٌ مِن أهله، فقال:

«لا تَدْعوا على أنفُسِكُم إلا بخيرٍ، فإنَّ الملائكةَ يؤمِّنون على ما تقولون».

ثم قال:

«اللَّهمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمة، وارْفَعْ درجَتَهُ في المَهْدِيِّين، واخلُفْهُ في عقبه في الغابرين، واغْفِر لنا وله يا ربَّ العالمين، وافْسَحْ له في قبره، ونوِّر له فيه»[2].

الفصل الثالث والعشرون

[في الذِّكر الذي يُدفع به الدَّيْن، ويُرجى قضاؤه]

وفي الترمذي عن عليّ رضي الله عنه أنّ مكاتَباً جاءه، فقال:

إنِّي عَجَزْتُ عن كتابَتي؛ فأعِنِّي.

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ نووي).

(٢) أخرجه مسلم (٦/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ نووي).

فقال: ألا أُعَلِّمُك كلماتٍ علَّمَنيهِنَّ رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل أُحد دَيناً؛ إلّا أدّاهُ الله عنك؟ قال:

«اللَّهمَّ اكْفِني بحلالِك عن حرامِك، وأَغْنِني بفضلِكَ عمَّن سواك».

قال الترمذي:

حديث حسن[١].

الفصل الرابع والعشرون

[في الذِّكر الذي يُرقى به من اللّسعة واللّدغة وغيرهما]

في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعوِّذُ الحَسَنَ والحُسين ﷺ ويقول:

«إنّ أباكُمَا إبراهيمَ كان يُعَوِّذُ بهما إسماعيل وإسحاق، أُعيذُكُما بكَلِماتِ الله التامّة، مِن كل شيطانٍ وهامَّة، ومِن كلِّ عينٍ لامَّة»[٢].

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري ﷺ؛ أن رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ رقى لديغاً بفاتحة الكتاب، فجعلَ يتفُلُ عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فكأنَّما نَشَطَ من عقالٍ، فانطلق يمشي وما بهِ قَلَبَة[٣]... الحديث[٤].

وفي «الصحيحين» عن عائشة ﷺ؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء، أو كانت قرحة به، أو جرح؛ قال النبيّ ﷺ بإصبعه هٰكذا ـ ووضعَ سفيان بن عُيَيْنة إصبعه بالأرض، ثم رفعها ـ وقال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٣٤)، وحسّنه.
قلت: وهو كما قال.
(٢) أخرجه البخاري (٦/٤٠٨ ـ فتح).
(٣) أي: علّة وألم.
(٤) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٩ ـ فتح)، ومسلم (١٤/١٨٧ ـ ١٨٨ ـ نووي).

«بسمِ الله، تربة أرضِنا، بريقةِ بعضِنا، يشفى به سقيمُنا، بإذن ربِّنا»[١].

وفي «الصحيحين» أيضاً عنها رضي الله عنها؛ أن النبيّ ﷺ كان يعوِّذُ بعض أهله؛ يمسح بيده اليُمنى، ويقول:

«اللَّهمَّ ربَّ الناس، أذْهِب البَاسَ، واشْفِ أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلّا شفاؤك، شفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه؛ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجِدُه في جسده منذ أسلم، فقال النبيّ ﷺ:

«ضَعْ يَدَكَ على الذي يألَمُ مِن جسدِك، وقُلْ: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرِّ ما أجِدُ وأُحاذِرُ»[٣].

وفي «السنن» عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَن عادَ مريضاً لم يَحْضُرْ أجَلُه، فقالَ عنده سبع مرّات: أسألُ الله العظيمَ، ربَّ العرشِ العظيمِ، أن يشفِيكَ ويعافِيكَ[٤]؛ إلّا عافاه الله ـ تعالى ـ»[٥].

الفصل الخامس والعشرون

[في ذكر دخول المقابر]

في «صحيح مسلم» عن بُرَيْدَة، قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمُهم إذا خرجوا إلى المقابر، أن يقول قائلُهم:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٦ ـ فتح)، ومسلم (١٤/١٨٣ ـ ١٨٤ ـ نووي).
(٢) أخرجه البخاري (١٠/٢٠٦ ـ فتح)، ومسلم (١٤/١٨٠ ـ نووي).
(٣) أخرجه مسلم (١٤/١٨٩ ـ نووي).
(٤) ليس عندهما لفظة: «ويعافيك».
(٥) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والحاكم (١/٣٤٢)؛ من طريق يزيد أبو خالد، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد، عن ابن عباس: (وذكره).
قلت: وهٰذا إسناد حسن، رجاله ثقات؛ غير المنهال بن عمرو، فهو صدوق.

«السلام عليكُم أهلَ الديارِ من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إنْ شاء الله بكُم لاحِقون، نسألُ الله لنا ولكُم العافية»[١].

الفصل السادس والعشرون
[في ذكر الاستسقاء]

قال ـ تعالى ـ:

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١١].

عن جابر بن عبد الله قال: أتت النبيّ ﷺ بوالٍ؛ فقال:

«اللَّهمَّ اسْقِنا غيثاً مغيثاً، مريئاً مريعاً[٢]، نافعاً غيرُ ضارٍّ، عاجلاً غيرُ آجل»[٣].

فأطبقت عليهم السماء.

وعن عائشة:

شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمِنْبَرٍ، فوُضِعَ له في المصلَّى، ووعدَ الناس يوماً يخرُجون فيه؛ فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجبُ الشمس، فقعد على المنبر، فكبَّر، وحمد الله ﷻ ثمّ قال:

«إنَّكُم شَكَوْتُم جدْبَ دِيارِكُم، واسْتِئْخارَ المطر عن إبَّان زمانِه عنكُم، وقد أمركم الله ﷻ أن تدعوه، ووعَدَكم أن يستجيبَ لكُم».

---

(١) أخرجه مسلم (٧/ ٤٤ ـ ٤٥ ـ نووي). (٢) أي: هنيئاً خصباً.

(٣) أخرجه أبو داود (١١٦٩)، والحاكم (١/ ٣٢٧)، ومن طريقه البيهقي (٣/ ٣٥٥)؛ من طريق محمد بن عبيد: ثنا مسعر، عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبد الله: (وذكره).
قال الحاكم: وصححه على شرط الشيخين.
ووافقه الذهبي، وشيخنا الألباني.
قلت: وهو كما قالوا، فإن رجاله ثقات من رجال الشيخين، ومسعر هو ابن كدام الهلالي، ويزيد هو ابن صهيب الفقير.

ثم قال:

«﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[١]، لا إلٰهَ إلّا الله، يفعَلُ ما يُريدُ، اللّهمَّ أنت الله، لا إلٰهَ إلّا أنت الغنيّ، ونحنُ الفقراء، أنزِلْ علينا الغيثَ، واجْعَلْ ما أنزَلْتَ علينا قوّةً وبلاغاً إلى حين».

ثم رفع يديه، فلم يزل في الرّفع حتى بدا بياضَ إبطيهِ، ثم حوَّل إلى الناسِ ظهرَهُ، وقَلَبَ ـ أو حَوَّلَ ـ رداءَه وهو رافع يديهِ، ثم أقبلَ على الناسِ، فنزل، فصلّى ركعتينِ؛ فأنشأ الله ﷻ سحابةً، فرعدَتْ، وبرقَتْ، ثم أمطرتْ بإذْنِ الله ـ تعالى ـ فلم يَأْتِ مسجدَهُ حتى سالتِ السيول؛ فلمّا رأى سُرْعَتَهُم إلى الكَنِّ[٢]؛ ضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجِذُهُ؛ وقال:

«أشْهَدُ أن الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنّي عبد الله ورَسولُهُ»[٣].

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن عمرو: كان رسول الله ﷺ إذا استسقى؛ قال:

«اللّهمَّ اسقِ عبادَكَ وبهائِمَك، وانْشُرْ رَحْمَتَك، وأحْيِ بلَدك الميت»[٤].

---

(١) في «سنن أبي داود»: ﴿ملك يوم الدين﴾، وقال أبو داود:
أهل المدينة يقرأون: ﴿ملك يوم الدين﴾، وأن هذا الحديث حجّة لهم.

(٢) ما يردُّ الحرَّ والبرد من المساكن والأبنية.

(٣) أخرجه أبو داود (١١٧٣)، والحاكم (١/ ٣٢٨).
قال أبو داود:
وهٰذا حديث غريب، إسناده جيد.
وقال الحاكم:
صحيح على شرط الشيخين.
ووافقه الذهبي.
قلت: ما قاله أبو داود أصح، فإن إسناد الحديث حسن.

(٤) أخرجه مالك (١/ ١٩٠ ـ ١٩١) بلاغاً، ووصله أبو داود (١١٧٦)؛ من طريق عمرو بن =

الفصل السابع والعشرون

[في أذكار الريح إذا هاجت]

قال أبو هُريرة: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«الرِّيح مِن رَوْحِ الله ـ تعالى ـ، تأتي بالرحمةِ، وتأتي بالعذابِ، فإذا رأيْتُمُوها؛ فلا تسبُّوها، واسألوا الله مِن خيرِها، واستعيذوا بالله مِن شرِّها».

رواه أبو داود[١].

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة، قالت: كان النبيّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الريحُ؛ قال:

«اللَّهمَّ إنِّي أسألُك خيرها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرْسِلَتْ به، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّها وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به»[٢].

وفي «سنن أبي داود» عن عائشة رضي الله عنها:

أن النبيَّ ﷺ كان إذا رأى ناشئاً[٣] في أُفُقِ السماء؛ تَرَكَ العمل ـ وإنْ كان في صلاة ـ ثم يقول:

«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن شرِّها».

فإن مُطِرَ، قال:

«اللَّهمَّ صيِّباً هَنيئاً»[٤].

= شعيب عن أبيه عن جدّه.
قلت: وهٰذا إسناد حسن.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٧)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٦/ ١٩٦ ـ نووي).

(٣) أي: سحاباً لم يتكامل اجتماعه.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٩)، وابن ماجه (٣١٨٩)، وأحمد (٦/ ١٩٠)؛ من طريق المقدام بن شُريح عن أبيه عن عائشة.
قلت: وهٰذا إسناد صحيح، المقدام وأبوه ثقتان.

الفصل الثامن والعشرون

[في الذِّكر عند الرّعد]

كان عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد؛ ترك الحديث، فقال: سبحان الذي ﴿يُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣](١).

الفصل التاسع والعشرون

[في الذِّكرِ عند نُزولِ الغيثِ]

في «الصحيحين» عن زيد بن خالد الجُهَنِيّ، قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحُديبية في إثرِ سماءٍ كانت من اللّيل، فلمَّا انصرفَ؛ أقبلَ على الناس، فقال:

«هل تَدْرونَ ماذا قالَ ربُّكُم؟».

قالوا: الله ورسولُه أعلم.

قال: «قال: أصبح مِن عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأمّا مَن قال: مُطِرْنا بفَضْلِ الله ورحمتِهِ؛ فذلك مؤمنٌ بي، وكافر بالكواكب. وأمّا مَنْ قال: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا؛ فذاك كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكواكب»(٢).

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها:

أن النبيّ ﷺ كان إذا رأى المطر؛ قال:

«صَيِّباً نافعاً»(٣).

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٩٢)، وسقط منه: «عن عبد الله بن الزبير»، فصار عنده مقطوعاً، وعنه البخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ١٨٦)، والبيهقي (٣/ ٣٦٢).
قلت: وإسناده صحيح موقوفاً.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٣٣٣ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ٥٩ ـ ٦٠ ـ نووي).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٥١٨ ـ فتح).

وفي «صحيح مسلم» عن أنس ﷺ قال:

أصابنا ونحنُ معَ رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر.

فقلنا: يا رسول الله! لم صنعْتَ هٰذا؟

قال: «لأنّه حديثُ عهدٍ بربِّه»[1].

الفصل الثلاثون

[في الذِّكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها]

في «الصحيحين» عن أنس، قال:

دخل رجلٌ المسجد يوم جمعة، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب الناس، فقال:

يا رسول الله! هلكَتِ الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادْعُ الله يغيثُها.

فرفَعَ رسولُ الله ﷺ يديهِ، ثم قال:

«اللَّهمَّ أغِثْنا، اللَّهمَّ أغِثْنا، اللَّهمَّ أغِثْنا».

قال أنس:

والله ما نرى في السماء من سحابٍ ولا قَزَعَةٍ، وما بينَنا وبين سَلْعٍ مِنْ بيتٍ ولا دار، فطلعت مِن ورائه سحابة مثل الترس؛ فلما توسَّطَتِ السماء، انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأَيْنا الشمس سبتاً.

ثم دخل رجل من ذٰلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبله قائماً؛ فقال:

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٩٥ ـ نووي).

يا رسول الله! هَلَكَتِ الأموال، وانقطعت السُّبل، فادْعُ الله يُمسكها عنّا.

فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال:

«اللَّهمَّ حوالَيْنا ولا علَيْنا، اللَّهمَّ على الآكامِ والظِّرابِ[١]، وبطونِ الأوديَة، ومنابِتِ الشجرِ».

قال: فأقْلَعَتْ، وخرَجْنا نَمشي في الشمسِ[٢].

الفصل الحادي والثلاثون

[في الذِّكر عند رؤية الهلال]

عن عبد الله بن عمر، قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال؛ قال:

«الله أكبرُ، اللَّهمَّ أهِلَّهُ علينا بالأمْنِ والإيمان، والسلامةِ والإسلام، والتوفيق لما تحبُّ وترضى، ربُّنا وربُّك الله»[٣].

---

(١) جمع ظرب، وهي الروابي الصغار.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ـ فتح)، ومسلم (٦/ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ نووي).

(٣) أخرجه الدارمي (٢/ ٣ ـ ٤)، وابن حبان (٢٣٧٤)، والطبراني في «الكبير» (١٣٣٣٠)؛ من طريق عبد الرحمٰن بن عثمان بن إبراهيم: حدثني أبي عن أبيه وعمّه عن ابن عمر.

قلت: هٰذا إسناد ضعيف؛ لأن عبد الرحمٰن وأباه فيهما ضعف.

وله شاهد آخر من حديث طلحة بن عُبيد الله.

أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، وأحمد (١/ ١٦٢)، والحاكم (٤/ ٢٨٥) وغيرهم؛ من طريق سليمان بن سفيان قال: حدثني بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، عن أبيه، عن جده.

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف؛ لأن سليمان وشيخه بلال بن يحيى ضعيفان.

وبالجملة، فالحديث حسن بشواهده.

الفصل الثاني والثلاثون
[في الذِّكر للصّائم وعند فطره][١]

الفصل الثالث والثلاثون
[في أذكار السفر]

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبيّ ﷺ؛ أنّه قال:

«مَن أرادَ سَفراً، فلْيَقُلْ لمن يخلف: أسْتَوْدِعُكُمُ الله الذي لا تضيعُ ودائِعُه»[٢].

وفي «المسند» أيضاً عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ قال:

«إن الله إذا استُودِعَ شيئاً؛ حَفِظَهُ»[٣].

وقال سالم:

---

(١) الأحاديث التي أوردها المصنف - ﷺ - في هٰذا الباب لا تصح، والذي ثبت لم يورده، وهو:
«كان رسول الله ﷺ إذا أفطر، قال: ذهب الظمأ وابتلّت العروق، وثبت الأجر - إن شاء الله -».
أخرجه أبو داود (٢٣٥٧) وغيره.
وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٨٢٥)، وأحمد (٢/ ٤٠٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٧)؛ من طريق الحسن بن ثوبان؛ أنه سمع موسى بن وردان يقول:
أتيتُ أبا هُريرة أودّعه، فقال: ألا أُعلّمك يا ابن أخي شيئاً علّمنيه رسول الله ﷺ أقوله عند الوداع؟ قلت: بلى، قال: (فذكره).
قلت: وهٰذا إسناد صحيح.

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥١٦)، وأحمد (٢/ ٢١٧)، وابن حبان (٢٣٧٦).
قلت: وهو صحيح.

كان ابن عمر يقول لرجل إذا أراد سفراً: ادْنُ مِنِّي أُوَدِّعْكَ؛ كما كان رسول الله ﷺ يودِّعُنا، فيقول:

«أَسْتَوْدِعُ الله دينَكَ، وأمانَتَكَ، وخواتيمَ عمَلِك»[١].

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح.

وقال أنس رضي الله عنه:

جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إني أُريدُ سفراً، فزَوِّدْني؛ فقال:

«زَوَّدَكَ الله التقوى».

قال: زِدْني.

قال: «وغَفَرَ ذنبَكَ».

قال: زِدْني.

قال: «ويسَّر لك الخير حيثُما كنت».

قال الترمذي:

حديث حسن[٢].

وعن أبي هُريرة؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله! إنِّي أُريدُ سفراً فأوْصِني. قال:

«عليكَ بتقوى الله عز وجل والتكبير على كل شرف»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٠)، والترمذي (٣٥٠٦)، وأحمد (٢/ ٢٥ و٣٨ و١٣٦).
قلت: وهو صحيح.

(٢) رقم (٣٥٠٧)، وحسّنه أيضاً الحافظ.
قلت: وهو كما قالا.

(٣) هو المكان العالي.

فلما ولَّى الرجل، قال:

«اللّهمَّ اطْوِ لهُ البُعْدَ[١]، وهَوِّن عليه السفر».

قال الترمذي:

حديث حسن[٢].

الفصل الرابع والثلاثون
[في ركوب الدابة والذِّكر عنده]

قال علي بن ربيعة:

شهدْتُ عليَّ بن أبي طالب ﷺ أُتِيَ بدابّة ليركَبَها، فلمّا وضع رجله في الرِّكاب؛ قال:

بسم الله.

فلما استوى على ظهرها؛ قال:

الحمد لله.

ثم قال:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤].

ثم قال:

الحمدُ لله؛ ثلاث مرّات.

ثم قال:

---

(١) أي: قرّبه له.

(٢) برقم (٣٥٠٨)، وابن حبان (٢٣٧٨ و٢٣٧٩)، والحاكم (٢/ ٩٨).
قلت: وهو كما قال الترمذي.

الله أكبر؛ ثلاث مرات.

ثم قال:

سبحانَكَ إنِّي ظلمتُ نفسي، فاغْفِرْ لي؛ إنَّه لا يغفِرُ الذنوبَ إلا أنتَ.

ثم ضحِكَ.

فقيل: يا أمير المؤمنين! من أيِّ شيءٍ ضحِكْتَ؟

فقال: رأيتُ النبيّ ﷺ فعل كما فعلتُ، ثم ضحكَ، فقلتُ:

يا رسول الله! من أيِّ شيءٍ ضحِكْتَ؟

فقال: «إنَّ ربَّك ﷻ يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري».

رواه أهل السنن، وصحَّحه الترمذي[1].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفرٍ؛ كبَّر ثلاثاً، ثم قال:

«﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ في سفرنا هٰذا البرَّ والتَّقوى، ومن العمل ما ترضى، اللَّهمَّ هوِّنْ علينا سفرنا هٰذا، واطْوِ عنَّا بُعْده، اللَّهمَّ أنت

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وابن حبان (٢٣٨٠ و٢٣٨١) وغيرهم؛ من طريق أبي إسحاق، عن علي بن ربيعة، عن علي.
قلت: وفيه عنعنة أبي إسحاق، فهو مدلس، وقد تبيَّن أنه أسقط بينه وبين ابن ربيعة راويين؛ كما حققه ابن حجر، ونقله ابن علَّان في «شرح الأذكار» (٥/ ١٢٥).
ولكن أخرجه الحاكم (٢/ ٩٨)؛ من طريق المنهال بن عمرو، عن علي بن ربيعة.
قلت: لذا صححه الترمذي، وهو كما قال.
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه النووي، وغيرهم من أهل العلم.

الصاحبُ في السفر، والخليفةُ في الأهل، اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنْ وَعْثاءِ السفر، وكآبة المنظر، وسوءِ المنقَلَب في المال والأهل».

وإذا رجع قالَهُنَّ، وزادَ فيهِنَّ:

«آيبون، تائبون، عابِدون، لربِّنا حامِدون»[١].

وفي وجهٍ آخر[٢].

كان رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ إذا عَلَوا الثنايا؛ كبَّرُوا، وإذا هبطوا؛ سبَّحُوا.

الفصل الخامس والثلاثون

[في ذكر الرجوع من السفر]

قال عبد الله بن عمر:

كان رسول الله ﷺ إذا قَفَلَ من غزوٍ، أو حجَّ، أو اعْتَمَرَ؛ يكبِّرُ على كلِّ شرفٍ مِنَ الأرضِ ثلاث مرات، ثمّ يقول:

«لا إلٰه إلّا الله وحدَهُ، لا شريكَ لهُ، له الملك، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، آيِبون، تائِبون، عابِدون، ساجِدون، لربِّنا حامِدون،

---

(١) أخرجه مسلم (٩/ ١١٠ ـ ١١١ ـ نووي).

(٢) ظاهر كلام المصنف ـ ﷺ ـ أنه بسند الحديث السابق، وإنما أخرجه أبو داود (٢٥٩٩)؛ من حديث ابن جريج معضلاً، يثبت ذٰلك أن عبد الرزاق أخرجه مفرداً من طريق ابن جريج (٩٢٤٥)، قال: (وذكره).
قال الحافظ، كما نقل عنه ابن علان في «شرح الأذكار» (٥/ ١٤٠):
«هٰكذا أخرجه معضلاً، ولم يذكر فيه ابن جريج سنداً، فظهر أن مَن عطفه على الأول أو مزجه أدرجه، وهٰذا من أدقّ ما وُجد في المدرج».
قلت: لكن يشهد لهٰذا الوجه ما أخرجه البخاري (٦/ ١٣٥ ـ فتح) من حديث جابر بلفظ:
«كنا إذا صَعِدْنا كَبَّرنا، وإذا نزلنا (وفي رواية: تصوَّبنا) سبَّحنا».

صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

رواه البخاري ومسلم[١].

الفصل السادس والثلاثون

[في الذِّكر على الدَّابَّة إذا استصعبت][٢]

الفصل السابع والثلاثون

[في الدّابَّة إذا انفلَتَتْ وما يُذْكَرُ عند ذٰلك][٣]

الفصل الثامن والثلاثون

[في الذِّكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولَها]

عن صُهَيْب رضي الله عنه؛ أن النبيّ ﷺ لم يرَ قرية يريد دخولها؛ إلّا قال حين يراها:

«اللَّهمَّ ربَّ السماواتِ السبعِ وما أظْلَلْنَ، وربَّ الأرضينَ السبعِ وما أقْلَلْنَ، وربَّ الشياطينِ وما أضْلَلْنَ، وربَّ الرياحِ وما ذَرَيْنَ، أسألُكَ خيرَ هٰذه القرية، وخيرَ أهلِها، وخيرَ ما فيها، وأعوذُ بكَ مِنْ شرِّها وشرِّ ما فيها».

رواه النسائي[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٣٥ و١١/ ١٨٨ ـ فتح)، ومسلم (٩/ ١١٢ ـ ١١٣ ـ نووي).

(٢) لم يصح تحت هٰذا الباب شيء مما أورده المصنف ـ رحمه الله ـ.

(٣) لم يصح تحت هٰذا الباب شيء مما أورده المصنف رحمه الله، وانظر ما دبجته يراعة محدث العصر النحرير شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٦٥٥ و٦٥٦).

(٤) صحيح، وانظر البحث الماتع الذي كتبه شيخنا ونقلناه في كتاب «الردّ العلمي» (٢/ ١٤٨).

الفصل التاسع والثلاثون

[في ذكر المنزل يريد نزوله]

قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها:

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«مَن نزل منزلاً، ثم قال: أعوذُ بكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ من شرِّ ما خَلَق؛ لم يضرَّهُ شيءٌ حتى يرتَحِلَ مِنْ منزِلِه ذٰلك».

رواه مسلم(١).

الفصل الأربعون

[في ذكر الطعام والشراب]

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ:

«يا بنيَّ! سمِّ الله ـ تعالى ـ وكُلْ بيمينِك، وكُلْ مما يَليكَ».

متفق عليه(٢).

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أكل أحدُكم، فلْيَذْكُرِ اسمَ الله ـ تعالى ـ في أوّلِهِ، فإنْ نَسِيَ أنْ يذكُرَ اسمَ الله ـ تعالى ـ في أوله؛ فَلْيَقُلْ: بسم الله أولَه وآخره»(٣).

---

(١) هو فيه (١٧/ ٣١ ـ نووي).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥٢١ ـ فتح)، ومسلم (١٣/ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ نووي).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٢٠)، وأبو داود (٣٧٦٧) وغيرهما.

قلت: وهو صحيح.

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح.

وقال أُميّة بن مخشي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل، فلم يسمِّ، حتى لم يبقَ من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيهِ، قال: بسم الله أوّلَه وآخرَه؛ فضحِكَ النبيّ ﷺ ثمّ قال:

«ما زال الشيطانُ يأكُلُ معه، فلما ذكرَ اسمَ الله ـ تعالى ـ استقاء ما في بطنه».

رواه أبو داود.

وقال رسول الله ﷺ:

«إنَّ الله لَيَرْضى عن العبدِ أنْ يَأْكُلَ الأكْلَةَ فيحمَدَهُ عليها، ويشربَ الشربةَ فيحْمَدَهُ عليها».

رواه مسلم في «صحيحه» من حديث أنس ﷺ.

وقال أبو هريرة:

ما عابَ رسول الله ﷺ طعاماً قطُّ، إنِ اشتهاهُ أكله، وإلّا تركه[1].

متفق عليه[2].

وعن وحشيّ أن أُناساً قالوا: يا رسول الله! إنّا نأكل ولا نشبع؛ قال:

«فلعلَّكُم تفتَرِقونَ؟».

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٥٠ ـ ٥١ ـ نووي).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥٤٧ ـ فتح)، ومسلم (٢٠٦٤).

قالوا: نعم.

قال: «فاجْتَمِعُوا على طَعامِكُم، واذْكُرُوا اسم الله - تعالى - يُبارَكْ لكُم فيه».

رواه أبو داود[١].

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن أكلَ أو شربَ[٢]، فقال: الحمد لله الذي أطْعَمَني هٰذا الطعام، ورَزَقَنِيهِ مِنْ غيرِ حولٍ لي ولا قوةٍ؛ غُفِرَ لهَ ما تقدَّم مِنْ ذنبه».

قال الترمذي:

حديث حسن[٣].

وذكر النسائي عن رجلٍ خدمَ النبيّ ﷺ؛ أنّه كان يسمعُ النبيّ ﷺ إذا قُرِّبَ إليه طعامُه، قال:

«بسم الله».

وإذا فرَغَ مِن طعامه، قال:

«اللّهمَّ أطعَمْتَ وسقيتَ، وأغْنَيْتَ وأقْنَيْتَ[٤]، وهدَيْتَ وأحْيَيْتَ؛

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وأحمد (٣/ ٥٠١)؛ من طريق الوليد بن مسلم، قال: ثني وحشي بن حرب عن أبيه عن جدِّه.

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، فإن وحشي بن حرب وأبيه ضعيفان.

لكن الحديث حسن لغيره، فإن له شواهد في معناه؛ انظرها في: «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠ - ٢١)، و«الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٣ - ١٣٤).

(٢) في «السنن»: من أكل طعاماً.

(٣) رقم ٣٥٢٣، وأبو داود (٤٠٢٣)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وهو كما قال الترمذي، ووافقه الحافظ.

(٤) أي: أرضيت.

فلكَ الحمدُ على ما أعطيت»[١].

وفي «صحيح البخاري» عن أبي أُمامة ﷺ؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا رفع مائدته؛ قال:

«الحمد لله كثيراً طيِّباً مباركاً فيه؛ غير مكفيٍّ، ولا مودَّع، ولا مستغنًى عنه ربُّنا»[٢].

الفصل الحادي والأربعون

[في ذكر الضيف إذا نزل بقوم]

عن عبد الله بن بُسْر، قال:

نزل رسول الله ﷺ على أبي، فقرَّبْنا إليه طعاماً ووطبةً[٣]، فأكل منها، ثم أُتِيَ بتمرٍ، فكان يأكله ويلقي النّوى بين إصبعيهِ، ويجمع السبابة والوسطى.

قال شعبةُ:

هو ظنّي، وهو فيه ـ إن شاء الله ـ إلقاء النوى بين الإصبعين[٤].

ثم أُتي بشرابه، فشربه؛ ثم ناوله الذي عن يمينه.

قال: فقال أبي ـ وأخذ بلجام دابّته ـ:

---

(١) وأحمد (٤/ ٦٢ و٥/ ٣٧٥)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبيّ ﷺ» (ص٢٣٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (؟).

قلت: وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥٨٠ ـ فتح).

(٣) هو: الحيس، يجمع بين التمر البرني، والأقط المدقوق، والسمن.

(٤) أي: أن شعبة قال:

الذي أظنّه أن إلقاء النوى مذكور، ثم جزم به.

ادْعُ الله لنا.

فقال: «اللَّهمَّ بارِكْ لهُم فيما رَزَقْتَهُم، واغْفِرَ لهم، وارْحَمْهُم».

رواه مسلم[١].

وعن أنس؛ أنَّ النبيّ ﷺ جاء إلى سعد بن عُبادة، فجاء بخبزٍ وزيتٍ، فأكل؛ ثم قال النبيُّ ﷺ:

«أفطر عندَكُم الصائِمون، وأكل طعامَكُم الأبرار، وصلَّت عليكُم الملائكة».

رواه أبو داود[٢].

الفصل الثاني والأربعون

[في السلام]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال:

«تُطْعِمُ الطعامَ، وتقرأُ السلامَ على مَن عرفتَ ومَن لم تَعْرِف».

متفقٌ عليه[٣].

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ:

«لا تدخُلوا الجنَّةَ حتى تؤمِنوا، ولا تؤمِنوا حتّى تَحابُّوا؛ أفلا أدلُّكُم على شيءٍ إذا فعَلْتُموهُ تحابَبْتُم؟ أفْشُوا السلامَ بينكم».

---

(١) أخرجه مسلم (١٣/ ٢٢٥ ـ نووي).

(٢) (رقم ٣٨٥٤)، والبيهقي (٧/ ٢٨٧)، والحاكم (٣/ ١٣٨)، وابن السني (٤٨٤).
قلت: وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٥٥ ـ فتح)، ومسلم (١/ ٩ ـ ١٠ ـ نووي).

رواه أبو داود[١].

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما:

ثلاثٌ مَن جَمَعَهُنَّ جَمَعَ الإيمانَ: الإنْصافُ مِن نفسِك، وبذلُ السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار.

ذكره البخاري[٢].

---

(١) رقم (٥١٩٣).

قلت: وهو عند مسلم (٢/ ٣٥ ـ نووي)، وغفل المصنف عن ذٰلك.

(٢) علّقه البخاري (١/ ٨٢ ـ فتح) موقوفاً.

قلت: ووصله ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣١)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٩٤٣٩)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (ص٧٤ ـ ٧٥)، ووكيع في «الزهد» (٢٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٨ ـ هندية)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٢٧)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (ق٢١٣/ب)؛ من طرق عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عنه به.

قلت: وهٰذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، ولا يضرّ كون السبيعي فيه؛ لأن من الرواة عنه سفيان الثوري عند ابن أبي شيبة، وابن حبان، ووكيع، والبيهقي، وهو من قدماء أصحابه، روى عنه قبل الاختلاط، فزالت شبهة الاختلاط. وكذٰلك شعبة عند يعقوب بن شيبة في «مسنده»، ومن طريقه الذهبي، وهو لا يروي عن المدلسين إلا ما هو مِن مسموعاتهم، وهٰذا منه، فزالت شبهة تدليسه.

ومن ثمّ فقد تابعه أبو معاوية، فقال: سمعت صلة بن زفر، ثنا عمار بن ياسر: (وذكره).

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣/ ٤٥٣).

وقد رُوِيَ مرفوعاً، وهو خطأ؛ كما رجحه الحافظ في «الفتح» (١/ ٨٣)، وابن ناصر الدين في «الإتحاف بحديث فضل الإنصاف» (مخطوط الحرم المكي)، وأقرّهما شيخنا في «الكلم الطيب» (ص١٠٥).

ونص على ذٰلك أبو حاتم، وأبو زرعة؛ كما في «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ١٤٥).

(تنبيه):

أعلّ شيخنا هٰذا الأثر في «الكلم الطيب» (ص١٠٥) بعنعنة أبي إسحاق واختلاطه، ثم قال في «مختصر البخاري» (١/ ١٢):

وصله ابن أبي شيبة (١٣١) بسند صحيح عنه موقوفاً. =

وقال عمران بن حصين:

جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: السلامُ عليكُم؛ فردَّ عليه، ثم جلس، فقال النبيّ ﷺ:

«عشر».

ثم جاء آخر، فقال: السلامُ عليكم ورحمة الله؛ فردَّ عليه، فجلس، فقال:

«عشرون».

ثم جاء آخر، فقال: السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته؛ فردَّ عليه، فجلس، فقال:

«ثلاثون».

قال الترمذي:

حديث حسن[1].

وعن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أوْلى الناس بالله مَنْ بدأ بالسلام».

= **قلت**: هٰذا سبق قلم من شيخنا ـ حفظه الله ـ فإن الإسناد الذي أعله بعنعنة أبي إسحاق واختلاطه هو إسناد ابن أبي شيبة.
وكون سفيان رواه عن أبي إسحاق عند ابن أبي شيبة ينفي شبهة اختلاطه، وتبقى عنعنته.
ولكنها زالت ـ كما رأيت ـ برواية شعبة عنه.
وقد جزم بثبوته موقوفاً على عمار بن ياسر رضي الله عنه شيخُنا، فأورده في «صحيح الكلم الطيب» (١٥٥ ـ طبعة المعارف).
وهو الحق الذي نجزم به.

(١) برقم (٢٨٢٩)، وأبو داود (٥١٩٥).
قلت: وهو كما قال الترمذي، وحسنه الحافظ.

قال الترمذي:

حديث حسن[١].

وخرّج أبو داود عن عليّ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال:

«يُجْزِئُ الجماعةَ إذا مرُّوا أن يسلِّمَ أحدُهُم، ويجزئُ عن الجلوس أن يَرُدَّ أحدُهم»[٢].

وقال أنس:

«مرَّ النبيُّ ﷺ على صِبيانٍ يلعبونَ، فسلَّم عليهِم».

حديث صحيح[٣].

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ:

«إذا انتهى أحدُكم إلى المجلس؛ فلْيُسَلِّم، فإذا أرادَ أنْ يقومَ؛ فلْيُسَلِّم، فليستِ الأُولى بأحقَّ من الآخرة»[٤].

الفصل الثالث والأربعون

[في الذِّكرِ عند العطاس]

قال أبو هريرة، عن النبيّ ﷺ:

«إنَّ الله يحبُّ العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدُكم

---

(١) (رقم ٢٦٩٤)، وأبو داود (٥١٩٧).
قلت: وإسناد صحيح.

(٢) (رقم ٥٢١٠)، وفيه سعيد بن خالد، وهو ضعيف.
لكن الحديث حسن بشواهده؛ كما بيّنه شيخنا ـ حفظه الله ـ في «إرواء الغليل» (٧٧٨)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١١٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٢ ـ فتح)، ومسلم (١٤/ ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ نووي).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٧) وحسّنه.
قلت: وهو كما قال.

وحَمِد الله؛ كانَ حقاً على كلّ مَن سمعه[١] أن يقول: يرحمك الله.

وأما التثاؤب، فإنَّما هو من الشيطان، فإذا تثاءبَ أحدُكم؛ فلْيَرُدَّهُ ما استطاع، فإنَّ أحدكم إذا تثاءَبَ ضَحِكَ الشيطان منه».

رواه البخاري[٢].

وعنه أيضاً عن النبيّ ﷺ قال:

«إذا عطسَ أحدُكم؛ فلْيَقُل: الحمد لله، ولْيَقُل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويُصلح بالكم».

رواه البخاري[٣].

وفي لفظ أبي داود[٤]:

«الحمد لله على كلِّ حال».

وقال أبو موسى الأشعريّ رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إذا عطسَ أحدُكُم، فحَمِد الله؛ فشَمِّتُوه، فإنْ لم يَحْمَدِ الله، فلا تُشَمِّتوهُ»[٥].

الفصل الرابع والأربعون

[في ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة]

قال ابن مسعود: علّمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة:

«الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرورِ

---

(١) لفظ البخاري: كان حقاً على كل مسلم سمعه.

(٢) هو فيه (١٠/ ٦١١ ـ فتح).

قلت: وفيه دليل واضح على وجوب تشميت العاطس إذا حمد الله على الأعيان، وما اشتهر من أنه فرض على الكفاية مما لا دليل عليه، وهٰذا بخلاف السلام؛ لحديث علي الآنف في الباب المتقدم.

(٣) هو فيه (١٠/ ٦٠٨).

(٤) برقم (٥٠٣٣)، وهو صحيح.

(٥) أخرجه مسلم (١٨/ ١٢١ ـ نووي).

أنفسنا، ومِن سيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلٰه إلّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]».

رواه أهل «السنن» الأربعة[1]، وقال الترمذي:

حديثٌ حسن.

وعن أبي هريرة؛ أن النبيّ ﷺ كان إذا رفَّأ[2] الإنسانَ إذا تزوَّج؛ قال:

«بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكُما في خير».

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١١٨)، والترمذي (١١١١)، والنسائي (٣/ ١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢).
قلت: وهو حديث صحيح، ولشيخنا ـ حفظه الله ـ جزء مفرد في جمع طرقه ورواياته، وهو مطبوع متداول.
ولشيخ الإسلام ابن تيمية شرح لطيف حققتُه ونشرته دار الأضحى في الأردن.
والحديث عام في النكاح وغيره، كما نص أهل العلم؛ بخلاف ما يشير تبويب المصنف ـ رحمه الله ـ.

(٢) هنّأه ودعا له.

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح[١].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيّ ﷺ قال:

«إذا تزوَّج أحدُكم امرأة، أو اشترى خادماً؛ فلْيَقُل: اللَّهمَّ إني أسألُك خيرها، وخيرَ ما جَبَلْتَها عليه، وأعوذُ بكَ مِن شرِّها وشرِّ ما جَبَلْتَها عليهِ، وإذا اشْتَرى بعيراً؛ فلْيَأخُذْ بذروةِ سنامه، ولْيَقُل مثل ذٰلك».

رواه أبو داود[٢].

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ قال:

«لو أنَّ أحدَكُم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللَّهمَّ جنِّبْنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقْتَنا، فقُضِيَ بينَهُما ولدٌ؛ لم يضرَّه الشيطانَ أبداً»[٣].

الفصل الخامس والأربعون

[في الذِّكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد]

قال أبو رافع:

رأيتُ رسولَ الله ﷺ أذَّنَ في أُذن الحسين بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة.

---

(١) برقم (١١٩٧)، وأبو داود (٢١٣٠)، والحاكم (٢/ ١٨٣)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالا.

(٢) برقم (٢١٦٠)، وابن ماجه (١٩١٨) وغيرهما بإسناد حسن، وصححه جماعة من أهل العلم.

(٣) مضى (ص١١٠، رقم ٣).

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح[١].

وقالت عائشة:

كان النبيُّ ﷺ يؤتَى بالصبيانَ، فيدعو لهُم بالبركة، ويحَنِّكُهم.

رواه أبو داود[٢].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:

إنّ النبيَّ أمرَ بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى عنه، والعقّ.

قال الترمذي:

حديث حسن[٣].

وقد سمَّى النبيُّ ﷺ ابنه إبراهيم، وإبراهيم بن أبي موسى، وعبد الله بن أبي طلحة، والمنذر بن أسيد؛ قريباً من ولادتهم[٤].

---

(١) برقم (١٥١٤)، وأبو داود (٥١٠٥)، وأحمد (٦/ ٩ و٣٩١ و٣٩٢) وغيرهم؛ من طريق سفيان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبيد الله بن رافع، عن أبيه به.
قلت: هٰذا إسناد ضعيف، فيه عاصم بن عبيد الله؛ ضعيف.
لكن له شاهد من حديث ابن عباس.
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» وضعّفه؛ كما ذكره ابن القيّم في «تحفة المودود» (ص١٦).
فالحديث بهما حسن ـ إن شاء الله ـ.

(٢) برقم (٥١٠٦).
قلت: وهو في مسلم (٣/ ١٩٣ ـ نووي)، وقد غفل عنه المصنف ـ رحمه الله ـ.

(٣) برقم (٢٩٨٩).
قلت: والتحنيك: أن تليِّن التمر، ثم تدلكه بحنك الصبي.
وضع الأذى: حلق شعر رأسه يوم سابعه؛ ذكراً كان أو أنثى.
والعقّ: ذبح شاتين للصبي، وواحدة للأنثى.

(٤) هٰذه أحاديث صحيحة، وهي تدل على الجواز، وما قبله على الأفضلية، وليس على الوجوب.

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ أحبَّ أسمائِكُم إلى الله ﷻ: عبد الله، وعبد الرحمٰن»[١].

وعن أبي وهب الجُشَمِيّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«... وأصدقها: حارث، وهمام، وأقبحها: حرب، ومرّة».

رواه أبو داود والنسائي[٢].

وغيَّر النبيُّ ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة:

فغيَّر اسم برَّة إلى زينب.

وغيَّر اسم حَزْن إلى سهل.

وغيَّر اسم عاصية، فسمّاها جميلة.

وغيّر اسم أصرم إلى زُرعة[٣].

وسمّى أرضاً - يُقال لها: عفرة[٤] - خَضِرَةً.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١١٢ - ١١٣ - نووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠)، وأحمد (٤/ ٣٤٥)، والبيهقي (٩/ ٣٠٦) وغيرهم؛ من طريق عقيل بن شبيب عنه.

قلت: وهٰذا إسناد فيه ضعف، من أجل عقيب بن شبيب.

لكن لشطره الأخير شاهد مرسل.

أخرجه ابن وهب في «الجامع» (ص٧): أخبرني داود بن قيس، عن عبد الوهاب بن بُخت مرفوعاً:

«خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمٰن، وأصدق الأسماء همام وحارث، وشرّ الأسماء حرب ومرّة».

قلت: وهو مرسل صحيح الإسناد.

فالشطر الأخير الذي أوردته ثابت، وصدره ضعيف؛ فلذٰلك حذفته.

(٣) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٧ - ٢١٦)، ففيها بحث ماتع، وما ورد هنا ثبت بأحاديث صحيحة.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٥٦) تعليقاً، وقال:

تركت أسانيدها للاختصار.

=

الفصل السادس والأربعون
[في صياح الدِّيَكَة والنَّهيق والنُّباح]

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

«إذا سمِعْتُم نَهيقَ الحمار، فتَعَوَّذُوا بالله من الشيطان، فإنَّها رأت شيطاناً؛ وإذا سمعْتُم الدِّيكَة، فسَلُوا الله مِن فضلِهِ، فإنّها رأتْ مَلَكاً»[(١)].

وفي «سنن أبي داود» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذَا سَمِعْتُم نُباحَ الكلبِ، ونَهيقَ الحمارِ بالليلِ؛ فتَعَوَّذُوا بالله منهنَّ، فإنَّهنَّ يَرَيْنَ ما لا تَرَوْنَ».

رواه أبو داود[(٢)].

الفصل السابع والأربعون
[في الذِّكر يُطْفَأ بهِ الحريق][(٣)]

الفصل الثامن والأربعون
[في كفَّارة المجْلِس]

عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن جلسَ مجلساً، فكَثُرَ فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقومَ مِن مجلسه:

= **قلت**: لم أقف على إسناد قصة الأرض، فقد وصلها الطحاوي في «شرح معاني الآثار»، والطبراني في «الصغير» بإسناد صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٥٠ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٤٦ ـ ٤٧ ـ نووي).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٣ ـ ١٢٣٤)، وأبو داود (٥١٠٣)، وأحمد (٣/ ٣٠٦ و٣٥٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣١٣)، والحاكم (٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

قلت: وهو صحيح بشواهده.

(٣) لم يصح شيء مما أورده المصنف في هٰذا الباب، بل ما ورد ضعيف جداً.

سُبحانَكَ اللّهمَّ وبحمْدِكَ، أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا أنت، أسْتَغْفِرُكَ وأتوبُ إليكَ؛ إلّا كَفَّرَ الله له ما كان في مجلسه ذٰلك».

قال الترمذي:

حديث حسن صحيح[(١)].

وفي حديث آخر:

«أنه إن كان في مجلسِ خيرٍ، كانَ كالطابع له؛ وإنْ كان في مجلسِ تخليطٍ، كان كفارةً له»[(٢)].

---

(١) برقم (٣٤٩٤)، والحاكم (١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧)، وابن حبان (٢٣٦٦)، وصححوه.
قلت: وهو كما قالوا، فإنه على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٣٧)، والطبراني في «الكبير» (١٥٨٦ و١٥٨٧)؛ من طريق نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه مرفوعاً.
قال الحاكم:
هٰذا حديث صحيح على شرط مسلم.
ووافقه الذهبي، وشيخنا الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨١).
قلت: وهو كما قالوا.
وعند الطبراني في الموطن الثاني زيادة:
«يقولها ثلاث مرات».
قال شيخنا ـ حفظه الله ـ:
وقد سكت عليها الهيثمي، وليس بجيد، فإن في سندها خالد بن يزيد العمري، وقد كذّبه أبو حاتم، ويحيى؛ وقال ابن حبان:
يروي الموضوعات عن الأثبات.
فهٰذه زيادة واهية، لا يُلتفت إليها.
قلت: هٰذه وهلة من الشيخ ـ حفظه الله ـ فإن الهيثمي ـ رحمه الله ـ أشار إلى ذٰلك في الموطنين الذين أحال إليهما الشيخ ـ حفظه الله ـ.
فقال في «المجمع» (١٠/ ١٤٢):
رواه الطبراني، وفيه خالد بن يزيد العمري، وهو ضعيف.
وقال في «المجمع» (١٠/ ٤٢٣) بعد أن ذكر الروايتين الصحيحة والضعيفة:
رواه كله الطبراني، ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح.
ثم أشار إلى تقدم طرق الحديث في الأذكار.
=

وفي «السنن» عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ:

«ما مِن قومٍ يقومون من مجلسٍ لا يذكرونَ الله ـ تعالى ـ فيه؛ إلّا قاموا عن مثلِ جيفةِ حمارٍ، وكان لهُم حسرةً»(١).

وعن ابن عمر، قال:

قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم مِن مجلسٍ حتى يدعو بهٰؤلاء الكلمات لأصحابه:

«اللّهمَّ اقْسِمْ لنا من خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بيننا وبينَ معصيتِكَ، ومِنْ طاعتِكَ ما تبلِّغُنا به جنَّتك، ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّن به علينا مصائِب الدُّنيا، اللّهمَّ مَتِّعْنا بأسْماعِنا وأبصارِنا وقوَّتِنا ما أحْيَيْتنا، واجْعَلْهُ الوارث منّا، واجعلْ ثأرنا على مَن ظلمنا، وانصُرْنا على مَن عادانا، ولا تجعَلْ مصيبَتَنا في دينِنا، ولا تجعل الدُّنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ عِلْمِنا، ولا تُسَلِّط علينا مَنْ لا يرحَمُنا».

قال الترمذي:

حديث حسن(٢).

= وبهٰذا يتبين أن الهيثمي ـ رحمه الله ـ لم يسكت على هٰذه الرواية، وإنما ضعفها من قبل؛ كما ضعفها شيخنا ـ أعانه الله ووفقه لخدمة السنّة النبوية ـ من بعد، فهي زيادة تالفة؛ كما قالا، والقول قولهما.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٣٨٩ و٥١٥ و٥٢٧)، والحاكم (١/ ٤٩٢)، وقال:

صحيح على شرط مسلم.

ووافقه الذهبي، وشيخنا في «الصحيحة» (٧٧).

قلت: وهو كما قالوا.

(٢) برقم (٣٥٦٩ ـ تحفة)، والحاكم (١/ ٢٥٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٨).

قلت: وهو كما قال الترمذي، وسيأتي بيانه (ص٢٤٤).

الفصل التاسع والأربعون

[فيما يُقالُ ويُفْعَلُ عند الغضب]

قال الله ﷻ:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال سُليمان بن صُرَد:

كنتُ جالساً مع النبيّ ﷺ ورجلانِ يستَبَّان، أحدهما قد احمرَّ وجهه، وانتفخت أوداجه؛ فقال النبيّ ﷺ:

«إنّي لأعلمُ كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد؛ لو قال: أعوذُ بالله من الشيطانَ الرَّجيم، ذهب عنه الذي يجد».

متفق عليه(١).

وفي حديث آخر؛ أنه أمر مَنْ غَضِبَ إن كانَ قائماً أن يجلسَ، وإن كانَ جالِساً أن يضطَجِعَ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٦٥ ـ فتح)، ومسلم (١٥/ ١٦٣ ـ نووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٨٢)، وأحمد (٥/ ١٥٢)، وابن حبان (١٩٧٣)؛ من طريق أبي معاوية: حدثنا داود بن أبي هند، عن أبي حرب بن الأسود، عن أبي ذرّ قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا:
«إذا غضب أحدكم وهو قائم، فليجْلِسْ؛ فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فلْيَضْطَجِعْ».
قلت: وهٰذا إسناد صحيح، رجاله ثقات؛ إن ثبت سماع أبي حرب من أبي ذرّ، وما أظنّه يثبت؛ كما يظهر من ترجمتيهما، وهو ما صححه الحافظ في «التهذيب».
لكن له طريق آخر.
أخرجه أبو داود (٤٧٨٣) عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً.
قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وبه يثبت الحديث، ولله الحمد والمنّة.

الفصل الخمسون

[فيما يُقالُ عند رؤية أهل البلاء]

عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

«مَنْ رأى مُبْتَلًى، فقال: الحمدُ لله الذي عافاني مما ابتلاكَ به، وفضَّلَني على كثيرٍ ممَّن خَلَقَ تَفْضيلاً؛ لم يُصِبْه ذٰلك البلاء».

قال الترمذي:

حديث حسن[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٩٣ ـ تحفة) بإسناد رجاله ثقات؛ غير عبد الله بن عمر العمري، فإنه ضعيف.
لكن أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣)، و«أخبار أصبهان» (١/ ٢٧١)، وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٥٥/ ٢)؛ من طرق عن مروان بن محمد الطاطري: ثنا الوليد بن عقبة: ثنا محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً.
قال أبو نعيم:
غريب من حديث محمد، تفرّد به مروان عن الوليد.
قلت: رجاله ثقات، غير الوليد بن عتبة، فقد عرفه البخاري في «تاريخه الكبير» (٨/ ١٥٠)، فقال:
معروف الحديث.
وجهله أبو حاتم، فقال في «الجرح والتعديل» (٩/ ١٣):
مجهول.
قلت: قد عرّفه البخاري، ومَن علم حجة على مَن لم يعلم، ولا سيما إذا كان العالم أمير المؤمنين في الحديث؛ البخاري.
وثمة أمر آخر: أنهم ذكروا في الرواة عنه محمد بن عبد العزيز الرملي، وهنا روى عنه مروان بن محمد، وبهٰذا يترجّح قول البخاري على مقالة أبي حاتم وغيره ممّن لم يعرفه، وكأنه لذٰلك وصفه الحافظ في «التقريب» بأنه مستور؛ أي: يُستشهد به، وحديثه يصلح للمتابعة.
فالحديث، إن لم يكن حسناً لذاته بهٰذه الطريق، فهو حسن لغيره بالطريق المذكورة قبله، وبها يثبت الحديث، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الفصل الحادي والخمسون

[في الذِّكرِ عند دخول السوق]

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن دَخَلَ السوقَ، فقال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، يُحْيي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِهِ الخيرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير؛ كَتَبَ الله له ألفَ ألفِ حسنةٍ، ومحا عنهُ ألفَ ألفِ سيِّئةٍ، ورفعَ له ألفَ ألفِ درجةٍ».

رواه الترمذي[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٢٩)، وابن ماجه (٢٢٣٥)، وأحمد (١/ ٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٨٢)، والخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢٨٦)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ١٨٠)، والطبراني في «الدعاء» (٧٨٩ ـ ٧٩١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٤٠)، والدارقطني في «الغرائب والأفراد» (مسند عمر ٢٤/ ٢)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٨٥ و١٧٧٦)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٧١) وغيرهم؛ كلهم من طرق عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عن جده؛ أن النبيّ ﷺ قال: (وذكره).

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف جداً؛ لأن عمرو بن دينار فيه كلام كثير يدل على أنه متروك، وبذٰلك جزم الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٤٧)، لكن الحافظ اكتفى بقوله في «التقريب» (٥٧٦):

«ضعيف»!

لكن تابعه جماعة.

الأول: محمد بن واسع؛ قال:

قدمتُ مكة، فلقيني أخي سالم بن عبد الله بن عمر، فحدّثني عن أبيه عن جده؛ أن رسول الله ﷺ قال: (وذكره).

أخرجه البخاري في «الكنى» (ص٥٠)، والترمذي (٢٤٢٨)، والدارمي (٢/ ٢٩٣)، والطبراني في «الدعاء» (٧٩٢)، والحاكم (١/ ٥٣٨)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٥)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٤٢٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٣٤)؛ كلهم من طريق أزهر بن سنان عنه به.

=

= **قلتُ**: أزهر بن سنان ضعيف الحديث؛ إلا أنه يُعتبر به، غير مطروح الحديث، فقد قال ابن عدي في «الكامل» (١/ ٤٢٠):
ولأزهر بن سنان غير ما ذكرت أحاديث، وليس بالكثير، وأحاديثه صالحة، ليست بالمنكرة جداً، وأرجو أنه لا بأس به.
وضعفه غيره.
فإن قيل: رواية أزهر بن سنان منكرة، فلا يُستشهد بها.
قلتُ: أزهر لم يتفرد، ولم يخالف، فأين النكارة؟!
الثاني: عبيد الله العمري، عن سالم بن عبد الله عن أبيه، قال: قال النبيّ ﷺ: (وذكره بنحوه).
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣١٧٥)، وعنه أبو نُعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٠).
قلتُ: وفي الإسناد إليه سلم بن ميمون الخوَّاص، واهٍ بمرة؛ كما تدل عليه ترجمته في «لسان الميزان» (٣/ ٦٦) فلا يُفرح به، ولا كرامة.
الثالث: أبو عبد الله الفراء، عن سالم نحو حديث محمد بن واسع، وبأخصر منه.
أخرجه البخاري في «الكنى» (ص٥٠)، وفي الإسناد إليه ضرار، وهو ابن صُرَد؛ متروك، فلا يُستشهد به.
الرابع: المهاصر بن حبيب، عن سالم به.
ذكره الدارقطني في «العلل» (٢/ ٥٠)، والمزي في «تحفة الأشراف» (٨/ ٥٨).
وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٧٩٣) بسند صحيح، عن أبي خالد الأحمر؛ لكنه تحرَّف عنده المهاصر إلى المهاجر، فلم يعرفه محققه.
وعلى كل حال، فإن المهاصر لا بأس به؛ كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٤٣٩)، ووثّقه ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٥٢٥).
والراوي عنه أبو خالد الأحمر، ثقة؛ فهي متابعة جيدة، وهو إسناد حسن لذاته.
الخامس: قال الذهبي في «تلخيص المستدرك» (١/ ٥٣٨):
وله شاهد؛ ابن وهب: أخبرني عمر بن محمد بن زيد: حدثني رجل بصري عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده مرفوعاً: (وذكره).
ورواه ابن وهب، عن إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد، عن سالم.
قلت: إسماعيل بن عياش؛ ضعيف في غير الشاميين، وعمر، مدني؛ فرواية ابن وهب هي المحفوظة.
وروى الدارقطني في «العلل» (٢/ ٥٠٠) أن هٰذا الرجل البصري هو عمرو بن دينار، قهرمان آل الزبير، فالله أعلم.
وللحديث شاهد آخر عن ابن عمر. =

.....

= أخرجه الترمذي في «العلل» (٢/ ٩١٢)، وابن عدي (٥/ ١٧٤٥)، والحاكم (١/ ٥٣٩)؛ من طريق يحيى بن سليم الطائفي، عن عمران بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (وذكره).

قلتُ: وأعلّ هٰذا الإسناد بعلّتين:

الأولى: قول الترمذي (٢/ ٩١٢):

سألتُ محمداً (أي: البخاري) عن هٰذا الحديث؟ فقال: هٰذا حديث منكر.

قلتُ له: مَن عمران بن مسلم هذا؟! هو عمران القصير؟! قال: لا، هٰذا شيخ منكر الحديث.

الثانية: قول ابن أبي حاتم (٢/ ١٨١):

وهٰذا الحديث هو خطأ، إنما أراد عمران بن مسلم، عن عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، عن سالم عن أبيه، فغلط؛ وجعل بدل عمرو عبدَ الله بن دينار، وأسقطوا سالماً من الإسناد؛ قال أبو محمد: حدثنا بذٰلك محمد بن عمار، قال: حدثنا إسحاق بن سليمان، عن بكير بن شهاب الدامغاني، عن عمران بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن سالم عن أبيه، عن عمر، عن النبيّ ﷺ: (وذكر الحديث).

ووافق الدارقطنيُّ ابنَ أبي حاتم في التعليل؛ لأنه حمَّل الخطأ فيه يحيى بن سليم، فقال في «العلل» (٤/ ٧٥/أ):

وهم فيه، وكان كثير الوهم في الأسانيد، وخالفه بكير بن شهاب الدامغاني، ويوسف بن عطية الصفار.

ثم ساق الإسناد الذي ذكره ابن أبي حاتم.

قلتُ: الجواب على هٰذه العلل من وجوه:

١ ـ تعليل البخاري للحديث؛ لكون عمران منكر الحديث عنده؛ لأنه يفرق بين عمران راوي هٰذا الحديث وعمران القصير، وجوابه للترمذي يشعر بتوثيق القصير دون هٰذا، وهٰذا التفريق مما خولف فيه، فقد قطع بالتسوية بينهما الدارقطني، فقال في «العلل» (٤/ ٥٧/أ):

هو عندي عمران القصير، ليس فيه شكّ.

وظاهر صنيع ابن حبان التسوية بينهما، وهو الذي تطمئن إليه النفس.

وعمران القصير فيه كلام يسير، لا ينزل بحديثه عن درجة الحسن، فحمل الوهم والخطأ على غيره أوْلى.

٢ ـ وأما تعليل ابن أبي حاتم لعمران، فغير متفق مع حجّته التي ساقها، وهي إسناده إلى بكير بن شهاب الدامغاني.

وكذٰلك تعليل الدارقطني، حيث اعترف برواية الدامغاني، وعضدها برواية يوسف بن =

.....

.....

= عطية الصفار، لكن منهج الدارقطني أقوم من منهج ابن أبي حاتم، حيث حمَّلَ الدارقطني الوهمَ فيه يحيى بن سليم، وإن كنت لا أقرُّهما؛ لأنهما اعترضا بروايات ساقطة بمرة على رواية معتبرة.

فإن الدامغاني والصفار؛ كلاهما متروك، لا يكتب حديثهما، ولا كرامة.

وعمران القصير، والراوي عنه يحيى بن سليم، خير منهما بمرّات.

وقد جاء حديث ابن عمر هٰذا من طريق آخر عن عبد الله بن دينار، عنه به.

أخرجه الحاكم (١/ ٥٣٩) من طريق مسروق بن المرزبان: ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن حسان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (وذكره).

قال الحاكم:

هٰذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، والله أعلم. تابعه عمران بن مسلم، عن عبد الله بن دينار.

وتعقبه الذهبي بقوله:

مسروق بن المرزبان، ليس بحجّة. قال: تابعه عمران بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، ثم ساقه من رواية يحيى بن سليم عنه. (قلت:) وقال البخاري: عمران منكر الحديث.

قلت: لكن قال الذهبي عن مسروق بن المَرْزُبان في «الميزان» (٤/ ٩٨):

صدوق معروف.

وقال الحافظ صالح بن محمد:

صدوق.

كما في «التهذيب» (١٠/ ١١٢).

وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ٢٠٦).

وروى عنه أبو زرعة «تهذيب» (١٠/ ١١٢).

قلت: وهو لا يروي إلا عن ثقةٍ عنده؛ كما قرّره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٤١٦)، فقال:

«فمن عادة أبي زرعة ألا يحدث إلا عن ثقة».

وأما قول أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٣٩٧):

ليس بالقوي، يُكتب حديثه.

مع أنه قد روى عنه، كما في «الجرح والتعديل» (٨/ ٣٩٧).

فهٰذا تليين لا ينزل بحديثه عن مرتبة الاحتجاج، ولا يعني الضعف الذي يُرَدُّ به الخبر، وإنما هو حسن الحديث؛ لأن أبا حاتم من المتشددين؛ كما لا يخفى على الجادِّين.

ولذٰلك قال الحافظ في «التقريب» (١٠٥٧): =

الفصل الثاني والخمسون
[في الرجل إذا خَدِرَتْ رِجلُه](١)

الفصل الثالث والخمسون
[في الدابّة إذا عَثَرَت]

عن أبي المليح عن رجلٍ، قال: كنتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ، فعَثَرَت دابتُه، فقلتُ:

= صدوق له أوهام.
فهٰذا إسناد حسن لذاته، حيث إن جميع رجاله ثقات، غير مسروق، فإنه حسن الحديث، والله أعلم.
وروي الحديث من طريق زيد بن أسلم، عن ابن عمر.
أخرجه الخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه» (١/ ١٦٩) من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، و(١/ ٣٢١) من طريق خارجة بن مصعب، وكلاهما متروكان، فلا يُفرح بهما.
وبهٰذا يتبين أن تعدد الطرق عن سالم، عن أبيه عن جدّه غير طريق قهرمان آل الزبير، وسلم الخواص، وأبي عبد الله الفراء تدلّ على أن الحديث محفوظ عن سالم، فإذا انضمّ إليه حديث ابن عمر الحسنُ؛ ازداد قوة وثبوتاً، وبذٰلك ثبت حديث السوق، ولله الحمد والمنّة.
ولعل في ذٰلك تنبيه بعض إخواننا من طلبة العلم الذين ذهبوا إلى تضعيف حديث السوق جملة.
وفي الباب عن بريدة، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وقد فصلت القول فيهما في جزء مفرد سمّيته: «القول الموثوق في تصحيح حديث السوق، رواية ودراية».
وبيّنتُ أن نقده من حيث الدراية لا يثبت، فلو استحضر الناقد أن الأجر العظيم الوارد فيه إنما هو في شأن كلمة الإخلاص التي هي أعظم الكلام وأفضله؛ لما تعجل ردّه، وخاصة أن له نظائر في «الصحيحين» وغيرهما، تضمنت بيان الثواب العظيم على مثل هٰذه الأذكار، والله أعلم.

(١) لم يثبت في هٰذا الباب شيء مما أورده المصنف ـ رحمه الله ـ ولقد عجبتُ كيف استجاز أن يورد مثلها في كتابه، ولكن جرى على سنن المؤلفين في الأذكار؛ كالنووي، وشيخه ابن تيمية من قبله.
وفي «الأصل» زيادة تفصيل، تروي الغليل، وتشفي العليل.

تَعِسَ الشيطانُ.

فقال: «لا تَقُلْ: تَعِسَ الشيطان، فإنَّك إذا قلتَ ذٰلك تعاظَم حتى يكونَ مثلَ البيتِ؛ ولكن قُلْ: بسمِ الله، فإنَّك إذا قلتَ ذٰلك تصاغَرَ حتى يكونَ مثلَ الذبابِ»(١).

الفصل الرابع والخمسون

[فيمن أهدى هدية أو تصدّق بصدقة فدعا له ماذا يقول؟]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُهْدِيَتْ لرسولِ الله ﷺ شاةٌ، فقال: «اقْسِميها».

وكانت عائشةُ رضي الله عنها إذا رجعتِ الخادم، تقول: ما قالوا؟

تقولُ الخادمُ: قالوا: باركَ الله فيكُم.

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: وفيهِم بارك الله. نردُّ عليهم مثلَ ما قالوا، ويبقى أجْرُنا لنا(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٤ و٥٥٦)؛ من طريق خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن أبي المليح، عن ردف رسول الله ﷺ: (وذكره).
قلت: وهٰذا إسناد صحيح، وجهالة الرجل المبهم لا تضرّ؛ لأنه صحابي.
على أن النسائي أخرجه في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٥)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥١١)، والطبراني في «الكبير» (٥١٦)، والحاكم (٤/ ٢٩٢)؛ من طريق محمد بن حمران: ثنا خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن أبي المليح بن أسامة، عن أبيه رضي الله عنه قال:
كنتُ رديف الرسول ﷺ، فعَثَر بعيرنا، (وذكره).
قلتُ: وهٰذا إسناد حسن، رجاله ثقات؛ غير محمد بن حمران، فهو صدوق.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣)، ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٧٨): أخبرنا طليق بن محمد بن السكن، قال: أخبرنا أبو معاوية، =

وقد رُوِيَ عنها في الصدقة مثل ذٰلك.

الفصل الخامس والخمسون
[فيمَنْ أُمِيطَ عنه أذى](١)

الفصل السادس والخمسون
[في رؤية باكورة الثمرة]

قال أبو هُريرة رضي الله عنه: كان الناس إذا رأوا الثمر؛ جاؤوا بهِ إلى رسول الله ﷺ فقال:

«اللَّهمَّ بارِكْ لنا في ثمَرِنا، وبارِك لنا في مَدينَتِنا، وبارِك لنا في صاعِنا، وبارِك لنا في مُدِّنا».

ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان.

رواه مسلم(٢).

الفصل السابع والخمسون
[في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين]

قال الله تعالى:

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وقال النبيُّ ﷺ:

«العينُ حقٌّ، ولو كانَ شيءٌ سابَقَ القَدَرَ؛ لسبَقَتْهُ العينُ».

= حدثنا يزيد بن زياد، عن عبيد بن أبي الجعد عنها به.

قلت: هٰذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(١) لم يثبت عندي في هٰذا الباب شيء مما أورده المصنف ـ رحمه الله ـ.

(٢) هو فيه (٩/ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ نووي).

حديثٌ صحيح[(١)].

ويُذْكَر عن النبيّ ﷺ؛ أنّه قال:

«إذا رأى أحدُكُم ما يعجِبُهُ في نفسه، أو ماله؛ فلْيُبَرِّكْ عليهِ، فإنَّ العينَ حقٌّ»[(٢)].

وقال أبو سعيد:

كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من الجان، وعين الإنسان، حتى نزلتِ المعوِّذتان، فلما نزَلَتا؛ أخذ بهما، وترك ما سواهما.

قال الترمذي:

حديث حسن.

ورواه ابن ماجه في «سننه»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١٧١ ـ نووي) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٦)، والحاكم (٣/ ٤١١ ـ ٤١٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٥) واللفظ له، وأصله في «الصحيحين» كما ذكر الحاكم؛ من طرق عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (وذكره).

قلت: إسناده صحيح.

وله شاهد من حديث عامر بن ربيعة.

أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٧)، والحاكم (٤/ ٢١٥)، وابن السني (٢٠٦).

قال الحاكم:

صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: وفيه أُمية بن هند، وهو مقبول؛ أي: عند المتابعة، فحديثه حسن؛ لأنه لم يتفرد به، كما رأيت.

ولذلك، فلا وجه لتضعيفه كما أشار المصنف ـ ﷺ ـ حيث صدره بصيغة التمريض.

ومعنى قوله ﷺ: «فليُبَرِّك...»؛ أي: يدعو له بالبركة.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٣٥)، وابن ماجه (٣٥١١)، والنسائي (٨/ ٢٧١)؛ من طريق الجريري، عن أبي نضرة، عنه به.

قلت: وهٰذا إسناد صحيح.

الفصل الثامن والخمسون

[في الفأل والطِّيَرَة]

قال النبيُّ ﷺ:

«لا عدوى، ولا طِيَرة، وأصدقها الفأل».

قيل: وما الفأل؟

قال: «الكلمة الحسنة يسمعُها الرجل»(١).

وكان النبيُّ ﷺ يعجبه الفأل(٢).

وقال ﷺ:

«رأيتُ في منامي كأنِّي في دار عُقبة بن رافع، وأُتينا مِن رُطَبٍ طابَ، فأوَّلْتُها الرفعةَ لنا في الدُّنيا، والعاقبةِ لنا في الآخرةِ، وأن ديننا قد طاب»(٣).

وأما الطِّيَرَة؛ فقال معاوية بن الحكم:

قلتُ: يا رسولَ الله! منّا رجال يتطيَّرون. قال:

«ذٰلك شيءٌ تجِدُونَه في صدورِكُم، ولا يَصُدَّنَّكُم»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٤ ـ فتح)، ومسلم (١٤/ ٢١٨ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه.
أخرجه البخاري (١٠/ ٢٤٤ ـ فتح)، ومسلم (١٤/ ٢١٩ ـ نووي).
والطِّيرة: هي التشاؤم بالشيء.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٢٩ ـ ١٣٠)؛ من حديث عائشة، وإسناده حسن.
وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن حبان (١٤٢٩).
فالحديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٥/ ٣٠ ـ ٣١ ـ نووي).

(٤) أخرجه مسلم (٦/ ٢٠ ـ ٢٤ ـ نووي).

الفصل التاسع والخمسون
[في الحَمَّام](١)

= **قلت**: وهٰذا الحديث مشهور بحديث الجارية، وقد تضمن مسائل كثيرة في العقيدة، وقد خرّجته مستوعباً طرقه وألفاظه في كتابي «أين الله؟» وفنّدت هناك جميع الشبهات التي يدندن حولها المغرضون؛ فليُنظر، فهو مطبوع متداوَل.

(١) الحديث الذي أورده المصنف تحت هٰذا الباب موضوع، ومخالف لقوله ﷺ: «اتقوا بيتاً يُقال له الحمام».

فقالوا: يا رسول الله! يذهب بالدَّرَن، وينفع المريض.

قال: «فمَن دخلَهُ، فلْيَسْتَتِر».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٩٣٢)، وعنه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/٢٨٣)، والحاكم (٤/٢٨٨)؛ من طريق أبي الأصبغ عبد العزيز بن يحيى الحراني: ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن طاوس، عن السختياني، عن طاوس، عن ابن عباس مرفوعاً به.

قال الحاكم:

صحيح على شرط مسلم.

ووافقه الذهبي.

قلت: الحراني لم يخرج له مسلم، وهو صدوق، ربما وَهِم.

وابن إسحاق أخرج له متابعة، وهو مدلس، وقد عنعنه.

لكن توبع، فقد أخرجه البزار في «كشف الأستار» (٣١٩)، وابن صاعد في «أحاديثه» (١/٩)، والمخلص في «الفوائد المنتقاة» (٢/١٨٧)، وعنه الضياء في «المختارة» (٢/٢٨٣)؛ من طريق يوسف بن موسى، عن يعلى بن عبيد، عن سفيان، عن ابن طاووس به.

وهٰذا إسناد رجاله ثقات رجال البخاري، على ضعف يسير في يعلى بن عبيد، فإنه مع ثقته؛ ففي روايته عن سفيان ـ وهو الثوري ـ لين؛ كما قال الحافظ.

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام» (رقم ٦٣٣):

«هٰذا أصح إسناد في هٰذا الباب».

قلت: وفيه ردّ على مَن قال:

لا يصح في الحمام حديث.

فقد صح، والحمد لله.

وكذٰلك روى أبو الزبير عن جابر مرفوعاً: =

الفصل الستّون

[في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه]

في «الصحيحين» عن أنس ﷺ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا دخل الخلاء؛ قال:

«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الخُبُثِ والخبائِث»(١).

وزاد سعيد بن منصور:

«بسم الله»(٢).

= «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمام إلا بمئزر».
أخرجه النسائي (١/ ١٩٨) واللفظ له، وأحمد (٣/ ٣٣٩)، والحاكم (٤/ ٢٨٨)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٤٤)، والبزار في «كشف الأستار» (٣٢٠).
قال الحاكم:
صحيح على شرط مسلم.
ووافقه الذهبي.
قلت: أبو الزبير مدلس، وقد عنعنه، ولكنه توبع.
فأخرجه الترمذي (٢٨٠١) من طريق ليث بن أبي سليم، عن طاووس، عن جابر به.
وليث مدلس مختلط، ولكنه يُعتضد به.
تنبيه:
استدرك الهيثمي في «كشف الأستار» (٣٢٠) على المزي عزو هٰذا الحديث للترمذي فأخطأ، لكن المزي في «تحفة الأشراف» (٢/ ١٩٠) عزى الحديث للترمذي في كتاب الاستئذان، وإنما هو في كتاب الأدب؛ فلعلّ ذٰلك من باب اختلاف النسخ، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٤٢ ـ فتح)، ومسلم (٤/ ٧٠ ـ نووي).

(٢) زيادة التسمية في حديث أنس ضعيفة، فقد أخرجها ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ١)، وابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٦٤)، وفيها أبو معشر، وهو ضعيف، فلا تُقبل منه هٰذه الزيادة.
ورويت هٰذه الزيادة في حديث أنس، من طريق قتادة عنه، بلفظ:
«هٰذه الحشوش محتضرة، فإذا دخل أحدكم الخلاء؛ فليقل: بسم الله».
قلت: لكنه ضعيف؛ لاضطراب بعض الرواة في سنده ومتنه. =

وفي «مسند الإمام أحمد» عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ هٰذه الحشوش محتَضِرة، فإذا أتى أحدُكم الخلاء؛ فليَقُل: أعوذُ بالله من الخُبُث والخَبائِث»(١).

وفي الترمذي عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«سِتر ما بين الجنِّ وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف؛ أن يقول: بسم الله»(٢).

وقالت عائشة:

كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط؛ قال:

«غفرانك».

رواه الإمام أحمد، وأهل السنن(٣).

= لكن قد جاء ما يدلّ على مشروعية التسمية عند دخول الخلاء، وهو حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً، بلفظ:
«ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول: بسم الله».
قلت: وهو حديث حسن، كما سيأتي تخريجه (بالهامش رقم (٢)).

(١) أخرجه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وأحمد (٤/ ٣٦٩ و٣٧٣)، وابن حبان (١٢٦)، والطيالسي (٦٧٩)، والبيهقي (١/ ٩٦)؛ من طريق شعبة عن قتادة سمع النضر بن أنس، عن زيد بن أرقم مرفوعاً.
قلت: وهٰذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.
وقد جعله بعض الضعفاء من مسند أنس بن مالك، وقد تقدم التنبيه عليها.
وفي الحديث دلالة على أن الأمر بهٰذه الاستعاذة عند إرادة دخول الخلاء، وبه يفسر الدخول الوارد في حديث أنس رضي الله عنه الآنف، وأنه إرادة الدخول، والله ـ تعالى ـ أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي (٦٠٣)، وابن ماجه (٢٩٧)؛ بإسناد ضعيف.
لكن له شواهد يتقوّى بها، فقد صححه شيخنا ـ حفظه الله ـ لشواهده في «إرواء الغليل» (٥٠)؛ فليُنظر.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٣)، وأبو داود (٣٠)، والترمذي (٧)، =

الفصل الحادي والستون

[في الذِّكر عند إرادة الوضوء]

وفي «صحيح مسلم» عن جابر ﷺ في حديثه الطويل، وفيه:

«يا جابر! نادِ بوَضوء».

فقلتُ: ألا وَضوء، ألا وَضوء، ألا وَضوء!

وفيه فقال:

«خُذْ يا جابر فصُبَّ عليَّ، وقل: بسم الله».

فصبَبْتُ عليه، وقلتُ: بسم الله، فرأيتُ الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ[1].

وفي «المسند»[2] و«السنن» من حديث سعيد بن زيد، عن النبيّ ﷺ:

«لا وُضوء لمن لم يذكر اسمَ الله عليه»[3].

قال البخاري:

هٰذا أحسن شيءٍ في هٰذا الباب.

وعن أبي هُريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

= وابن ماجه (٣٠٠)، وأحمد (١/ ٢٦٩)، والدارمي (١/ ١٧٤)، والحاكم (١/ ١٥٨)، والبيهقي (١/ ٩٧)، وابن السني (٢٣)؛ بسندٍ صحيح عنها.

(١) أخرجه مسلم (١٨/ ١٣٣ - ١٤٧ - نووي).

(٢) لم أره في «المسند» من حديث سعيد بن زيد ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥)، وابن ماجه (٣٩٨)، والبيهقي (٢/ ٤٣)؛ من طريق أبي ثِفال المُرِّي، عن رباح بن عبد الرحمٰن بن أبي سفيان بن حويطب، عن جدته عن أبيها مرفوعاً.

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف، لكن يصلح للمتابعة.

وللحديث شواهد عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وهما اللذان يليانه.

«لا صلاةَ لمن لا وُضوء له، ولا وُضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

رواه الإمام أحمد، وأبو داود[١].

وفي «المسند» عن أبي سعيد الخُدْري ﷺ، عن النبيّ ﷺ:

«لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»[٢].

الفصل الثاني والستون

[في الذِّكرِ بعد الفراغ من الوضوء]

روى مسلم في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب، عن النبيّ ﷺ، قال:

«ما منكم من أحدٍ يتوضّأ، فيُبْلِغ ـ أو فيُسبغ ـ الوضوء، ثم يقول: أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه؛ إلا فُتِحَتْ له أبواب الجنّة الثمانية، يدخُل من أيِّها شاء»[٣].

وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٤١٨) وغيرهم، عن يعقوب بن سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.
قلت: وإسناده ضعيف؛ لأن يعقوب وأباه مجهولان.
لكنّ للحديث طريقين آخرين عن أبي هريرة، فالنفس تطمئن لثبوت الحديث من أجلها.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤١) وغيره، وهو حسن بما قبله من الشواهد.
وجملة القول في أحاديث التسمية في الوضوء أن مفرداتها لا تخلو من مقال، ولكن مجموع الأحاديث يَحْدُث منها قوة تدلّ على أن لها أصلاً.
وقد ذهب إلى هٰذا الأمر جهابذة الفن؛ كالمنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٤)، وابن حجر العسقلاني في «التلخيص الحبير» (١/ ٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١١٨ ـ ١١٩ ـ نووي).

«اللَّهمَّ اجْعَلْني من التوَّابين، واجْعَلني من المتطهِّرين»[١].

وأمّا الأذكار التي يقولها العامّة عند كل وضوء[٢]؛ فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، ولا الأئمّة الأربعة، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ[٣].

الفصل الثالث والستّون

[في ذكر صلاة الجنازة]

في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك، قال:

صلّى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائِه؛ وهو يقول:

«اللَّهمَّ اغْفِرْ له، وارحَمْهُ، وعافِهِ، واعْفُ عنه، وأكرِمْ نُزُله، ووسِّع مُدخَلَه، واغسله بالماءِ والثلج والبَرَد، ونقِّه من الخطايا كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَس، وأبْدِلْه داراً خيراً مِن دارِه، وأهلاً خيراً مِن أهلِه، وزوجاً خيراً من زوجِهِ، وأدْخِلْه الجنّة، وأعِذْه من عذاب القبر».

قال: حتى تمنَّيْتُ أن أكون أنا ذٰلك الميت؛ لدعاء رسول الله ﷺ.

وفي لفظ:

«وقِهِ فتنة القبر، وعذاب النّار»[٤].

وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة، قال: صلّى رسول الله ﷺ على جنازة، فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٥٥).
قلت: وهي زيادة صحيحة بشواهدها.
(٢) مراده عند كل عضو.
(٣) صدق وبرّ ونصح ـ رحمه الله تعالى ـ.
(٤) أخرجه مسلم (٥/ ٣٠ ـ ٣١ ـ نووي).

«اللّهمَّ اغْفِرْ لحيِّنا وميِّتِنا، وشاهِدنا وغائبِنا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وذَكَرِنا وأُنثانا، اللّهمَّ مَنْ أحْيَيْتَه منّا فأَحْيِه على الإسلام، ومَن توفَّيْته فتوفَّه على الإيمان، اللّهمَّ لا تَحْرِمنا أجرهُ، ولا تُضِلَّنا بعده»[(١)].

وفي «سنن أبي داود» أيضاً عن واثلة بن الأسقع، قال: صلّى رسول الله ﷺ على رجلٍ من المسلمين، فسمعته يقول:

«اللّهمَّ إنَّ فلانَ ابنَ فلانٍ في ذمَّتِك، وحبل جوارِك، فقِهِ فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحمد؛ اللّهمَّ فاغْفِرْ له، وارْحَمْهُ، إنّك أنت الغفورُ الرّحيم»[(٢)].

وسأل مروانُ أبا هُريرة:

كيفَ سمعتَ رسولَ الله ﷺ يصلِّي على الجنازة؟

قال:

«اللَّهمَّ أنتَ ربُّها، وأنتَ خَلَقْتَها، وأنتَ هدَيْتَها للإسلامِ، وأنتَ قبضْتَ روحَها، وأنتَ أعلمُ بسرِّها وعلانِيَتها، جِئْنا شُفَعاء؛ فاغْفِرْ له».

رواه الإمام أحمد، وأبو داود[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وأحمد(٢/ ٣٦٨)، والحاكم (١/ ٣٥٨)، وابن حبان (٧٥٧).
قال الحاكم:
صحيح على شرط الشيخين.
ووافقه الذهبي.
قلت: وهو كما قالا.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (٣/ ٤٧١)، وابن حبان (٧٥٨)؛ بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠٠)، وأحمد (٢/ ٢٥٦ و٣٤٥ و٣٦٣ و٤٥٩)؛ من طريق أبي الجلاس عقبة بن سيار: حدثني علي بن شماخ، قال: شهدت مروان سأل أبا هريرة: (وذكره).

الفصل الرابع والستون

[في الذِّكر إذا قال هُجراً أو جرى على لسانه ما يُسخط ربّه ﷻ]

ثبت عن النبيّ ﷺ؛ أنّه قال:

«مَن حلف منكم، فقال في حلفه: واللَّات والعُزَّى؛ فلْيَقُل: لا إله إلا الله. ومَن قال لصاحِبِهِ: تعالَ أُقامِرْكَ؛ فلْيَتَصَدَّقْ»(١).

فكلُّ مَنْ حلف بغير الله، فقد أشرك.

حديثٌ صحيح.

فهٰذه كفارة؛ لأن النبيَّ ﷺ قال:

«مَن حلف بغير الله؛ فقد أشرك».

حديث صحيح(٢).

وكفّارة الشرك التوحيد، وهو كلمة: «لا إله إلا الله».

ومَن قال: تعالَ أُقامِرْكَ، فقد تكلّم بهجر وفُحش يتضمن أكل المال، وإخراجه بالباطل؛ وكفارة هٰذه الكلمة بضدّ القمار، وهو إخراج المال بحق في مواضعه، وهو الصدقة.

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه:

= **قلت**: وهٰذا إسناد ضعيف؛ لأن علي بن شماخ مقبول؛ أي: عند المتابعة.
وقد توبع عند الطبراني في «الدعاء» (١١٧٨ و١١٨٠).
وبذٰلك فالحديث حسن لغيره.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦١١ ـ فتح)، ومسلم (١١/ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٧٤)، وأحمد (٢/ ٣٤ و٦٧ و٦٩ و٨٧ و١٢٥)، والحاكم (١/ ١٨ و٤/ ٢٩٧)، والبيهقي (١٠/ ٢٩).
قلت: وهو حديث صحيح.

حلفتُ باللَّات والعُزَّى، فقال أصحابي: قلتَ هجراً، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ:

يا رسولَ الله! إنّ العهد كان قريباً، وحلفتُ باللّات والعزَّى.

فقال رسول الله ﷺ:

«قُلْ: لا إلٰهَ إلا الله وحده ثلاثاً، ثم اتْفُلْ عن يسارِك ثلاثاً، وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا تَعُد»(١).

الفصل الخامس والستون

[فيما يقول مَنِ اغتاب أخاه المسلم]

وهٰذه المسألة فيها قولان للعلماء ـ هما روايتان عن الإمام أحمد ـ وهما:

هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لا بدَّ من إعلامه وتحليله؟

والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفيهِ الاستغفار، وذِكْره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها.

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٧ ـ ٨)، وابن ماجه (٢٠٩٧)، وابن حبان (١١٧٨)، وأحمد (١/ ١٨٣ و١٨٦ ـ ١٨٧)، والدورقي في «مسند سعد» (٥٨)؛ من طريق أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد، عن أبيه.

قلت: هٰذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، غير أن أبا إسحاق مدلس مختلط.

ولكنه صرح بالتحديث عند النسائي (٧/ ٨)، فأمِنَّا تدليسه.

ومن الرواة عنه في هٰذا الحديث إسرائيل بن يونس، وهو أثبت الناس في حديث أبي إسحاق، وقد روى عنه قبل الاختلاط؛ وبذٰلك فالحديث صحيح غاية.

ولم يقف على هٰذه الأمور شيخنا ـ حفظه الله ـ فضعف الحديث في «الإرواء» (٨/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، وأودعه في «ضعيف ابن ماجه» (٤٥٤).

(تنبيه):

في «الأصل» تحريف وتداخل في الحديث، صححته من المراجع المذكورة.

وهٰذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

والذين قالوا: لا بدَّ من إعلامه؛ جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينَهُما ظاهرٌ، فإنّ الحقوقَ المالية ينتَفِعُ بها المظلوم بعَوْدِ نظير مظلمتِه إليه؛ فإنْ شاء أخذها، وإن شاء تصدَّق بها.

وأما في الغيبة، فلا يمكن ذٰلك، ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع، فإنّه يُوغِرُ صدرَه، ويؤذيهِ إذا سمعَ ما رُمِيَ به، ولعلّه يهيجُ عداوتَه، ولا يصفو له أبداً، وما كان هٰذا سبيله، فإنّ الشارع الحكيم لا يُبيحه، ولا يُجَوِّزه؛ فضلاً عن أن يوجِبه ويأمر به، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها، والله ـ تعالى ـ أعلم.

الفصل السادس والستون

[فيما يُقال ويُفْعَل عند كسوف الشمس وخسوف القمر]

في «الصحيحين» عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ، عن النبيّ ﷺ قال:

«إنَّ الشمسَ والقمرَ لا يخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيْتُم ذٰلك؛ فادْعُوا الله، وكبِّروا، وتصدَّقوا»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الرحمٰن بن سمرة، قال:

بَيْنا أنا أرمي بأسهم لي في حياة رسول الله ﷺ؛ إذ كَسَفَتِ الشمس، فنبذتهنّ، وقلت:

لأنظرنَّ ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوفِ الشمس اليوم، فانتَهَيْتُ

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤٥ ـ فتح)، ومسلم (٦/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ نووي).

إليه وهو رافع يديه؛ يسبّح، ويحمد، ويهلّل، ويدعو، حتى حسر عن الشمس، فقرأ بسورتينِ، وركع ركعتينِ[١].

والنبيّ ﷺ أمر في الكسوف: بالصلاة، والعتاقة، والمبادرة إلى ذكر الله ـ تعالى ـ فإنّ هٰذه الأمور تدفع أسباب البلاء.

الفصل السابع والستون

[فيما يقول مَن ضاع له شيء ويدعو به][٢]

الفصل الثامن والستون

[في عقد التسبيح بالأصابع، وأنه أفضل من السُّبحة]

روى الأعمش عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو؛ قال:

رأيتُ رسول الله ﷺ يعقِدُ التسبيحَ بيمينِه.

رواه أبو داود[٣].

وروت يُسَيرة ـ إحدى المهاجِرات رضي الله عنهنّ ـ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«عليكُنَّ بالتسبيحِ، والتهليلِ، والتقديسِ، ولا تَغْفَلْنَ فتنسَيْنَ الرحمة، واعقِدْن بالأنامل؛ فإنهنَّ مسؤولات ومستنطقات»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٦/٢١٦ ـ ٢١٧ ـ نووي).

(٢) لم يثبت عندي مما أورده المصنف في هٰذا الباب شيء.

(٣) برقم (١٥٠٢)، والترمذي (٣٥٥٣ ـ تحفة)، والحاكم (١/٥٤٧).
قلت: وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٦٥٣ ـ تحفة) وغيرها.
قلت: وإسناده حسن.

الفصل التاسع والستون

[في أحب الكلام إلى الله ﷻ بعد القرآن]

ثبت في «صحيح مسلم» عن سَمُرة بن جندُب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أحبُّ الكلامِ إلى الله ـ تعالى ـ أربع، لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر»[١].

وفي وجهٍ آخر:

«أفضل الكلام بعد القرآن أربع، وهنّ من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر».

وفي أثر آخر:

«أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائِكَته: سبحان الله وبحمده»[٢].

وفي «الصحيحين» عن أبي هُريرة، عن النبيّ ﷺ:

«كلمتانِ خفيفتانِ على اللّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتانِ إلى الرحمٰنِ: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال:

«لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر؛ أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/١١٧ ـ ١١٨ ـ نووي).

(٢) أخرجه مسلم (١٧/٤٨ ـ نووي).

(٣) أخرجه البخاري (١١/٢٠٦ ـ فتح)، ومسلم (١٧/١٨ ـ ١٩ ـ نووي).

(٤) أخرجه مسلم (١٧/١٩ ـ نووي).

الفصل السبعون

[في الذِّكر المضاعف]

في «صحيح مسلم» عن جُوَيْرِية أُمّ المؤمنين؛ أن النبيّ ﷺ خرج من عندِها بُكْرَةً حين صلّى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعدما أضْحى وهي جالسة؛ فقال:

«ما زلت على الحال التي فارَقْتُك عليها؟!».

قالت: نعم.

فقال النبيّ ﷺ: «لقد قلتُ بعدَك أربع كلماتٍ ثلاثَ مراتٍ، لو وُزِنَت بما قلتِ منذ اليوم لوزَنَتْهُنَّ: سبحانَ الله عددَ خلقِه، سبحانَ الله رِضى نفسِهِ، سبحانَ الله زِنَةَ عرشِه، سبحانَ الله مِداد كَلِماتِه»[1].

الفصل الحادي والسبعون

[فيما يُقال لمن حصل له وحشةٌ][2]

الفصل الثاني والسبعون

[في الذِّكر الذي يقوله أو يُقال له إذا لبس ثوباً جديداً]

عن أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد الخُدْري، قال:

كان رسول الله ﷺ إذا استَجَدَّ ثوباً؛ سمَّاه باسمه قميصاً أو إزاراً أو عمامة؛ يقول:

«اللّهمَّ لك الحمد، أنتَ كسَوْتَنِيهِ، أسألكَ مِن خيرِهِ وخيرِ ما صُنِعَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٤٤ ـ نووي).

(٢) لم يصح عندي فيما أورده المصنف في هٰذا الباب شيء.

له، وأعوذُ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنِع له»[(١)].

وعن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ لبس ثوباً، فقال: الحمد لله الذي كساني هٰذا ورَزَقَنِيهِ مِن غيرِ حولٍ منِّي ولا قوّة؛ غُفِرَ له ما تقدّم مِن ذنبه وما تأخر»[(٢)].

الفصل الثالث والسبعون

[فيما يُقال عند رؤية الفجر]

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ قال:

كان رسول الله ﷺ إذا كانَ في سفرٍ، فبدا له الفجر، قال:

«سمع سامع بحمد الله ونِعمته، وحُسْن بلائه علينا، ربّنا صاحبنا فأفضل علينا، عائذاً بالله من النار».

يقول ذٰلك ثلاث مرات، ويرفع بها صوته.

هٰذا إسناد صحيح على شرط مسلم[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٨٢٢ ـ تحفة)، وابن حبان (١٤٤٢)، والحاكم (٤/ ١٩٢).
قلت: وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣) بتمامه؛ من طريق أبي مرحوم، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه مرفوعاً.
قلت: هٰذا إسناد حسن.
أبو مرحوم اسمه عبد الرحيم بن ميمون المصري، وشيخه سهل بن معاذ بن أنس الجهني، تابعي مشهور، وهما صدوقان؛ كما نص على ذٰلك الحافظ ابن حجر عن الأول في «التقريب» (١/ ٥٠٥)، وعن الثاني في «معرفة الخصال المكفرة» (ص٧٤).
ولذٰلك حسَّنَه في «نتائج الأفكار» (١٠/ ب)، و«معرفة الخصال المكفرة» (ص٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٧/ ٣٩ ـ نووي).

الفصل الرابع والسبعون

[في التسليم للقضاء والقدر
بعد بذل الجهد في تعاطي ما أُمِرَ به من الأسباب]

قال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦].

فنهى ـ سبحانه ـ عباده أن يتشبَّهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا؛ لما وقع قضاؤه بخلافه.

وقال النبيُّ ﷺ:

«وإيَّاك واللّو، فإنَّ اللّو تفتحُ عملَ الشيطان»[(١)].

وقال أبو هريرة: قال النبيّ ﷺ:

«المؤمِنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله مِنَ المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احْرِصْ على ما ينفعُكَ، واسْتَعِنْ بالله ولا تَعْجِزْ، وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أني فعلتُ كذا كان كذا، ولكنْ قُلْ: قدَّر الله وما شاءَ فعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطانِ».

رواه مسلم[(٢)].

فنهى النبيُّ ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضرّه ولا ينفعه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٦/ ٢١٥ ـ نووي).
قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري» (١٣/ ٢٢٥):
«وكذا وقع عند بعض رواة مسلم: (إياك واللو، فإن اللّو من الشيطان). والمحفوظ: (إياك ولو، فإن لو)».

(٢) هو فيه (١٦/ ٢١٥ ـ نووي).

وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غِنى له عنه، فإن أعْجَزَهُ القضاء؛ قال: حسبي الله. فإذا قال: حسبي الله بعد تعاطي ما أمره من الأسباب؛ قالها وهو محمود، فانتفع بالفعل والقول، وإذا عجز وترك الأسباب، وقالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله ﷻ فلم تنفعه الكلمة نفعَها لمَنْ فعَلَ ما أُمِرَ به.

الفصل الخامس والسبعون

[في جوامع من أدعية النبيّ ﷺ وتعوُّذاته لا غنى للمرء عنها]

قالت عائشة:

كان النبيُّ ﷺ يحبُّ الجوامِع من الدعاء، ويدعُ ما بين ذٰلك[1].

وفي «مسند الإمام أحمد» و«سنن النسائي» عن ابن عباس، قال: كان دعاء النبيّ ﷺ:

«رَبِّ أعِنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانْصُرْني ولا تنْصُرْ عليَّ، وامْكُر لي ولا تمكُر عليَّ، وانْصُرْني على مَن بغى عليَّ، ربِّ اجْعَلْني لك شكَّاراً، لك ذكَّاراً، لك رهَّاباً، لك مخبِتاً، إليك أوّاهاً مُنيباً، ربِّ تقبَّل توبتي، واغسل حَوبَتي، وأجِبْ دَعْوتي، وثبِّت حجَّتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسلُلْ سخيمةَ قَلْبي».

هٰذا حديث صحيح، ورواه الترمذي، وحسّنه، وصححه[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٢)، وأحمد (٦/ ١٤٨ و١٨٩)، وابن حبان (٢٤١٢) وغيرهم؛ من طرق عن الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل، عنها به.
قلت: وهٰذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وأحمد (١/ ٢٢٧)، وابن حبان (٢٤١٤).
قلت: وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

وفي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك، قال:

كنتُ أخدم النبيَّ ﷺ، فكنتُ أسمعه يُكثر أن يقول:

«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَن، والعجزِ والكَسَل، والبخل والجبنِ، وضَلَع[١] الدَّيْن، وغلبةِ الرجال»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال:

لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول:

«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من العجزِ والكَسَل، والجبنِ والبخل، والهرم وعذاب القبر. اللّهمَّ آتِ نفسي تَقْواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاها، إنَّك[٣] وليُّها ومَوْلاها. اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من قلبٍ لا يخشع، ونفسٍ لا تشبعُ، وعلمٍ لا ينفع، ودعوة لا يُستجاب لها»[٤].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ كان يدعو:

«اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بك مِنْ عذابِ القبر، وأعوذُ بكَ مِن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّال، وأعوذُ بكِ من فتنة المحيا والممات، اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِن المأثم والمغرَمِ».

فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذُ من المغرم؟!

قال: «إنَّ الرجُل إذا غرم؛ حدَّث فكذب، ووعد فأخلف»[٥].

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان مِن دعاء النبيّ ﷺ:

---

(١) أي: ثقل الدَّين.
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٨٦ ـ ٨٧ ـ فتح)، ومسلم (١٧/ ٢٩ ـ ٣٠ ـ نووي).
(٣) في «صحيح مسلم»: أنت.
(٤) أخرجه مسلم (١٧/ ٤١ ـ نووي).
(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٣١٧ ـ فتح)، ومسلم (٥/ ٨٧ ـ نووي).

«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ زَوال نِعْمتك، وتَحَوُّلِ عافيَتِك، ومِنْ فُجاءَةِ نقمتِكَ، ومن جميع سَخَطِكَ»[(١)].

وفي الترمذي عن عائشة، قالت:

قلت: يا رسول الله! إنْ وافقتُ ليلة القدر ما أسأل؟

قال: «قولي: اللّهمَّ إنّك عفوٌّ تحبُّ العفوَ، فاعْفُ عنِّي».

قال الترمذي:

صحيح[(٢)].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي بكر الصدِّيق، عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

«عليكم بالصِّدق، فإنّه مع البرّ، وهما في الجنّة؛ وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار؛ وسَلُوا الله المعافاة، فإنه لم يؤتَ رجل بعد اليقين خيراً من المعافاة»[(٣)].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشجَعِيّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّم مَنْ أسلم أن يقول:

«اللّهمَّ اغْفِرْ لي، واهْدِني، وارْزُقْني، وعافِني، وارْحَمْني»[(٤)].

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم»[(٥)] عن ربيعة بن عامر، عن النبيّ ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٥٤).

(٢) برقم (٣٥٨٠ ـ تحفة)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٦/ ١٨٣ و٢٥٨).
قلت: وهو كما قال الترمذي.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، وأحمد (١/ ٥ و٧)، وابن حبان (٢٤٢٠) وغيرهم.
قلت: وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (١٧/ ١٩ ـ ٢٠ ـ نووي).

(٥) وصف «المستدرك على الصحيحين» للحاكم بـ: «صحيح الحاكم» فيه تساهل كبير، لا ينبغي للمصنف ـ رحمه الله ـ أن يقع فيه.

«ألِظُّوا بـ (يا ذا الجلالِ والإكرامِ)»[١].

أي: الزموها، وداوِموا عليها.

وفي «صحيح الحاكم» أيضاً عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال لهم:

«أتُحِبُّون أيها الناس أن تجتَهِدوا في الدعاء؟».

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: «قولوا: اللّهمَّ أعِنَّا على ذكرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبادَتِك»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٨٠)، وأحمد (٤/ ١٧٧)، والحاكم (٤/ ٤٩٩) وغيرهم؛ من طريق ابن المبارك: أخبرنا يحيى بن حسان، عن ربيعة بن عامر مرفوعاً.
قلت: وهٰذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.
وله شواهد عن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما تزيده قوّة على قوّة.

(٢) هو فيه (١/ ٤٩٩) وصححه، ووافقه الذهبي.
قلت: فيه خارجة بن مصعب، وهو أبو الحجاج السَّرخَسِيّ، وهو متروك، وكان يدلس عن الكذابين.
وبذٰلك تعلم أن تصحيح الحاكم، وموافقة الذهبي، ومَن وافقهم من المعاصرين مردود عليهم.
لكن الحديث صحيح، فقد أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩)، ومن طريقه أبو نُعيم في «الحلية» (٩/ ٢٢٣) بإسناد صحيح؛ كما بيّنته في «تخريج أحاديث الوصية الصغرى» (ص١١ - ١٢).
وللحديث شواهد عن معاذ، وابن مسعود؛ خرّجتُها في المصدر الآنف (ص١٠).
وأزيد بأن له شاهد مرسل.
أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ١/ ١٣٣)، وابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر» (٤)؛ من طريق جعفر بن عون، عن هشام بن عروة، عن ابن المنكدر، قال: كان مِن دعاء رسول الله ﷺ: (فذكره).
قلت: إسناده حسن؛ لولا إرساله.

وفي الترمذي وغيره أنَّ النبيّ ﷺ أوصى معاذاً أنْ يقولها في دُبُرِ كلِّ صلاة[١].

وفي «صحيحه» أيضاً[٢] عن أنس، قال: كنّا مع النبيّ ﷺ في حلقة، ورجلٌ قائم يصلِّي، فلمّا ركَعَ وسجَدَ تشهَّد ودعا، فقال في دعائه:

اللّهمَّ إنِّي أسألُك بأنَّ لك الحمد، لا إلٰه إلا أنت، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ، يا قيُّوم.

فقال النبيُّ ﷺ:

«لقد سأل الله باسمه العظيم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»[٣].

وفي «صحيحه» أيضاً من حديث معاذ، قال:

أبطأ رسول الله ﷺ بصلاة الفجر، حتى كادت أن تُدْرِكَنا الشمس، ثم خرج، فصلَّى بنا، فخفَّف، ثم انصرف؛ فأقبل علينا بوجهِه، فقال:

«على مكانِكم، أخبركم ما أبطأني عنكم اليوم؟ إنّي صلَّيتُ في ليلتي هٰذه ما شاء الله، ثم ملكَتْني عينايَ، فنمتُ، فرأيتُ ربِّي ـ تبارك وتعالى ـ فألْهَمَني أنْ قُلْتُ:

اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الطَّيِّبات، وفعلَ الخيراتِ، وتركَ المُنْكَراتِ،

---

(١) صحيح، كما بيّنته في «تخريج أحاديث الوصية الصغرى» (ص١٠).
وقد وهم المصنف، فالحديث ليس عند الترمذي.

(٢) أي: «مستدرك الحاكم»، وقد سبق بيان هٰذا التساهل.

(٣) هو فيه (١/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤) وصححه، ووافقه الذهبي.
وأخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٦١٢ ـ تحفة)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وأحمد (٣/ ١٢٠ و١٥٨ و٢٤٥).
قلت: وهو صحيح.

وحبَّ المساكين، وأن تتوبَ عليَّ، وتغفِرَ لي وترحَمَني، وإذا أردْتَ في خلْقِكَ فتنةً؛ فنَجِّني منها غير مفتون، اللّهمّ وأسألُك حبَّك وحبَّ مَن يحبُّك، وحبَّ عملٍ يقرِّبني إلى حبك».

ثم أقبل رسول الله ﷺ فقال:

«تعلَّموهُنَّ، وادرُسوهُنَّ، فإنَّهُنَّ حق»(١).

ورواه الترمذي، والطبراني، وابن خُزَيْمة وغيرهم، بألفاظ أُخَر(٢).

وفيه عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول:

«اللَّهمَّ انْفَعْني بما علَّمتَني، وعلِّمْني ما ينْفَعُني، وارْزُقْني علماً ينفَعُني»(٣).

وفيه أيضاً عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهٰذا الدعاء:

---

(١) هو فيه (١/ ٥٢١)، وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٢٠)؛ من طريقين ضعيفين عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى.
وضعفه ابن خزيمة، وهو كما قال.
لكنه حديث صحيح بما بعده.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٨٨ ـ تحفة)، وأحمد (٥/ ٢٤٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢١٨ ـ ٢١٩) وغيرهم؛ من طريق جَهْضَم بن عبد الله، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن عبد الرحمٰن بن عائش الحَضْرَمي؛ أنه حدّثه عن مالك بن يُخامَر السَّكْسَكي، عن معاذ بن جبل: (وذكره بنحوه).
قلت: هٰذا إسناد صحيح، وقد صرّح يحيى بن أبي كثير بالتحديث عند أحمد، فانتفت شبهة تدليسه.
وهٰذا الحديث معروف بحديث اختصام الملإ الأعلى، وللحافظ ابن رجب الحنبلي شرح نفيس عليه، فليُنظر.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠) وإسناده ضعيف.
لكن له شاهد من حديث أبي هريرة.
أخرجه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٢٥١ و٣٨٣٣)، وفيه ضعف.
لكن الحديث حسن بمجموع طرقه.

«اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ من الخيرِ كلِّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلَمْ، وأسألك الجنّة وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، وأعوذُ بكَ من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأسألك من خير ما سألك عبدُك ورسولُك محمد ﷺ، وأعوذُ بك من شرِّ ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيتَ لي من أمرٍ أن تَجعَلَ عاقِبَتَهُ رشداً»(١).

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح الحاكم» أيضاً، عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه صلى صلاة أوْجَزَ فيها، فقيل له في ذٰلك، قال:

لقد دعوتُ الله بدعواتٍ سمعْتُهُنَّ من رسولِ الله ﷺ:

«اللَّهمَّ بعلْمِكَ الغيب، وقدرتِك على الخلق، أحْيِني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي، اللَّهمَّ وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمةَ الحقّ في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقرِ والغِنى، وأسألك نعيماً لا يَنْفَد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك بردَ العيش بعد الموت، وأسألك لذّة النظر إلى وجهِك، وأسألك الشوقَ إلى لقائِك؛ من غير ضرّاء مُضرَّة، ولا فتنة مُضلَّة، اللَّهمَّ زَيِّنّا بزينة الإيمان، واجْعَلْنا هُداةً مهدِيِّين»(٢).

وفيه أيضاً عن رسول الله ﷺ؛ أنه كان يدعو:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وابن حبان (٢٤١٣)، وأحمد (٦/ ١٣٤)، والحاكم (١/ ٥٢١ ـ ٥٢٢).
قلت: وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه النسائي (٣/ ٥٤ ـ ٥٥)، وأحمد (٤/ ٢٦٤)، والحاكم (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥).
قلت: وإسناده صحيح، حدّث به عطاء بن السائب قبل الاختلاط.

«اللَّهمَّ احْفَظْني بالإسلام قائماً، واحفَظْني بالإسلام قاعداً، واحْفَظْني بالإسلام راقِداً، ولا تُشَمِّت بي عدواً حاسداً، اللّهمَّ إني أسألك من كلّ خيرٍ خزائِنُهُ بيدِك، وأعوذُ بك مِن كلّ شرٍّ خزائِنُه بيدِك»(١).

وعن النوّاس بن سمعان: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«ما مِن قلبٍ إلا بين إصبعين من أصابع الرحمٰن، إن شاء أقامه، وإن شاءَ أزاغه».

وكان رسول الله ﷺ يقول:

«يا مقلِّبَ القلوب! ثَبِّتْ قلبي على دينِك، والميزان بيد الرحمٰن عزَّ وجلّ يرفع أقواماً، ويخفض آخرين إلى يوم القيامة».

حديث صحيح، رواه الإمام أحمد، والحاكم في «صحيحه»(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٥)، وقال:
صحيح على شرط البخاري.
وتعقبه الذهبي قائلاً:
أبو الصهباء لم يخرج له البخاري.
قلت: وهو كما قال الذهبي.
والحديث صحيح، وله شاهد من حديث عمر.
أخرجه ابن حبان (٢٤٣٠).
وفي إسناده ضعف.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، والحاكم (١/ ٥٢٥ و٢/ ٢٨٩ و٤/ ٣٢١)، وابن حبان (٢٤١٩)، وابن ماجه (٢١٩٩) وغيرهم؛ من طرق عن يزيد بن جابر قال: سمعت بسر بن عبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: حدّثني النواس بن سمعان: (وذكره مرفوعاً).
قال الحاكم في الموضع الأول والثالث:
صحيح على شرط مسلم.
وأقرّه الذهبي.
وصححه في الموضع الثاني على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. =

وفي «صحيح الحاكم» أيضاً عن ابن عمر؛ أنه لم يكن يجلس مجلساً ـ كان عنده أحد أو لم يكن ـ إلا قال:

«اللَّهمَّ اغْفِرْ لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسررتُ وما أعلنْتُ، وما أسرفْتُ، وما أنتَ أعلمُ به منّي، اللّهمَّ ارْزُقْني مِن طاعتك ما تَحُول به بيني وبين معصيتك، وارْزُقْني من خشيتِك ما تبلِّغُني به رحمتك، وارْزُقْني من اليقين ما تهوِّن به عليَّ مصائِب الدنيا، وبارِك لي في سَمْعي وبصري، واجْعَلْهُما الوارِثَ مني، اللّهمَّ اجْعَلْ ثأْري على من ظَلَمني، وانْصُرْني على مَن عاداني، ولا تَجْعَلِ الدُّنيا أكبرَ همِّي، ولا مبلغَ عِلْمي، اللَّهمَّ لا تُسَلِّط عليَّ مَن لا يَرْحَمُني».

فسُئِل عنهنَّ ابن عمر، فقال:

كان رسول الله ﷺ يختِمُ بهنَّ مجلِسَه[1].

* * *

والحمد لله ربِّ العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه؛ كما يحبُّ ربُّنا ويَرْضى، وكَما ينبغي لكرمِ وجهه، وعزِّ جلاله، ملءَ سماواته، وملءَ أرضه، وملءَ ما بينَهُما، وملءَ ما شاء من شيءٍ بعد، حمداً لا ينقطع، ولا يبيد، ولا يفنى، عدد ما حمده الحامدون، وعدد ما غَفَلَ عن ذكره الغافلون.

= **قلت**: وهو على شرط الشيخين، فإن رجاله كلهم من رجالهما.

(١) أخرجه الحاكم (١/٥٢٨)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي!

قلت: وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب اللّيث، وهو ضعيف.

لكن الحديث حسن، فقد أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٧٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٨)؛ من طريق عبيد الله بن زحر، عن خالد بن عمران، عن نافع.

وعُبيد الله بن زحر فيه ضعف، لكنه يُعتضد به.

وبالجملة، فالحديث حسن.

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من بريّته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أبواب الهدى، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور، بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي بعثه للإيمان منادياً، وإلى الصراط المستقيم هادياً، وإلى جنّات النعيم داعياً، وبكل المعروف آمراً، وعن كلّ منكرٍ ناهياً، فأحيا به القلوب بعد مماتها، وأنارها بعد ظلماتها، وألّف بينها بعد شتاتها؛ فدعا إلى الله ﷻ على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله ـ تعالى ـ حقَّ جهاده، حتى عُبِد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سيرة الشمس في الأقطار، وبلّغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ اللّيل والنهار.

وصلّى الله ﷻ وملائكته وجميع خلقه عليه؛ كما عرف بالله ـ تعالى ـ ودعا إليه، وسلّم تسليماً.

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الرواة المترجم له.
- فهرس الغريب.
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس المواضيع والفوائد.

س لوفا ١

- ...
- ...
- ...
- ...
- ...
- ...
- ...

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة/ رقمها	الصفحة
﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾	الشعراء: ٤١	١١٣
﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾	العنكبوت: ٤٥	١٢٠
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾	الزلزلة: ١	١٢٨
﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	نوح: ١٠	١٨٢
﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾	الفتح: ٢٩	٨٨
﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾	الإسراء: ٧٨	١٢٠
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	النور: ٣٥	٨٦
﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾	النحل: ٣٢	٣٨
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	الزمر: ٣٦	١٢
﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾	الرعد: ١٧	٩٥
﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾	النمل: ٨	٨٥
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾	النحل: ١٢٨	١٠٨
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الحج: ٣٨	١١٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾	النساء: ٤٨ و١١٦	٣٧
﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾	العاديات: ١١	٥٣
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	الحجر: ٤٢	١٣
﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾	الحديد: ١٨	١١٢
﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾	آل عمران: ١٧٣	١٧٥
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾	الفرقان: ٤٤	٩٩
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ﴾	يٰس: ٨٢	١٠٦
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾	البقرة: ١٩	٩٢

الآية	السورة/ رقمها	الصفحة
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾	الأنعام: ١٢٢	٨٤ ـ ٩٠
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾	السجدة: ١٦	٥٦
﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾	آل عمران: ١٧٣	١٧٥
﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾	الجمعة: ٤	٩٨
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾	الحج: ٣٢	١٨
﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	القصص: ٢٤	١٣٨
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾	الأعراف: ٢٨	١٣٨
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ﴾	الزخرف: ١٣	١٩٠، ١٩١
﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾	البقرة: ٢٠٠	٦٨
﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾	البقرة: ١٥٢	٧٢، ١١١، ١٢٠
﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	ص: ٨٢	١٣
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾	آل عمران: ١٥٩	٨٨
﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾	الحديد: ١٣	٨١
﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾	نوح: ١٠	١٧٤
﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾	المؤمنون: ١٢	٣٢
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	الصمد: ١	١٤٠
﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾	البقرة: ٦٠	٩٧
﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟﴾	الزمر: ١٠	٨٠
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ﴾	الأحقاف: ٣٥	٣٢
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾	النازعات: ٤٦	٣٢
﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الرعد: ١٨	١٠٠
﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾	نوح: ١٣	١٨
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	البقرة: ١٧	٩٠
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾	النحل: ٩٧	٧٩
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾	الحديد: ٣	١٧٧
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	إبراهيم: ٧	١١٥

الآية	السورة/ رقمها	الصفحة
﴿وَاذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾	صٓ: ٤٥	٩٦
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾	طه: ١٤	١١٩
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾	الأعراف: ٢٠٠	١٧٦، ٢١٠
﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾	هود: ٣	٨٠
﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾	الزمر: ٦٩	٨٥
﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	العنكبوت: ٦٩	١٠٨
﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾	البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧	١٧٨
﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾	مريم: ٣١	١١٨
﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾	الأحزاب: ٣٥	٦٨
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾	غافر: ٥٥	١٤٣
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ﴾	قٓ: ٣٩	١٤٣
﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾	الزمر: ٧٣	٣٨
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾	آل عمران: ١٥٩	١٧٢
﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾	الحديد: ١٩	١١٢، ١١٣
﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾	المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨	١٧٦
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	الشورى: ٥٢	٩٠
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ﴾	الحديد: ١٩	١١٢
﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾	الأنعام: ٣٩	٩١
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾	المائدة: ١٠ و٨٦	١١٣
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾	النحل: ٤١	٧٩
﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	البقرة: ٢٤٩	١٠٨
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾	سبأ: ٢٠ ـ ٢١	١٣
﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ﴾	النحل: ٩٧	٧٩
﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	الكهف: ٣٩	١٧٧، ٢١٨
﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾	آل عمران: ١٢٦	٤٧
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا﴾	البقرة: ١٧١	٩١

الآية	السورة/ رقمها	الصفحة
﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾	الرعد: ١٧	١٠٠
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾	طه: ١٢٤	٧٨
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	التغابن: ١٦	٥٩
	الحشر: ٩	
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	الأنبياء: ٤٧	١٢٠
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾	الكهف: ٢٨	٧٠
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ﴾	الحشر: ١٩	٧٧
﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	النساء: ١٤٢	١٢٧
﴿يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾	الرعد: ١٣	١٨٥
﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ﴾	الأنبياء: ٨٧ ١٣٥، ١٣٦،	١٣٨
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾	التوبة: ٤٠	١٠٨
﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾	الأنعام: ١٠٣	٨٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾	الأنفال: ٤٥	٦٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا﴾	الأحزاب: ٤١ ٦٧، ١١٥،	١٤٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	آل عمران ١٠٢	٢٠٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾	الأحزاب: ٧٠، ٧١	٢٠٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا﴾	البقرة: ١٧٠	١٩٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ﴾	البقرة: ٦٤	٢٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾	الحجرات: ٢	٢٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾	آل عمران: ١٥٦	٢٣٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾	المنافقون: ٩	١٢٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾	النساء: ١	٢٠٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	التوبة: ٧٣	٨٨
﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ﴾	الرحمٰن: ٢٩	١٠٤
﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾	طه: ١٠٢	٣٢

فهرس أطراف الأحاديث النبوية

طرف الحديث	صفحة
أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء؟	٢٣٩
أتدرون ما أخبارها؟	١٢٨
اتقوا بيتاً، يقال له: الحمام	٢٢١
أحب الكلام إلى الله أربع	٢٣٢
اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد	٤٠
إذا أتيت مضجعك، فتوضأ	١٥١
إذا استيقظ أحدكم	١٤٩
إذا أصبح أحدكم، فليقل: اللّهمّ بك أصبحنا	١٤٤
إذا أكل أحدكم، فليذكر اسم الله	١٩٤
إذا انتهى أحدكم إلى المجلس	٢٠١
إذا تزوج أحدكم امرأة	٢٠٤
إذا دخل أحدكم إلى المسجد	١٥٥
إذا دخل الرجل بيته، فذكر اسم الله	١٥٥
إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها	١٥٤، ٢١٩
إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه	٢١٩
إذا سمع النداء، ولّى وله ضراط	١٣٢
إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول	١٥٦
إذا سمعتم النداء، فقولوا مثل ما يقول	١٥٦
إذا سمعتم نباح الكلب	٢٠٧
إذا سمعتم نهيق الحمار	٢٠٧
إذا صلّى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربّه	١٣٥
إذا عطس أحدكم	٢٠٢
إذا غضب أحدكم وهو قائم، فليجلس	٢١٠
إذا فرغ أحدكم من التشهّد	١٦٥

طرف الحديث	صفحة
إذا قال العبد: لا إله إلا الله	١٢٥
إذا قال المؤذن: الله أكبر	١٥٧
إذا قام أحدكم عن فراشه، ثم رجع إليه	١٤٨
إذا مررتم برياض الجنة، فارتعوا	٦٧
إذا همَّ أحدكم بالأمر	١٧٢
إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله	٣٦
أذَّن في أُذن الحسين بن علي	٢٠٤
أستودع الله دينك	١٨٩
أسلمت على ما أسلفت من خير	٢٥
أفطر عندكم الصائمون	١٩٨
أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته	٢٣٢
أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم	١٧٦
أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم	١٥٦
أعوذ بكلمات الله التامّة	١٥٢، ١٧٦
أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد	١٦٤
اقسميها	٢١٧
أكثروا من غراس الجنّة	١٢٦
ألظُّوا بـ (يا ذا الجلال والإكرام)	٢٣٩
الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان	١٨٧
الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً	١٥٩
اللّهمّ اجعلني من التوّابين	٢٢٦
اللّهمّ احفظني بالإسلام قائماً	٢٤٢
اللّهمّ اسقِ عبادك وبهائمك	١٨٣
اللّهمّ اسقنا غيثاً مغيثاً	١٨٢
اللّهمَّ أطعمتَ وسقيتَ	١٩٦
اللّهمّ اطوِ له البُعد	١٩٠
اللّهمَّ أعنّي على ذكرك وشكرك	٨١
اللّهمّ أغثنا	١٨٦
اللّهمّ اغفر لأبي سلمة	١٧٩
اللّهمّ اغفر لحيّنا وميتنا	٢٢٧

طرف الحديث	صفحة
اللّهمّ اغفر له وارحمه	٢٢٦
اللّهمّ اغفر لي واهدني	٢٣٨
اللّهمّ اغفر لي ذنبي كله	١٦٤
اللّهمّ اغفر لي ما قدّمت	١٦١، ٢٤٤
اللّهمّ اقسم لنا من خشيتك	٢٠٩
اللّهمّ اكفني بحلالك عن حرامك	١٨٠
اللّهمّ إن فلان ابن فلان في ذمّتك	٢٢٧
اللّهمّ إنا نجعلك في نحورهم	١٧٥
اللهم إنا نسألك في سفرنا	١٩١
اللّهمّ أنت خلقت نفسي	١٥٠
اللّهمّ أنت ربها، وأنت خالقها	٢٢٧
اللّهمّ أنت السلام	١٦٧
اللّهمّ أنت عضدي	١٧٥
اللهم انفعني بما علمتني	٢٤١
اللّهمّ إني أسألك خيرها	١٨٤
اللّهمّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة	١٤٦
اللهم إني أسألك من الخير	٢٤٢
اللّهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك	١٦٤
اللّهمّ إني أعوذ بك أن أضلّ أو أُضَلّ	١٥٤
اللّهمّ إني أعوذ بك من الخبث والخبائث	٢٢٢
اللّهمّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك	٢٣٨
اللهم إني أعوذ بك من زوال شرها	١٨٤
اللّهمّ إني أعوذ بك من العجز والكسل	٢٣٧
اللّهمّ إني أعوذ بك من عذاب القبر	١٦٥، ٢٣٧
اللّهمّ إني أعوذ بك من الهمّ والحزن	٢٣٧
اللّهمّ بارك لنا في ثمرنا	٢١٨
اللّهمّ بارك لهم فيما رزقتهم	١٩٨
اللّهمّ باعد بيني وبين خطاياي	١٥٩
اللّهمّ بعلمك الغيب	١٦٦، ٢٤٢

طرف الحديث	صفحة
اللّهمّ حوالينا ولا علينا	١٨٧
اللّهمّ ربّ جبريل وميكائيل	١٦١
اللّهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن	١٩٣
اللّهمّ ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم	١٥٠
اللّهمّ ربّ الناس أذهب الباس واشفِ	١٨١
اللّهمّ ربّنا لك الحمد	١٦٣
اللّهمّ صيّباً هنيئاً	١٨٤
اللّهمّ قني عذابك يوم تبعث عبادك	١٤٩
اللّهمّ لك الحمد، أنت كسوتنيه	٢٣٣
اللّهمّ لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض	١٦١
اللهم لك ركعت	١٦٠
اللهم لك سجدت	١٦٠
أما إن أحدكم إذا أتى أهله	١٣١
أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم	١١٩
أمر بتسمية المولود يوم سابعه	٢٠٦
أمر خالد أن يتعوّذ	١٥٣
أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين	١٦٨
أمسينا وأمسى الملك لله	١٤٣
أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله	٦٩
أن النبي ﷺ كان إذا أوى	١٤٧
أنا مع عبدي ما ذكرني	١٠٨
إن أباكما إبراهيم كان يعوّذ بهما إسماعيل وإسحاق	١٨٠
إن أحب أسمائكم إلى الله	٢٠٦
إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد	٢٣٠
إن الله إذا استُودع شيئاً حفظه	١٨٨
إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات	٣٤
إن الله خلق خلقه في ظلمة	١٠٢
إن الله ليرضى من العبد أن يأكل الأكلة	١٩٥
إن الله تعالى وِتر يحب الوتر	٦١

طرف الحديث	صفحة
إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول	١٩
إن الله لا ينام	٨٥
إن الله يحب العطاس	٢٠١
إن أولى الناس بالله مَن بدأ بالسلام	٢٠٠
إن الجنة طيبة التربة	١٢٦
إن ربك ﷻ يعجب من عبده	١٩١
إن الرجل إذا غرم حدث فكذب	٢٣٧
إن الروح إذا قبض، تبعه البصر	١٧٩
إن الشيطان إذا نودي بالصلاة، ولّى وله حصاص	١٣٢
إن الصدقة تطفئ غضب الربّ	٥٦
إن صوم يوم عرفة يكفّر سنتين	٢١
إن العبد ليصلي الصلاة	٢٠
إن لله ملائكة فضلاً عن كتاب الناس	١١٦
إن النبي أمر بتسمية المولود	٢٠٥
إن هٰذه الحشوش محتضرة	٢٢٣
إنكم شكوتم جدب دياركم	١٨٢
إنه إن كان في مجلس خير	٢٠٨
إنه خير لكما من خادم	١٢٤
إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى	٣٢
إني أعلم كلمة، لو قالها، لذهب عنه ما يجد	٢١٠
أول الوقت رضوان الله	١٩
ألا أدلك على أبواب الخير	٥٦
ألا أعلّمك كلمات تقولينهن عند الكرب	١٧٣
ألا أعلمكم شيئاً تدركون به مَن سبقكم	١٢٢
ألا أنبئكم بخير أعمالكم	١٠٩، ١٢١
ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها	٦٥
بارك الله لك	٢٠٣
بسمك اللّهمّ أموت وأحيا	١٤٧
بسم الله	١٩٦

طرف الحديث	صفحة
بسم الله تربة أرضنا	١٨١، ٢٢٢
بسم الله، اللّهمّ جنّبنا الشيطان	١١٠
التحيات الطيبات	١٧٠
التحيات لله	١٦٩، ١٧٠
التحيات المباركات	١٦٩
تطعم الطعام، وتقرأ السلام	١٩٨
ثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه	٢٧
ثنتان لا تردّان	١٥٨
جعلت قرة عيني في الصلاة	٤٢
حديث اختصام الملإ الأعلى	٢٤١
حديث البراء بن عازب	١٠١
الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا	١٤٧
الحمد لله الذي أطعمنا	١٥٠
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات	١٧٧
الحمد لله على كل حال	١٧٧
الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه	١٩٧
الحمد لله نحمده ونستعينه	٢٠٢
حَوْلها ندندن	١٦٦
خصلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم، إلا دخل الجنة	١٦٨
خلقت الملائكة من نور	١٠١
خير الأسماء: عبد الله وعبد الرحمٰن	٢٠٦
الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة	١٥٧
دعوات المكروب	١٧٣
دعوة أخي ذي النون	١٣٥، ١٧٤
ذاك شيطان يقال له: خنزب	١٧٧
ذٰلك شيء تجدونه في صدوركم	٢٢٠
ذهب الظمأ، وابتلّت العروق	١٨٨
رأيت رسول الله يعقد التسبيح بيمينه	٢٣١
رأيت في منامي كأني في دار عقبة بن رافع	٢٢٠

طرف الحديث	صفحة
ربِّ أعنِّي ولا تُعِن عليّ	٢٣٦
ربّ اغفر لي	١٦٤
رُبّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش	٤٨
الرؤيا (الصالحة) من الله	١٥٣
الريح من روح الله ـ تعالى ـ	١٨٤
زوّدك الله التقوى	١٨٩
سبحان ذي الجبروت	١٦٣
سبحانك اللّهمّ ربنا وبحمدك	١٦٢
سبحانك اللّهمّ وبحمدك	١٥٩
سبُّوح قدُّوس	١٦٣
سألت رسول الله ﷺ ماذا ينجي	٥٧
ستر ما بين أعين الجنّ وعورات بني آدم	٢٢٣
سمع الله لمن حمده	١٦٠، ١٦٣
سمع سامع بحمد الله ونعمته	٢٣٤
السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين	١٨٢
سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون	٦٥
سيد الاستغفار	١٥، ١٤٥
صدقك، وهو كذوب	١٣١، ١٤٨
صيِّباً نافعاً	١٨٥
ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدّق	٥٨
ضع يدك على الذي يألم من جسدك	١٨١
عشر... عشرون... ثلاثون	٢٠٠
على مكانكم، أُخبركم ما أبطأني عنكم اليوم	٢٤٠
عليك بتقوى الله	١٨٩
عليك بذكر الله	١٢٣
عليكم بالصدق	٢٣٨
عليكن بالتسبيح والتهليل	٢٣١
العين حقّ	٢١٨
فاجتمعوا على طعامكم	١٩٦

طرف الحديث	صفحة
فلعلّكم تفترقون	١٩٥
قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: كلّ عمل ابن آدم له	٤٩
قل: اللّهمّ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً	١٣٨، ١٦٥
قل: اللّهمّ عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض	١٤٥
قل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوّذتين	١٤٤
قل كما يقولون	١٥٧
قل: لا إله إلا الله وحده ثلاثاً	٢٢٩
قولوا: اللّهمّ أعنّا على ذكرك	٢٣٩
قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد	١٧١
قولي: اللّهمّ إنك عفوٌّ تحبُّ العفو	٢٣٨
كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبّر ثلاثاً	١٩٠، ١٩١
كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة	
كان إذا خرج من الغائط	٢٢٣
كان إذا ركع، قال: سبحان ربّي العظيم	١٦٢
كان يتعوّذ من الجان	٢١٩
كان يحب الجوامع من الدعاء	٢٣٦
كان يذكر الله على كل أحيانه	١١٠
كان يؤتى بالصبيان، فيدعو لهم بالبركة	٢٠٥
كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات	٥٠
كل عمل ابن آدم له	٤٩
الكلمة الحسنة يسمعها الرجل	٢٢٠
كلمتان خفيفتان على اللّسان	٢٣٢
كيف تقول في الصلاة	١٦٦
لأن أقول: سبحان الله وبحمده	٧٦
لأن أقول: سبحان الله	٧٦، ٢٣٢
لأنه حديث عهد بربّه	١٨٦
لقد دعا الله باسمه الأعظم	١٣٧
لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها	١٦٤
لقد سأل الله باسمه العظيم	٢٤٠

طرف الحديث	صفحة
لقد قلت بعدك أربع كلمات؛ ثلاث مرات	١٣٣، ٢٣٣
لقيت ليلة أُسري بي إبراهيم	٧٥
لو أن أحدكم إذا أتى أهله	٢٠٤
ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة	٦٩
ما أصاب عبداً همّ ولا حزن	١٧٤
ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه	٦٦
ما زال الشيطان يأكل معه	١٩٥
ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قطّ	١٩٥
ما عمل آدمي عملاً قطّ أنجى من عذاب الله	٦٤، ٧٤
ما من ساعة تمرّ بابن آدم لا يذكر الله	٦٨
ما من عبد تصيبه مصيبة	١٧٩
ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة	١٤٥
ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمٰن	٢٤٣
ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه	٦٥، ٢٠٨
ما من مؤمن يصيب خصلة من هٰذه الخصال	٥٨
ما منكم من أحد إلا سيكلّمه ربّه	٥٧
ما منكم أحد يتوضأ	٢٢٥
مثل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكر ربّه	٦٧
مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى	٩٥
مرّ النبيّ ﷺ على صبيان يلعبون	٢٠١
مَن أراد سفراً، فليقل لمن يخلف	١٨٨
من أكل وشرب، فقال: الحمد لله	١٩٦
مَن أقال نادماً؛ أقال الله عثرته	٦٢
مَن أنظر معسراً، أو وضع عنه	٦٢
من أوى إلى فراشه طاهراً	١٥١
مَن ترك صلاة العصر، فقد حبط عمله	٢٢
مَن تعارَّ مِن اللّيل	١٥١
مَن جلس مجلساً، فكثُرَ فيه لغطه	٢٠٧
مَن حلف بغير الله، فقد أشرك	٢٢٨

طرف الحديث	صفحة
مَن حلف منكم، فقال في حلفه: واللات والعزّى	٢٢٨
مَن دخل السوق	٧٧، ٢١٢
مَن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي	٧٢
مَن راءى؛ راءى الله به	٦٣
مَن رأى مبتلًى	٢١١
مَن سبَّح في دُبُر كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين	١٦٨
مَن ستر مسلماً؛ ستره الله	٦٢
مَن عادَ مريضاً لم يَحْضر أجلُه	١٨١
مَن قال ـ يعني إذا خرج من البيت ـ: بسم الله	١٣٠، ١٥٤
مَن قال حين يسمع النداء: اللّهمّ ربّ هٰذه الدعوة التامّة	١٥٧
مَن قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد	١٥٨
مَن قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده	١٤٣
مَن قال حين يُمسي وإذا أصبح	٧٦، ١٤٦
مَن قال: سبحان الله وبحمده	٧٥، ٧٦
مَن قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله	١٣٠
مَن قال: لا إله إلا الله وحده	٧٦
مَن قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة	١٦٩
مَن قرأ بالآيتين مِن آخر سورة البقرة	١٤٨
مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمام	٢٢٢
مَن لبس ثوباً، فقال: الحمد لله	٢٣٤
مَن لم يدّع قول الزور	٤٨
مَن نزل منزلاً	١٩٤
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	٢٣٥
نضَّر الله امرأ سمِعَ مقالَتي	٩٧
نعم، ويفضل عنك	١٢٣
هل تدرون ماذا قال ربكم؟	١٨٥
هو خيرٌ لكما من خادم	١٤٩
واجعلني نوراً	٨٤
وأصدقها: حارث وهمام	٢٠٦

طرف الحديث	صفحة
والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم	١٣٦
والذي نفسي بيده ما من مكلوم يُكْلَم في سبيل الله	٥١
وغير النبي ﷺ الأسماء المكروهة	٢٠٦
والله يا معاذ إني لأحبّك	١١١
وإياك والـ (لو)	٢٣٥
وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض	١٦٠، ١٦٥
لا إله إلا الله العظيم الحليم	١٣٦، ١٧٣
لا إله إلا الله وحده لا شريك له	١٦٧، ١٩٢
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا	١٩٨
لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير	١٧٩
لا تقل: تعس الشيطان	٢١٧
لا صلاة لمن لا وضوء له	٢٢٥
لا عدوى ولا طيرة	٢٢٠
لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	٢٢٤، ٢٢٥
لا يزال لسانك رطباً بذكر الله	٦٦
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٥٣
لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه	٦٦
يأتي أحدكم ـ يعني الشيطان ـ في منامه	١٦٨
يا أيها الناس! ارتعوا في رياض الجنة	١١٦
يا بني! إذا دخلت على أهلك، فسلِّم	١٥٥
يا بني! سمِّ الله	١٩٤
يا بلال! أرِحنا بالصلاة	٤١
يا جابر! نادِ بالوضوء	٢٢٤
يا حيّ! يا قيّوم! برحمتك أستغيث	١٧٣
يا معشر مَن آمن بلسانه	٦٣
يا معشر النساء! تصدّقن، ولو من حليكن	٥٧
يا مقلّب القلوب! ثبّت قلبي على دينك	٢٤٣
يجزي الجماعة إذا أمروا أن يسلم أحدهم	٢٠١
يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي	٦٧

فهرس الآثار

طرف الأثر	الصحابي	الصفحة
أن رجلاً من أصحاب النبي	أبي سعيد	١٨٠
أمر ابن عباس رجلاً وجد في نفسه شيئاً من الوسوسة	ابن عباس	١٧٧
إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله	عائشة	٢٣
ثلاث، مَن جمعهنّ جمع الإيمان	عمار	١٩٩
الشيطان جاثم على قلب ابن آدم		٦٤
قالها إبراهيم حين أُلقي في النار	ابن عباس	١٧٥
كان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد	عبد الله بن الزبير	١٨٥
كنا إذا صعدنا كبّرنا	جابر بن عبد الله	١٩٢
ما عمل رجل عملاً	عثمان	٥٥
لا، والذي فلق الحبّة	علي بن أبي طالب	٩٧

فهرس الرواة المترجَم لهم

الراوي	الصفحة
إبراهيم بن زكريا	١٩
أزهر بن سنان	٢١٣
إسرائيل بن يونس	٢٢٩
إسماعيل بن عياش	٢١٣
أسيد البراد	١٤٤
أُمية بن هند	٢١٩
بكر بن عبد الله المزني	٢١٠
بكير بن شهاب الدامغاني	٢١٥
بلال بن يحيى	١٨٧
حرب بن وحش	١٩٦
الحسن البصري	٥٦
الحسين بن حميد	١٩
حماد بن سلمة	١٦٦
خارجة بن مصعب	٢١٦، ٢٣٩
خالد بن يزيد العمري	٢٠٨
سابق بن ناجية	٧٧
سعيد بن المرزبان	٧٦
سعيد بن خالد	٢٠١
سفيان الثوري	١٩٩، ٢٢١
سلم بن ميمون الخواص	٢١٣
سليمان بن سفيان	١٨٧
سهل بن معاذ بن أنس الجُهني	٢٣٤
شُريح	١٨٤
شهر بن حوشب	١٥٢
ضرار بن صرد	٢١٣
عاصم بن عبيد الله	٢٠٥
عاصم العنزي	١٧٦
عامر بن عبد الله بن مسعود (أبو عبيدة)	٨٥
عبد الله بن عمر العمري	٢١١
عبد الله بن عيسى الخزاز	٥٦
عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم	٢١٦
عبد الرحمٰن بن عثمان	١٨٧
عبد الرحيم بن ميمون (أبو مرحوم المصري)	٢٣٤
عبد العزيز بن يحيى (أبو الأصبغ الحراني)	٢٢١
عبيد الله بن زحر	٢٤٤
عثمان بن إبراهيم	١٨٧
عطاء بن السائب	١٦٦، ٢٤٢
عقبة بن علي	١٢٦
عقيل بن شبيب	٢٠٦
علي بن شماخ	٢٢٨
علي بن زيد	٣٢
عمران القصير	٢١٤
عمران بن مسلم	٢١٤

الراوي	الصفحة
عمرو بن دينار (قهرمان آل الزبير)	٢١٣
الفضل بن عيسى	١٧٨
ليث بن أبي سليم	٢٢٢
محصن بن علي الفهري	١٧٨
محمد بن إسحاق	١٥٢، ٢٢١
محمد بن حمران	٢١٧
محمد بن زهير التميمي	١٧٨
محمد بن عبد الله بن أبي رافع	١٧٨
محمد بن يحيى	١٥٣
محمد بن يزيد (أبو هشام الرفاعي)	١٥٣
مسروق بن المرزبان	٢١٥
مسعر بن كدام	١٨٢
المطلب بن عبد الله	٣٢
المقدام بن شريح	١٨٤
المنهال بن عمرو	١٨١
المهاصر بن حبيب	٢١٣
وحشي بن حرب	١٩٦
الوليد بن عتبة	٢١١
يحيى بن جابر الطائي	٢٧
يحيى بن سليم	٢١٥
يحيى بن أبي سليمان	١٢٨
يحيى بن أبي كثير	٣٥، ٢٤١
يزيد الرقاشي	١٧٣
يزيد بن صهيب الفقير	١٨٢
يعقوب بن سلمة	٢٢٥
يعلى بن عبيد	٢٢١
يوسف بن عطية الصفار	٢١٥

الكنى

الراوي	الصفحة
ابن تيمية	١٥
ابن جريج	١٥٤
ابن لهيعة	١٢٩، ١٦٢
ابن اليمان	١٥٨
أبو الأزهر	١٦٢
أبو إسحاق السبيعي	١٩١، ١٩٩، ٢٢٨
أبو حرب بن الأسود	٢١٠
أبو خالد الأحمر	٢١٣
أبو خلف	٣٦
أبو الزبير	٦٥، ٢٢٢
أبو الصهباء	٢٤٣
أبو معشر	٢٢٢

النساء

الراوي	الصفحة
العالية بنت أيفع	٢٣

فهرس الألفاظ الغريبة

اللفظ	الصفحة
اطو له البعد	١٩٠
أقنيت	١٩٦
التحنيك	٢٠٥
تعارَّ من اللّيل	١٥١
جثا جهنّم	٣٥
الجعظري	٦١
الجوّاظ	٦١
رفَّأ	٢٠٣
شرف	١٨٩
ضلع الدين	٢٣٧
الطيرة	٢٢٠
الظّراب	١٨٧
العقّ	٢٠٥
عَيَّت	١٤٣
العينة	٢٣

اللفظ	الصفحة
قلبه	١٨٠
الكنّ	١٨٣
مريعاً	١٨٢
المغرم	٢٣٧
الموتة	١٥٩
ناشئاً	١٨٤
نفثه	١٥٩
نفخه	١٥٩
الوصع	٦٤
وضع الأذى	٢٠٥
وطبه	١٩٧
يبرك	٢١٩
يزع	١٣٤
اليزك	٤٦
يمرعون	٩٥

فهرس المصادر والمراجع

- «ابن تيمية المفترى عليه»: المحقق، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى.
- «الإتحاف بحديث الإنصاف»: ابن ناصر الدين، مخطوطة مكتبة الحرم المكي.
- «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان»: ابن بلبان، دار الكتب العلمية.
- «أخلاق النبي»: أبو الشيخ، طبع مصر.
- «الأدب المفرد»: البخاري، المكتبة السلفية.
- «الأدلة والشواهد»: المحقق، دار الصحابة.
- «إرواء الغليل»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «الأسماء والصفات»: البيهقي، طبع بيروت.
- «الإصابة في تمييز الصحابة»: ابن حجر، مؤسسة الرسالة.
- «الإيمان»: ابن أبي شيبة، الألباني، دار الأرقم.
- «أين الله»: المحقق، الدار السلفية.
- «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية.
- «تاريخ دمشق»: ابن عساكر، مخطوط.
- «التاريخ الكبير»: البخاري، دار الفكر.
- «تحفة الأحوذي»: المباركفوري، دار الفكر.
- «تحفة الأشراف»: المزي، طبع الهند.
- «تحفة المودود»: ابن قيّم الجوزية، طبع بيروت.
- «الترغيب والترهيب»: الأصبهاني، مخطوط.
- «الترغيب والترهيب»: المنذري، دار الكتب العلمية.
- «التعليق المغني»: العظيم آبادي، على هامش «سنن الدارقطني».
- «تغليق التعليق»: ابن حجر، دار عمار، المكتب الإسلامي.
- «تقريب التهذيب»: ابن حجر.
- «التلخيص الحبير»: ابن حجر.
- «تلخيص المتشابه»: الخطيب البغدادي.

- «تلخيص المستدرك»: الذهبي، على هامش «المستدرك».
- «تهذيب التهذيب»: ابن حجر، طبع الهند.
- «التوبة النصوح»: المحقق، المكتبة الإسلامية.
- «التوحيد»: ابن خزيمة، طبع بيروت.
- «الثقات»: ابن حبان، طبع الهند.
- «الجرح والتعديل»: ابن أبي حاتم، طبع الهند.
- «جزء محمد بن عاصم عن شيوخه»: محمد بن عاصم الأصبهاني، المحقق، تحت الطبع.
- «الجوهر النقي»: ابن التركماني، على هامش «سنن الكبرى».
- «حلاوة الإيمان»: المحقق، مكتبة ابن الجوزي، السعودية.
- «حلية الأولياء»: أبو نُعيم، دار الفكر.
- «خطبة الحاجة»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «خلق أفعال العباد»: البخاري، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية.
- «الدعاء»: الطبراني، دار البشائر الإسلامية.
- «دلائل النبوة»: البيهقي، دار الكتب العلمية.
- «ذكر أخبار أصبهان»: أبو نُعيم، ليدن.
- «الرد على الجهمية»: الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية.
- «الرد العلمي»: المحقق بالاشتراك مع علي حسن علي عبد الحميد، المكتبة الإسلامية.
- «الرسالة»: الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر.
- «روضة العقلاء»: ابن حبان، دار الكتب العلمية.
- «الرياء»: المحقق، مكتبة ابن الجوزي، السعودية.
- «الزهد»: وكيع، مكتبة الدار.
- «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «سلسلة الأحاديث الضعيفة»: الألباني، المكتبة الإسلامية.
- «السنن»: ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي.
- «السنن»: أبو داود، دار الفكر.
- «السنن»: الترمذي، دار إحياء التراث العربي.
- «السنن»: الدارقطني، طبع مصر.
- «السنن»: الدارمي، دار الفكر.

- «السنن الكبرى»: البيهقي، دار الفكر.
- «سير أعلام النبلاء»: الذهبي، مؤسسة الرسالة.
- «شرح خطبة الحاجة»: ابن تيمية، المحقق، دار الأضحى.
- «شرح السنة»: البغوي، المكتب الإسلامي.
- «شرح صحيح مسلم»: النووي، دار إحياء التراث العربي.
- «شرح معاني الآثار»: الطحاوي، طبع الهند.
- «الشريعة»: الآجري، دار الكتب العلمية.
- «الصبر الجميل»: المحقق، دار ابن القيم، السعودية.
- «صحيح ابن ماجه»: الألباني، المكتب العربي للتربية.
- «صحيح الأذكار النووية»: المحقق، مخطوط.
- «صحيح الجامع الصغير»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «صحيح الكلم الطيب»: الألباني، مكتبة المعارف، السعودية.
- «الضعفاء»: العقيلي، دار الكتب العلمية.
- «ضعيف ابن ماجه»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «العبودية»: ابن تيمية، طبع بيروت.
- «علل الحديث»: ابن أبي حاتم، دار المعرفة.
- «العلل»: الدارقطني، دار طيبة.
- «عمل اليوم والليلة»: ابن السني، طبع مصر.
- «عمل اليوم والليلة»: النسائي، مؤسسة الرسالة.
- «الغرائب والأفراد»: الدارقطني، مخطوط.
- «فتح الباري»: ابن حجر، دار الفكر.
- «الفتوحات الربانية»: ابن علان.
- «الفوائد المنتقاة»: المخلص، مخطوط.
- «فيض القدير»: المناوي، دار المعرفة.
- «الكامل»: ابن عدي، دار الفكر.
- «كتاب الشكر»: ابن أبي الدنيا، تحقيق: بدر البدر، طبع الكويت.
- «كشف الأستار»: الهيثمي، مؤسسة الرسالة.
- «الكشف عن وجوه القراءات السبع»: مكي بن أبي طالب.
- «الكلم الطيب»: ابن تيمية، الألباني، المكتب الإسلامي.
- «لسان الميزان»: ابن حجر، دار الفكر.

- «مبطلات الأعمال»: المحقق، دار ابن القيم، السعودية.
- «المجتبى»: النسائي، دار الكتاب العربي.
- «مجمع الزوائد»: الهيثمي، دار الكتاب العربي.
- «مختصر صحيح البخاري»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «مساجلة علمية»: العزّ بن عبد السلام وابن الصلاح، المكتب الإسلامي.
- «المستدرك»: الحاكم، طبع الهند.
- «المسند»: أحمد بن حنبل، دار الفكر.
- «المسند»: الحميدي، دار الكتب العلمية.
- «المسند»: الطيالسي، طبع الهند.
- «مسند سعد»: الدورقي، دار البشائر.
- «المصنف»: ابن أبي شيبة، طبع الهند.
- «المصنف»: عبد الرزاق، المكتب الإسلامي.
- «المعجم الكبير»: الطبراني، طبع العراق.
- «معرفة الخصال المكفرة»: ابن حجر، تحقيق: محمد ناصر العجمي، طبع الكويت.
- «مقامع الشيطان»: المحقق، مكتبة ابن الجوزي، السعودية.
- «مكفرات الذنوب»: المحقق، دار ابن القيم، السعودية.
- «مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية»: المحقق، الدار السلفية.
- «موضح أوهام الجمع والتفريق»: الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.
- «الموطأ»: مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي.
- «موارد الظمآن»: الهيثمي، دار الكتب العلمية.
- «ميزان الاعتدال»: الذهبي، دار المعرفة.
- «نتائج الأفكار»: ابن حجر، مخطوط.
- «نصب الراية»: الزيلعي، دار الحديث، مصر.
- «النشر في القراءات العشر»: ابن الجزري، دار الكتب العلمية.
- «النهاية في غريب الحديث والأثر»: ابن الأثير، المكتبة الإسلامية، مصر.
- «هدي الساري»: ابن حجر، دار الفكر.
- «الوصية الصغرى»: ابن تيمية، المحقق، الطبعة الأولى.

فهرس المواضيع والفوائد

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
العمل في «صحيح الوابل»	٧
مقدمة المؤلف	١١
فصل في استقامة القلب	١٧
فصل في علامات تعظيم المناهي	٢٦
مطلب في شرح حديث الحارث الأشعري في الكلمات الخمس التي أمر الله بها يحيى بن زكريا عليه السلام	٣٤
أولاها: أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً	٣٤
ثانيها: وأمركم بالصلاة	٣٤
فصل: القلوب ثلاثة	٤٤
ثالثها: وأمركم بالصيام	٤٧
رابعها: وأمركم بالصدقة	٥٥
خامسها: وأمركم أن تذكروا الله ـ تعالى ـ	٦٤
ما ورد في فضل الذِّكر: في الذِّكر أكثر من مائة فائدة، وسرد منها ثمان وسبعين فائدة، مع ذكر النصوص الواردة	٧١
فصل في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخلَّ بها	١٤٢
الفصل الأول: في ذكر طرفي النهار	١٤٢
الفصل الثاني: في أذكار النوم	١٤٧
الفصل الثالث: في أذكار الانتباه من النوم	١٥١
الفصل الرابع: في أذكار الفزع في النوم والفكر	١٥٢
الفصل الخامس: في أذكار مَن رأى رؤيا يكرهها أو يحبها	١٥٣
الفصل السادس: في أذكار الخروج من المنزل	١٥٤

الموضوع — الصفحة

الفصل السابع: في أذكار دخول المنزل ١٥٥
الفصل الثامن: في أذكار دخول المسجد والخروج منه ١٥٥
الفصل التاسع: في أذكار الأذان ١٥٦
الفصل العاشر: في أذكار الاستفتاح ١٥٩
الفصل الحادي عشر: في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين ١٦٢
الفصل الثاني عشر: في أدعية الصلاة بعد التشهد ١٦٥
الفصل الثالث عشر: في الأذكار المشروعة بعد السلام، وهو إدبار السجود ١٦٧
الفصل الرابع عشر: في ذكر التشهد ١٦٩
الفصل الخامس عشر: في ذكر الصلاة على النبيّ ﷺ ١٧١
الفصل السادس عشر: في الاستخارة ١٧٢
الفصل السابع عشر: في أذكار الكرب والغمّ والحزن والهمّ ١٧٣
الفصل الثامن عشر: في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى ١٧٤
الفصل التاسع عشر: في الذكر عند لقاء العدوّ ومَن يخاف سلطاناً وغيره ١٧٥
الفصل العشرون: في الأذكار التي تطرد الشيطان ١٧٥
الفصل الحادي والعشرون: في الذكر الذي تُحفظ به النِّعم، وما يقال عند تجرّدها ١٧٧
الفصل الثاني والعشرون: في الذكر عند المصيبة ١٧٨
الفصل الثالث والعشرون: في الذكر الذي يدفع به الدَّين، ويرجى قضاؤه ١٧٩
الفصل الرابع والعشرون: في الذكر الذي يرقى به من اللّسعة واللدغة وغيرهما ١٨٠
الفصل الخامس والعشرون: في ذكر دخول المقابر ١٨١
الفصل السادس والعشرون: في ذكر الاستسقاء ١٨٢
الفصل السابع والعشرون: في أذكار الريح إذا هاجت ١٨٤
الفصل الثامن والعشرون: في الذكر عند الرعد ١٨٥
الفصل التاسع والعشرون: في الذكر عند نزول الغيث ١٨٥
الفصل الثلاثون: في الذكر والدعاء عند زيادة المطر، وكثرة المياه، والخوف منها ١٨٦
الفصل الحادي والثلاثون: في الذكر عند رؤية الهلال ١٨٧
الفصل الثاني والثلاثون: في الذكر للصائم وعند فطره ١٨٨

الموضوع — الصفحة

الفصل الثالث والثلاثون: في أذكار السفر ١٨٨
الفصل الرابع والثلاثون: في ركوب الدابة، والذكر عنده ١٩٠
الفصل الخامس والثلاثون: في ذكر الرجوع من السفر ١٩٢
الفصل السادس والثلاثون: في الذكر على الدابة إذا استصعبت ١٩٣
الفصل السابع والثلاثون: في الدابة إذا انفلتت وما يُذكر عند ذٰلك ١٩٣
الفصل الثامن والثلاثون: في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها ١٩٣
الفصل التاسع والثلاثون: في ذكر المنزل يريد دخوله ١٩٤
الفصل الأربعون: في ذكر الطعام والشراب ١٩٤
الفصل الحادي والأربعون: في ذكر الضيف إذا نزل بقوم ١٩٧
الفصل الثاني والأربعون: في السلام ١٩٨
الفصل الثالث والأربعون: في الذكر عند العطاس ٢٠١
الفصل الرابع والأربعون: في ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة ٢٠٢
الفصل الخامس والأربعون: في الذكر عند الولادة، والذكر المتعلق بالولد ٢٠٤
الفصل السادس والأربعون: في صياح الديكة، والنهيق، والنباح ٢٠٧
الفصل السابع والأربعون: في الذكر يطفأ به الحريق ٢٠٧
الفصل الثامن والأربعون: في كفارة المجلس ٢٠٧
الفصل التاسع والأربعون: فيما يقال ويفعل عند الغضب ٢١٠
الفصل الخمسون: فيما يُقال عند رؤية أهل البلاء ٢١١
الفصل الحادي والخمسون: في الذكر عند دخول السوق ٢١٢
الفصل الثاني والخمسون: في الرجل إذا خدرت رجله ٢١٦
الفصل الثالث والخمسون: في الدابة إذا عثرت ٢١٦
الفصل الرابع والخمسون: فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له ٢١٧
الفصل الخامس والخمسون: فيمن أُميط عنه الأذى ٢١٨
الفصل السادس والخمسون: في رؤية باكورة الثمرة ٢١٨
الفصل السابع والخمسون: في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين ٢١٨
الفصل الثامن والخمسون: في الفأل والطيرة ٢٢٠
الفصل التاسع والخمسون: في الحمّام ٢٢١
الفصل الستون: في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه ٢٢٢
الفصل الحادي والستون: في الذكر عند إرادة الوضوء ٢٢٤

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني والستون: في الذكر بعد الفراغ من الوضوء ٢٢٥
الفصل الثالث والستون: في ذكر صلاة الجنازة ٢٢٦
الفصل الرابع والستون: في الذكر إذا قال هجراً، أو جرى على لسانه ما يسخط به ﷻ ٢٢٨
الفصل الخامس والستون: فيما يقول مَنِ اغتاب أخاه المسلم ٢٢٩
الفصل السادس والستون: فيما يقال ويُفعل عند كسوف الشمس وخسوف القمر ٢٣٠
الفصل السابع والستون: فيما يقول مَن ضاع له شيء، ويدعو به ٢٣١
الفصل الثامن والستون: في عقد التسبيح بالأصابع، وأنه أفضل من السبحة ٢٣١
الفصل التاسع والستون: في أحب الكلام إلى الله ﷻ بعد القرآن ٢٣٢
الفصل السبعون: في الذكر المضاعف ٢٣٣
الفصل الحادي والسبعون: فيما يقال لمن حصل له وحشة ٢٣٣
الفصل الثاني والسبعون: في الذكر الذي يقوله أو يُقال له إذا لبس ثوباً جديداً ٢٣٣
الفصل الثالث والسبعون: فيما يقال عند رؤية الفجر ٢٣٤
الفصل الرابع والسبعون: في التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب ٢٣٥
الفصل الخامس والسبعون: في جوامع من أدعية النبيّ ﷺ وتعوّذاته لا غنى للمرء عنها ٢٣٦
الفهارس ٢٤٧
فهرس الآيات القرآنية ٢٤٩
فهرس أطراف الأحاديث النبوية ٢٥٣
فهرس الآثار ٢٦٤
فهرس الرواة المترجم لهم ٢٦٥
فهرس الألفاظ الغريبة ٢٦٧
فهرس المصادر والمراجع ٢٦٩
فهرس المواضيع والفوائد ٢٧٣

صدر للمحقق

١ ـ «تفليس إبليس».

٢ ـ «حلاوة الإيمان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة».

٣ ـ «الحياء في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة».

٤ ـ «الرياء؛ ذمّه وأثره السَّيِّئ في الأُمّة».

٥ ـ «صحيح الوابل الصَّيِّب».

٦ ـ «مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنّة الصحيحة».

٧ ـ «الخشوع وأثره في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة».

٨ ـ «صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام».

صدر عن دار ابن الجوزي

- **فوائد حديثية**. تأليف: ابن القيِّم، تحقيق: مشهور حسن.
- **القابضون على الجمر**. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- **قضية الإنسان الكبرى (الخطر الرهيب)**. تأليف: محمد عيد عباسي.
- **القواس والفأرة (قصص أطفال)**. تأليف: محمد بن رزق طرهوني.
- **الكاشف في تصحيح رواية البخاري**. تأليف: علي حسن عبد الحميد.
- **كتاب التوحيد «جيب»**. تأليف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- **كشف المتواري من تلبسات الغماري**. تأليف: علي حسن عبد الحميد.
- **كشف الشبهات والأُصول الثلاثة**. تأليف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- **ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ؟**. تأليف: أحمد ديدات. تقديم: علي حسن عبد الحميد.
- **لماذا نرفض العلمانية؟** تأليف: محمد محمد بدري.
- **مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم**. تأليف: الشيخ محمد بن عثيمين.
- **مقاصد الإسلام**. تأليف: الشيخ عبد العزيز بن عثيمين.
- **مختارات من فتاوى الصلاة**. تأليف: الشيخ محمد بن عثيمين.
- **مسائل عن الصيام**. تأليف: الشيخ محمد بن عثيمين.
- **مقامع الشيطان في ضوء القرآن والسنة**. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- **من وصايا السلف**. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**. تأليف: الإمام ابن الجوزي. انتقاء: علي حسن عبد الحميد.
- **المنهج لمريد الحج والعمرة**. تأليف: الشيخ محمد بن عثيمين.
- **موارد الأمان المنتقى من إغاثة اللهفان**. تأليف: ابن قيِّم الجوزية. انتقاء: علي حسن عبد الحميد.
- **الملخص الفقهي ١/ ٢**. تأليف: صالح الفوزان.
- **المنهل الرقراق**. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- **مناظرات السلف**. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- **مختصر زاد المعاد**. تأليف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- **مكتبة البيت المسلم**. تشتمل على مجموعة قيِّمة ومفيدة لجميع أفراد الأسرة. طباعة ممتازة. تجليد فاخر. سعر مخفض.

صدر عن دار ابن الجوزي

- حلاوة الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- الحياء وأثره في بناء الأُمّة. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- الخشوع وأثره في بناء الأُمة. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- خصائص جزيرة العرب. تأليف: بكر بن عبد الله أبو زيد.
- الداء والدواء. تأليف: ابن القيِّم. تحقيق: علي حسن عبد الحميد.
- دليل المعلم إلى صياغة الأهداف التعليمية والسلوكية ومهارات التدريس. تأليف: محمد السيد مرزوق.
- ذمّ الجاه والمال ـ شرح حديث ما ذئبان. تحقيق: بدر البدر.
- رسالة في القلب. تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: سليم بن عيد الهلالي.
- الرياء: ذمّه وأثره السيئ في الأُمة. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- سلسلة مجالس فتيان الإسلام/ أركان الإيمان. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- سلسلة مجالس الفتيان/ حقائق الإسلام. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- سفينة والأسد (قصص أطفال). تأليف: محمد بن رزق بن طرهوني.
- شرح العقيدة الواسطية ١/ ٢. تأليف: ابن عثيمين.
- صحيح الوابل الصيّب لابن القيم. تصنيف: سليم بن عيد الهلالي.
- صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء. تأليف: سليم بن عيد الهلالي.
- صفحات من حياة علامة القصيم. تأليف: د. عبد الله الطيار.
- الطاعة والمعصية. تأليف: صفوت عبد الفتاح محمود.
- عقيدة أهل السنة والجماعة. تأليف: الشيخ ابن عثيمين.
- عمدة الأحكام. غلاف جيب.
- الفتاوى المهمات في العقائد والغيبيات. تأليف: الشيخ محمود شلتوت. ضبط وتحقيق: علي حسن عبد الحميد.
- فهارس الزهد. تأليف: محمد الشريف.
- الفوائد الزينية في مذهب الحنفية. تأليف ابن نجيم. تحقيق: مشهور حسن.

صحيح
الوابل الصيب
من الكلم الطيب
لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية
بتحقيق
سليم بن عيد الهلالي
دار ابن الجوزي
صحيح
الوابل الصيب
من الكلم الطيب
لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية
٦٩١ - ٧٥١هـ
بتحقيق
سليم بن عيد الهلالي
دار ابن الجوزي